كتاب العمر

في المصنفات والمؤلفين التونسيين

تأليف
المغفور له العلامة
حسن حسني عبد الوهاب

المجلد الأول



مراجعة وإكمال

محمد العروسي المطوي
بشير البكوش



دار الغرب الإسلامي

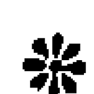

بساط
بيروت

حسن حسني عبد الوهاب

كِتَابُ العُمر

في المصنّفات والمؤلفين التونسيّين

المجلّدُ الأوّل



كِتَابُ العُمر

في المصَنّفَات وَالمؤلفِين التونسيّين

تـأليف
المغفور له العلاّمة

حسن حسني عبد الوهاب

المجلدُ الأوّل



مراجعة وإكمال

محمد العروسي المطوي   بشير البكوش



دار الغرب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1990

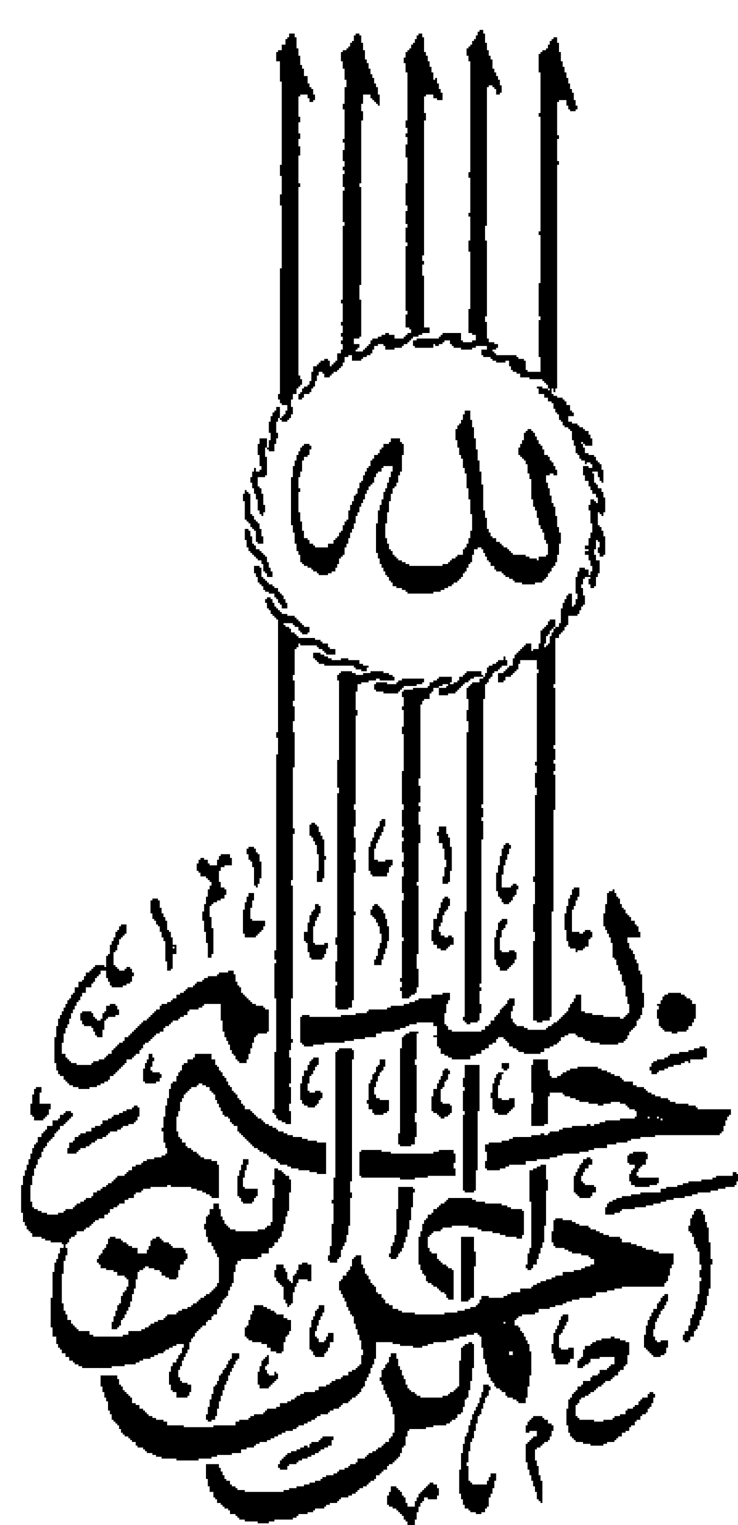
طبع بالاشتراك

بيت الحكمة
المؤسسة الوطنية
للترجمة والتحقيق والدراسات
تونس

دار الغرب الإسلامي
لصاحبها الحبيب اللمسي
بيروت



دار الغرب الإسلامي
ص. ب: 5787 - 113
بيروت. لبنان



تصديـــر

وأخيراً يصدر للنّاس في أحسن حلّة بفضل جدّ محقّقيْن هما من رجالات العلم الأجلّة كتاب جامع مفصّل مطوّل أفني في تأليفه العمر مؤرخ تونس الأكبر شيخنا المنعّم المبرور حسن حسني عبد الوهاب الذي اقتفى أثر صاحب «كتاب العبر» فصنّف «كتاب العمر» ليكون ديوان المبتدأ والخبر في الحضارة الإسلامية والثقافة العربية بتونس منذ العهد العربي المبكّر وخلال عصور المجد الإسلامي المتجذّر.

والله وحده يعلم كم بذل مفخرة تونس علاّمتنا من الجهد وصرف من الوقت والكدّ في سبيل التنقيب عن تراجم المتقدّمين والتقاط آثار المؤلفين من بين المخطوطات والمطبوعات وتدوين آدابهم المبثوثة في مختلف الجهات بين كتب الأخبار والسير والطّبقات وما جاء في المجاميع وغيرها من المؤلفات.

والله وحده القادر على جزاء الأستاذ الجليل الوفي محمد العروسي المطوي وعضده المتبحّر في «الإفريقيات» السيد بشير البكّوش إذ لم يتيسّر لهذا الكتاب النّشر إلاّ بفضل ما كان لكليهما من المثابرة وجميل الصّبر. ويمكن للقارىء أن يتبيّن صفحة بعد صفحة ما وراء حرصهما على الإكمال من عظيم الأعمال وكيف جعلا من الجذاذات صفحات دون طمس لأسلوب المؤلف ولا تنكّر لمنهاج المصنّف.

وفي الختام أحمده تعالى على جزيل نعمته التي منّ بها عليّ بعظيم قدرته إذ كتب لي أن أسهم والصّديق الفاضل الحاج الحبيب اللّمسي، صاحب دار الغرب الإسلامي ، في طباعة وتوزيع هذه النّادرة الخالدة تعميماً للعلم والفائدة ووفاء لذكرى من شدّ على يدي منذ نشأة المعهد القومي للآثار والفنون فرعاني رعاية الأب الرّوحي الحنون وعاملني كأن لي في العلم باعاً وأنا تلميذ وهو العلاّمة أستاذ الجيل.

فالله حسبي ونعم الوكيل.

عز الدين باش شاوش

عن قرطاجنّة في 22 رمضان 18/1410 أفريل ـ نيسان 1990

الحمد لله وحده

كلمة لا بدّ منها:

كانت صلاتي الأولى بالمرحوم حسن حسني عبد الوهاب صلةً عاديةً لا تكاد تتجاوز التحيّات والمجاملات. وبعد انتهاء مهمتي في السلك الديبلوماسي، واستقراري بتونس أخذت تلك الصلة تتطور وتتوطد على مرّ الأيام، فكنت أزوره في منزله بضاحية «صلامبو» وحدي أو صحبة الأخوين الجيلاني بن الحاج يحيى والمرحوم محمد المرزوقي.

ومنذ سنة 1964 م بدأت ألقي أحاديث في الإذاعة التونسية عن الأدب التونسي ومصادره. وقد شدّته تلك الأحاديث فكان ـ كلّما زرته ـ يذكّرني بالبعض مما جاء فيها، ويرشدني إلى مظان أخرى، ويعطي رأيه فيما يعنّ له من توضيح أو استفسار أو تساؤل.

والمعروف أن العلامة حسن حسني عبد الوهاب كان مرجعاً للكثير من الباحثين: تونسيين وغير تونسيين. وكنّا نلتقي بالبعض منهم في منزله أو يذكر لنا من مخزوناته الذهنية ورسائله مع العديد منهم خاصة الأجانب «المستعربين».

وكانت صلتي ـ من ناحية أخرى ـ غير صلة الطلاّب الكثيرين الذين كانوا يزورونه للاستشارة والاستنارة في سبيل إكمال بحث أو الاطلاع على مراجع ـ وحتى استعارتها ـ لدراسات جامعية وغيرها.

وكان الحديث يجرّنا باستمرار إلى «كتاب العمر» وما تمّ منه، وإلى ضرورة التعجيل بإخراجه للناس. والحق، أن امتداد العمر، وضعف البدن أصبحا لا

يساعدانه كثيراً على البحث والتنقّل بين الأمكنة وحتى مع المصادر.

ولكنّي ـ وللحق أقول ـ ما كان يدور بخلدي إطلاقاً ما انتهى إليه المرحوم من قرار هامّ ـ بالنسبة لي ـ عند ما عهد إليّ ـ في أيامه الأخيرة بمواصلة عمله في كتاب العمر مراجعةً وإتماماً. وقد بحثت عن سبب هذا الاختيار عليّ ـ دون غيري ـ فلم يتراء لي ـ لحدّ الآن ـ إلاّ متابعته لتلك الأحاديث الإذاعية والمطارحات التي كانت تدور بيننا أثناء كلّ زيارة.

وهكذا سلّمني ـ قبيل وفاته بأسابيع ـ صندوقين وبعض الملفات فيهما الجذاذات والتراجم التي يتكون منها هذا الكتاب، كما تسلّمت شيئاً قليلاً ـ بعد وفاته ـ من قرينته التي لم يطل بها الزمن فالتحقت بربّها وهي المرحومة علياء بوشوشة التي كانت مثال الإخلاص والولاء لزوجها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب.

ومنذ النظرات الأولى لأضابير وملفات الكتاب أيقنت أنه عمل طويل النفس من جهة وأنه لا بّد من مساعد على إنجازه من جهة أخرى. وهكذا كان الاتجاه إلى السيد بشير البكوش الذي خبرت دأبه وتعمقه في البحث والتنقيب، وأكثر من ذلك توغّله في «الإفريقيات» رغم شبابه الباكر، وتكوّنه الشخصي. والمطلع على تحقيقه لكتاب «رياض النفوس» للمالكي[1] يدرك بسهولة سعة اطلاعه، وجدية تحقيقه. وقد وجدت منه المساعدة الجادة، والدأب المتواصل، والمشاركة الإيجابية في إنجاز هذا العمل الهام.

وإذا كان منهج عملنا تكفّلت به صفحات أخرى من هذا الكتاب فإنه لا يفوتني ولا يخجلني ذكر ما وجدته من عناء وحتى من منغّصات ممّن لا يقدّر العمل الجاد المثمر، ومسؤولية الوفاء للمعرفة وصاحب المعرفة. وقد تعرضت للّمز والتجريح، حتى تهمة السطو، واستغلال الكتاب في أعمال لا صلة لها به أبداً جملة وتفصيلاً. والأنكى من ذلك أن يصدر بعضه عمّن ينسبون إلى المستويات

(1) نشر دار الغرب الإسلامي/ بيروت 1403 - 1983.

العلمية، فيحكمون بالظنّة وحتى بكتم الحقيقة وشهادة الزور، وقد بلغ الأمر إلى حد التشكّي إلى السلطة السياسية العليا في البلاد.

لقد آمنت أن وفائي للمؤلف المرحوم ولوصيته لا يتمثلان في إخراج ما وُجِد من الكتاب على علاّته أو نواقصه، بل يتمثل في العمل على إخراج الكتاب في الصورة الفضلى والشكل الأمثل قدْرَ المستطاع إذ لا يضيره ما انتابه من «إبطاء» وما فيه من تثبت وزيادات بقدر ما يضيره ما يكون عليه من نقص أو سهو يمكن تداركه وتلافيه.

ولعل الذي يطالع الكتاب على الصورة التي انتهى إليها يدرك ـ لا محالة ـ أن السِّمة الغالبة كانت حسنَ الصنيع، وأن التأني السليم أتى بمردوده الطيب، وذلك ما يثلج الصدر. وأكثر من ذلك ما يرضي الضمير.

رحم الله العلاّمة حسن حسني عبد الوهاب الذي بذل حياته وجهده للعلم والدرس. وسامح الله كلّ من تناول حديثاً أو افتعل تجريحاً يجافي الصواب وينكر الحق. والله الهادي. وهو حسبي ونعم الوكيل.

تونس غرة محرم، ثلاثة أوت 1989/1409

محمد العروسي المطوي

منهجنـا وكتـاب العمـر

الطريق الذي سلكناه:

خلال سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وألف بدأت لقاءاتنا لتدارس «كتاب العمر» والطريقة المثلى لنشره. وبعد دراسة أغلب الملفات والجذاذات المسلّمة لنا من قبل المرحوم حسن حسني عبد الوهاب قسّمناها إلى قسمين:

1 ـ مقدمات الكتاب، تراجم مجموعة من الأطباء والأدباء والعلماء، وهو أهمّ محتوياته، نُشِر في الورقات وخاصّة القسم الأول منه.

2 ـ ما لم ينشر ويضمّ بقية الكتاب.

وهذا القسم ينقسم بدوره إلى ثلاث مجموعات:

أ ـ مجموعة من التراجم جاهزة ـ نسبياً ـ وتساوي الثلث تقريباً.

ب ـ مجموعة من التراجم نصف جاهزة وتساوي نحو الثلث.

ج ـ مجموعة من التراجم غير جاهزة تماماً وتساوي نحو الثلث كذلك.

وحتى ما هو في حكم الجاهز يحتاج إلى المراجعة والإكمال، فقد مضى على تحريره وقتٌ طويل، ومنه ما كُتِب في الثلاثينات ونشَره في الأربعينات، ولم يدخل عليه المؤلف أيّ تحوير أو زيادة رغم ظهور مصادر جديدة، وتطوّرٍ في المعلومات.

وكان في حسبان المؤلف، وبعض القريبين منه، أنّ فهارس الكتاب ـ أدلّته ـ

ـ وهي لبّه وروحه ـ تعتبر جاهزة ويمكن نشرها في انتظار إتمام الكتاب وتهيئته[1] ولمّا ألقينا نظرة فاحصة على هذه الفهارس وجدناها لا تصلح للنشر على هيئتها تلك، ومن المجازفة نشرها قبل مطابقتها على نصوص الكتاب والتأكد من الأعلام الذين تركهم المؤلف في جذاذات لا تحمل غير اسم المؤلّف واسم كتاب من كُتُبه دون إحالة على مصادر للترجمة.

عند ذلك قررنا الانطلاق من الفهارس نفسها واعتبارها الأصل لكل ترجمة، وقارنّا كلّ ملفّ بما هو موجود عنه في الفهارس. وكانت هذه الطريقة خير معين لنا في ضبط التراجم الناقصة تماماً أو التي ليس لها ملفات بالمرّة.

ثمّ كان اعتمادنا على الفهارس في التقيّد بما هو مذكور فيها من الأعلام، فقد حصرنا غايتنا في تتميم وإكمال تراجم الأشخاص المذكورين في الفهارس.

وكانت أكبر عقبة صادفتنا ـ ونحن نتفحّص الملفّات بأنواعها ـ هي كيف: ندرج إضافاتنا وتكميلاتنا؟ هل ندمجها في النصّ ونميّزها بوضعها بين معقّفات أو أقواس؟.

لكنّ هذه الطريقة على ما فيها من إثقال النص بالمعقّفات واالأقواس، فإنّ فيها خطراً أكبر، وهو أن بعض من لا يميّز قد يدفعه التعجل إلى نسبة أخطائنا ـ إذا حصلت ـ إلى المؤلف نفسه، فنظلم الرجل من حيث قصَدْنا الإحسانَ إليه. لذلك خيَّرنا أن تكون زياداتنا وتكميلاتنا في شكل تعليقات متسلسلة الأرقام ملحقة في آخر كل ترجمة، كما بينّا التراجم التي هي من وضعنا وميّزناها بإشارة نجمة (*) في عنوان الترجمة مع التنبيه على ذلك في الحاشية.

أمّا المصادر التي زدناها فقد قسمناها إلى ثلاثة أصناف:

أ ـ **مخطوطات طبعت**، وهي المصادر التي اعتمدها المؤلف مخطوطة ثم طبعت بعده أو لم يطّلع على طبعها عند تأليف الكتاب.

(1) لاحظنا أن المؤلف حرص في إتمام الفهارس وإعطائها الصبغة النهائية للكتاب أكثر من حرصه على إتمام التراجم.

ب ـ **طبعات جديدة**، وهي مصادر اعتمد فيها المؤلف طبعات قديمة لم تعد متوفرة اليوم في عالم البحث والدراسة، كما امتازت أغلب الطبعات الجديدة بتحقيق للنص لم يكن موجوداً في طبعات سابقة.

ج ـ **إضافات**، وهي تشمل المصادر التي فاتت المؤلف أو ظهرت بعده.

وقد يتساءل امرؤ: لماذا اعتمدنا تصنيف الكتاب على الفنون؟ ولماذا لم نعتمد طريقة أخرى كالترتيب الألفبائي مثلاً؟ يمكن أن نجيب بأننا احترمنا طريقة المؤلف ومنهجه في ذلك، فقد تسلّمنا الملفات مقسمة إلى فنون مع تغليب فنّ على غيره لدى بعض المترجم لهم. وهو المنهج الذي اِتّبعه السابقون ممّن ألف في تاريخ الأدب والتراث العربي عامة.

عنوان الكتاب ومراحل تأليفه:

بقيت لنا كلمة تخص عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه، فقد مرّ هذا العمل بمراحل وأطوار يحسن ذكرها.

وغنيّ عن البيان أن المؤلف بدأ حياته العلمية باحثاً في تاريخ الأدب التونسي، جامعاً لأشتات ما كتبه السلف من شعر ونثر انتهى به إلى إصدار كتابه «المنتخبات المدرسية للناشئة التونسية» سنة 1326 هـ (1918 م) سرعان ما أتبع ذلك بسلسلة مقالات في مجلتي «البدر» و«العرب» تحت عنوان «ديوان الأدب التونسي[1] وذلك خلال سنوات 1340 - 1342 هـ/ 1920 - 1922 م، ركّز فيها على جمع ما توفر لديه من منظوم المترجَم لهم ومنثورهم دون اهتمام كبير بالمصنفات.

---

(1) نشر في هذه السلسلة أربع عشرة ترجمة في إحدى عشرة حلقة، قدّمت لها هيئة التحرير في مجلة البدر في صدر حلقتها الأولى: «بأن الأستاذ ح. ح. عبد الوهاب جمع تحت هذا العنوان «ديوان الأدب التونسي» تراجم زهاء الخمسمائة شاعر من بداية الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر وهو عبارة عن ثلاث مجلدات.

والمرجّح أنّ ما جاء في تحديد عدد المجلّدات وعدد الشعراء المترجَم لهم هو مجرّد تقديرات وبرنامج عمل. آية ذلك أننا لا نجد في مخلّفه من مسوّدات هذا العمل ونصوصه المجموعة غير التراجم الأربعة عشر السالفة الذكر، ومسوّدات كتاب «المجمل» ما يزيد عليها إلاّ بالشيء اليسير.

ويبدو أنه غيّر منهجه في التعريف بأعلام التونسيين منذ أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الثالث من هذا القرن الميلادي إلى التركيز على ما للمترجَم من آثار ومؤلفات، وما هو مطبوع منها، والمظانّ التي يتوفر فيها المخطوط.

وهكذا لم يكد يبـزغ العقد الرابع من هذا القرن حتى كان المؤلف قد حرّر من التراجم على هذا المنهج الجديد طائفة صالحة بعضها مبيّض وبعضها الآخر مسوّدات، والبعض الآخر رؤوس أقلام ومجرّد أسماء كُتُبٍ وأسماء مؤلفين[1].

وصدرت خلال سنة 1944 م مجلة «الثريا» فبدأ ينشر فيها ما انتهى من إعداده وتبييضه من التراجم تحت عنوان اختاره لها «صدور الأفارقة»[2] وهذا النشر ـ وإن كان منتظماً نسبياً ـ فهو لم يتجاوز الاثني عشرة حلّقة في مجموعه.

وبدخول العقد الخامس من هذا القرن نجد الكتاب مذكوراً ومعتمداً عند اثنين من أصدقائه والمتصلين به:

أما الأول فهو المرحوم فؤاد سيّد[3] أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية والباحث المصري المعروف، فقد استفاد من تراجم «كتاب العمر» في تحقيقه لكتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جُلْجُل[4].

وأحـال عليـه باسم لم نعرفه إلا من خلاله، حيث ذكره عند تَعداده لمصادر ابن الجزار ص 88 «وقد ترجم له (لابن الجزار) السيّد حسن حسني عبد الوهاب

(1) مما يدلنا على هذا التغيير في اهتمام المؤلف وانصرافه عن ناحية جمع النصوص الأدبية وتتبعها إلى العناية بالمؤلفين والمصنّفات أننا نجده سواء في مطالعاته وما يرسمه على حواشي كتبه أو ينقله في جذاذاته، لا يهتم إلّا بتتبع حركة المؤلفين والمصنّفات ممّا يستروح منه أنّ اهتمامه بالناحية الأولى ـ جمع الأشعار والنصوص ـ كان في مرحلة مبكرة من حياته، وكذلك كان انصرافه عنها. وهذا تأكيد لما قلناه في التعليق السابق.

(2) نشر أول حلقة في العدد الخامس من السنة الأولى. ونشر الحلقة الثانية عشرة والأخيرة في العدد السادس من السنة الثانية.

(3) توفّي فؤاد سيد سنة 1387 هـ/ 1967 م.

(4) طبع المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة 1955 م.

التونسي في كتابه «الذخيرة في تاريخ إفريقية ـ مخطوط» ترجمة مستفيضة ـ أفدت منها ـ وذكر من مؤلفاته نحو الأربعين مصنّفاً»[1].

وثانيهما هو صديقه المرحوم خير الدين الزركلي [2] مؤلف كتاب «الأعلام» المشهور، الذي استفاد في تأليفه المذكور من كتابات المؤلف المنشورة والمخطوطة حيث أشار إلى كتاب «العمر» في قائمة مصادره في الجزء العاشر من الأعلام[3] بقوله: «صدور الأفارقة لحسن حسني عبد الوهاب، مخطوط في عدّة مجلّدات، ما زال المؤلف ـ حفظه الله ـ يعمل فيه زيادة وتحقيقاً، ولم يسمِّه، اطّلعت [4] على نحو عشرين كرّاساً منه. وسألته: ما اسم الكتاب؟ فقال: كتاب العمر [5]. ونشر فصولاً منه في مجلّة الثريّا بتونس تحت عنوان صدور الأفارقة.».

ويمكن اعتبار هذا التصريح أول مرّة يذكر فيها اسم «كتاب العمر». ونجده من جهة أخرى قد اختار لكتابه عدّة عناوين حسبما هو مثبت على ظهر الملف المتضمن لمسوّدات الفهارس. وفيما يلي نصّها:

«التعريف»

بما للتونسيين من التآليف.

أو

دليل الباحثين عمّن ألّف من التونسيين

أو

---

(1) هي الترجمة المنشورة في الورقات 1 :306 - 322.

(2) توفي خير الدين الزركلي سنة 1396 هـ/ 1976 م.

(3) في الطبعة الثانية من الأعلام ط. 1378 هـ/ 1959 م.

(4) كان ذلك عند زيارته لتونس أثناء مؤتمر الحزب الحرّ الدستوري التونسي في صفاقس (أكتوبر 1955).

(5) أعاد الزركلي هذا الكلام بفحواه مختصراً عندما ترجم للمؤلف في طبعة دار العلم للملايين. بيروت.

«المفاخر» بما للتونسيين من مآثر

أو

الموسوعة التونسية في تاريخ العلوم العربية بالقطر الإفريقي

أو

«الممهِّد»

لتاريخ العلوم العربية بالقطر الإفريقي

والمستروح من كلّ هذه التسميات أن المؤلف لم يقرّ قراره على تسمية خاصة بالكتاب. ولكنه منذ أواسط العقد الخامس من هذا القرن ولقائه بخير الدين الزركلي بدأ يأخذ بتسمية كتابه بـ «كتاب العمر». وهو ما استقرّ عليه رأيه عند إصدار القسم الأول من الورقات سنة 1965 م.

وخير ما نختتم به هذه الكلمة أننا نقدِم بعون الله وتأييده ـ على إصدار الجزء الأول من «كتاب العمر» بعد طول انتظار وتلهّف عسى أن يجد فيه المتلهّفون والمنتظرون ضالّتهم فيما أضفناه وحققناه، تاركين للقرّاء والدّارسين وأهل الخبرة تقييمه وتمحيصه، لا نستنكف الاستفادة مما يعود على هذا الجهد بالنفع ومحاولة الكمال.

والله من وراء القصد، هو حسبنا ونعم الوكيل.

محمد العروسي المطوي، بشير البكوش
تونس غرة محرم، ثلاثة أوت 1989/1409



حسن حسني عبد الوهاب في أوج عطائه
(مصلحة التصوير الثقافي/ وزارة الثقافة تونس)

ترجمـة ذاتيـة(1)

الاسم: حسن حسني عبد الوهاب ـ وهو اللقب العـائلي ـ نسبة إلى جـدّي عبـد الوهـاب بن يوسف التجيبـي الـذي كان يـدير الحـرس الأهلي للبلاد «وهم الحوانب»، ويرأس التشريفات في مدة البايات الحسينيين من عهد الباي محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي إلى أيام المشير أحمد باي الأول.

وتقلّـب بعده ابْنُه والدي (صالح بن عبد الوهاب) في عدة وظائف. وكان في عصره من الأفراد التونسيين القلائل، إذ إنه تعلّم بجامع الزيتونة، ودرس بعد ذلك اللغة الفرنسية بمكتب الرهبان (Ecole des frères) الواقع بنهج جامع الزيتونة الآن (نهج الكنيسة سابقاً) حتى أَتقنها جيداً، فأضافه «الفريق حسين» وزيـر الخارجيـة إليه، وصار الوالد يصاحبه كمترجم في السفارات المتنقلة التي كانت ترسلها الدولة التونسية إلى أوروبا كلما حصل خلاف مع الممالك الإفرنجية (إيطاليا قبل الوحدة، وفرنسا وانكلترا وغيرها) في عصر كانت رحلة التونسيين إلى تلك البلاد قليلة جداً

---

(1) الترجمة المتداولة للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب هي التي كتبها بنفسه، وأعطى نسخاً منها أو استنسخها منه من طلبها مع اختلاف قليـل بينها غـالبه في الصيـاغة الشكليـة. وقد نشرت هذه الترجمة في مناسبات مختلفة؛ انظر مثلاً: المجمعيون «القاهرة/ 1966» ومجلة الفكر «ديسمبر 1968» والصفحة الثقافيـة لجريـدة العمل «8 نـوفمبر 1968» ونشـرية «جـائزة الرئيس بورقيبة ـ الدار التونسية للنشر 1969» وانظر خاصة «حوليات الجامعة التونسية» (عدد 1969/6) إذ قام الأستاذ رشـاد الحمزاوي بمقـارنة ثـلاثة نسـخ. وقد علقنـا عليها بمـا رأيناه مناسباً.

من 1869 إلى 1880. وكان الوالد المرحوم مولَعا بفن التاريخ (والعرق دساس، كما في الحديث النبوي) وله تأليف في أَخبار مملكة المغرب الأقصى لم يطبع بعد[1].

وتقلب الوالد ـ بعد الحماية ـ في جملة وظائف منها عمل الأعراض (قابس) والمهدية. وتو في آخر سنة 1904.

أَما ابنه حسن حسني فإنه ولد آخر شعبان 1301 (21 يونيه 1884) بنهج عبد الوهاب رقم 25. ووالدته «حنيفة بنت علي بن مصطفى آغة قيصرلي» كان أَبوها أكبر أعوان (معين أول) للوزير خير الدين باشا.

وأول دراستي كانت في كتّاب بنهج سيدي الموحّد ـ بين نهج الوادي ونهج بوخريص ـ حسب العادة المتبعة حينئذٍ لصغار التونسيين. ثم تحولت إلى المدرسة الابتدائية بالمهدية، وتلقيت هناك حفظ الرّبُع الأَخير من القرآن الكريم. كما أبتدأت تعلّم اللغة الفرنسية.

ولما انتقل الوالد من المهدية إلى تونس دخلت أول مكتب فرنسي لائكي بالحاضرة بنهج السويد. ونلت شهادة العلوم الابتدائية 1899 فالتحقت بالمدرسة الصادقية وزاولت بها العربية والترجمة. ثم قصدت باريس وانتظمت في سلك تلاميذ «مدرسة العلوم السياسية» وتابعت التعلّم بها. ومن أساتذتها «دي منتاي/ De Monteil».

وفي الأثناء كنت أحضر محاضرات الحكيم «شاركو/ Charcot» في تحليل الأخلاق والنحائز والطبائع. وتوفيّ الوالد آخر سنة 1904، فعدت إلى البيت في حضرة تونس، وانخرطت بعد في سلك موظفي «إدارة الفلاحة والتجارة» في قسم «أَملاك الدولة» آخر سنة 1905.

وبعد خمس سنين عيّنت رئيساً لإدارة غابة الزياتين للشمال التونسي سنة 1910.

(1) لا نعرف عن هذا الكتاب شيئاً.

وفي أثناء الحرب الكبرى الأولى التحقت بإدارة «المصالح الاقتصادية/ Ser-vices Economiques» في سنة 1916 بصفة «رئيس قسم» وفارقتها لرئاسة «خزينة المحفوظات التونسية/ Archives Générales» في سنة 1920، وقد استفدت كثيراً من هذا العمل حيث أُتيح لي الاطلاع على مجرى أحداث التاريخ التونسي منذ الفتح التركي وبعده. ولا يخفى أن خزنة المكاتيب الدولية ـ كما كانت تسمّى ـ هي من محاسن مؤسسات الوزير خير الدين حين مباشرته لشؤون الدولة التونسية. وأهم عمل قمت به هناك هو أني وضعت لها جهازاً تاماً لفهرست محتوياتها في جذاذات محفوظة في صندوق خاص «Fichiers» وهو المعمول به إلى الآن، ولم يكن ذلك موجوداً بها.

وفي سنة 1925[1] عيّنت عاملاً (والياً) على المثاليث، ومقر الإدارة «جبنيانة». وكانت تلك الناحية تابعة لولاية صفاقس[2] ولم يعتن بمصالحها منذ أحقاب توالت عليها، فسعيت جهدي في إقرار أهاليها بالأرض لتعميرها وبإيجاد عدة مكاتب ابتدائية، وإحداث طرقات معبدة، وتزويد القرى بالماء الصالح للشراب، وتنوير مركز العمل ليلاً.

وفي آخر سنة 1928[3] نقلت والياً إلى المهدية الفاطمية فاجتهدت في نشر التعليم في القرى والمداشر. وكنت أُلقي في كل أُسبوع محاضرات في التاريخ الإسلامي وبخاصة في أحداث تلك الجهة في محل ناديها ونادي الشبيبة. وأوقفت كتباً كثيرة على مكتبات المدينة الفاطمية.

وفي سنة 1935 سمّيت والياً (عاملاً) على الوطن القبلي (نابل وناحيتها)

(1) في الحوليات (1920) وهو سهو.
(2) كان المرحوم ح. ح. عبد الوهاب أول «عامل» على المثاليث؛ (جبنيانة) بعد التقسيم.
(3) لعل صاحب الترجمة كان يعني تواريخ المباشرة الفعلية للمنصب؛ لأن أمر توليته «عاملاً» على المهدية كان بتاريخ جوان 1928 وعلى نابل بتاريخ ديسمبر 1934 كما أن أمر تعيينه بالإدارة المحلية والجهوية كان بتاريخ أوت 1938.

فاهتممت بمصالحها العمومية بقدر الجهد. وأوقفت كذلك من الكتب العربية كثيراً على مركز الولاية وعلى القرى الكبيرة والصغيرة.

وفي سنة 1939 عدت للحضرة التونسية بصفة وكيل بـ «الإدارة المحلية والجهوية» يعني شؤون الإدارة الداخلية للبلاد. وفي أثناء مباشرتي لهذا المنصب أُحِلْتُ على التقاعد لبلوغي السن القانونية بعد أربع وثلاثين عاماً من العمل المنهك. لكن الإدارة المركزية أبت إلاّ أن تعينني رئيساً لـ «مصلحة الأوقاف»[1] فاجتهدت في الذب عن مصالحها، ومنع أيدي الطمع من الامتداد إلى أملاك الأوقاف وأراضيها الخصبة.

وبمجرد انتهاء الحرب الكبرى الثانية من البلاد التونسية انتخبت وزيراً للقلم وهو وظيف يشمل الإشراف على إدارة الشؤون الداخلية للبلاد، والقيام بتحرير المهم من المكاتيب الدولية ومخاطبة ملوك الخارج. وذلك في 3 ماي سنة 1943، فشغلت هذا المنصب مع آخر البايات الحسينيين «محمد الأمين».

وتخليت عن هذا المنصب نهائياً في شهر يولية 1947. ومن ذلك الحين انقطعت عن الأشغال الإدارية، وأقبلت على العمل في تأليفي الكبير «كتاب العمر» وكذلك السفر إلى الأقطار الشرقية والغربية.

ولما نالت البلاد التونسية الاستقلال، وفارق الموظفون الفرنسيون المصالح الإدارية دعيت من جانب الحكومة التونسية الجديدة لرئاسة ما سمي بـ «المعهد القومي للآثار والفنون» في سنة 1957. وباشرت هذه المهمة إلى عام 1962[2]،

(1) كان ذلك سنة (1361 هـ ـ 1942 م).

(2) وظل ـ رحمه الله ـ منذ ذلك التاريخ ملازماً بيته ومكتبته في نهج الحقيقة بتونس العاصمة أوّلاً. ثم انتقل إلى منزله بضاحية صلامبو إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم 18 شعبان 1388 الموافق 1968/11/9 بعد يومين فقط من منحه جائزة الدولة التقديرية. وكان وضعه الصحي لا يسمح له بتسلمها مباشرة فتسلمها نيابة عنه وفيّه الدكتور الصادق المقدم رئيس مجلس الأمة في ذلك العهد.

وكان لا يني عن قراءةٍ وكتابةٍ إلى آخر أيامه. ومن آخر ما كتبه «لمحة عن المهدية الفاطمية» المنشور بالجزء الثالث من كتابه «ورقات عن الحضارة العربية الإفريقية».

فأقبلت على العمل بها بجد نادر مدة خمس سنوات متوالية. وقد هيّأت بعض الشباب للمعاضدة حيث لم يبقَ من الموظفين الفرنسيين أَحد. ويسّر الله في تلك الفينة أن نقلت مصلحة الآثار من محلها القديم «ساباط سوق الفكة» إلى دار «حسين الفريق» التي كانت مقراً لقائد الجيش الفرنسي ولأركان حربه بساحة القصر. وبعد ترميم الدار كما يجب اتخذت بقسمها الأعلى مكاتب الإدارة، وبقسمها الأسفل متحفاً للفنون الإسلامية. ولم يكن لهذه الفنون أدنى حظ بين الآثار التونسية.

ومن مِنَن الله أَن أسّست مدة رئاستي للآثار خمسة متاحف منها أربعة للأعلاق الإسلامية: «متحف علي بورقيبة» في رباط المنستير، ومتحف «أسد ابن الفرات» برباط سوسة، ومتحف «إبراهيم بن الأَغلب» في القيروان، ومتحف «دار حسين الإسلامي» المتقدم الذكر، ثم مستودع للآثار الكلاسيكية (Antiquarium) بقرطاجنة في نفس بيت أَحد أَعيان الرومان.

وفي تلك المدة نشرتُ في مختلف الجرائد والمجلات فصولاً كثيرة، وحرّضت الباحثين عن الآثار لإخراج ما كتبوه بالعربية والفرنسية، كما قدمت لمصنّفاتهم ببعض تمهيدات تاريخية وفلسفية، وبمقدمات مناسبة، وهي نحو العشرة مؤلفات في شتى الأَغراض الأثرية. فهذه خلاصة حياتي الإدارية.

* * *

أما حياتي العلمية:

فقد تم لي المشاركة في غالب مؤتمرات المستشرقين ابتداء من عام 1905 بعاصمة الجزائر. وقدّمت فيه بحثاً عن الاستيلاء العربي لصقلية[1] وتعرفت هناك بثلة من العلماء المشاركين عرباً كانوا أَو إفرنجاً، منهم «محمد فريد بك» رئيس الحزب الوطني المصري إذ ذاك[2]، والشيخ «عبد العزيز شاويش» المشهور، وهو

(1) عرّب هذا الفصل في القسم الثالث من الورقات.

(2) كان محمد فريد في هذه السنة نائباً لرئيس الحزب الوطني مصطفى كامل باشا. وبعد وفاة هذا الأخير سنة 1908 تولى مكانه رئاسة الحزب.

تونسي الأصل. وصارا من حينئذٍ من أكبر الأصدقاء، و«جورج براون» الانكليزي، وكـذا المستر «بيفن/ Bevan» و«آمـردروز/ Amerdros» وفولارس و«نـولـدكي» الألماني و«كوديرا» و«ريبيرا/ Ribera» و«ميشـال آسين بالاثيـوس» وثلاثتهم من إسبـانيا، و«لـويس مـاسينيـون/ Louis Massignon» و«وليم مـرسي» وصـديقي المرحوم «محمد بن أبي الشنب» وغيرهم كثير جداً. وامتدت علاقتي بجميعهم بعد ذلك.

وفي سنة 1908 شاركت في مؤتمر «كبنهاكن» عاصمة الدانمارك. ومن وجوه العلمـاء الذين تعـرفت بهم هناك أَوّلاً: جـلالة الملك «قستـاف أدولف» والبارون «ماكس/ أوبنهائم» الألماني «وقولدزهير/ Goldziher» العالم النمساوي المشهور. والأب «لامنس» والأب «لويس شيخو» اليسـوعيين. وقد قمت بمعـارضتهما فيمـا قدّما[1] من البحث حيث وصفا النبيء العربي الكـريم بما لا يليق وافتـريا عليـه. والملاحظ أني كنت المسلم الوحيد في حضور هذا المؤتمر. ولهذا تجاسرا بإبداء الطعن على الإسلام جهاراً. وكان البحث الذي عزمت على تقديمه هنـاك باللغـة الفرنسية: «مختلف العناصر التي يتكون منها الشعب التونسي[2] وقد طبع بعد ذلك بتونس سنة 1917 فعدلت عن إلقاء بحثي لمعارضتهما. وكان لمعارضتي للراهبين المتقدمين رنّة كبيرة بين المؤتمرين، وتأييد من جانب عظيم منهم.

وفي عام 1922 شاركت في مؤتمر باريس للمستشرقين الفرنسـويين. ثم في المؤتمـر المنعقد بـرباط الفتـح بالمغـرب سنة 1927، ثم في مؤتمـر «كمبريـدج» بـإنكلترا، و«إسـطنبول» و«مـونيخ» في ألمـانيـا. وفي جميعهـا كنت النـائب عن الحكـومة التـونسية، ودعيت لحضـور الندوات العلميـة التي دارت بالبنـدقيـة في معهد[3] «Comte Cini» وكذلك ملتقى «فيورينسة» بإيطاليا للتقارب بين المدنيات

(1) في الحوليات «تقدم» وهو سهو.

(2) عرّب هذا الفصل في القسم الثالث من الورقات.

(3) في الحوليات «عهد» وهو سهو. ومعهد كونت شيني أسسه سنة 1931 «فيكتور يوشيني» أحد الأثرياء الكبار بالبندقية تخليداً لذكرى وفاة ولده. وهو معهد للدراسات والبحـوث، ويوجـه =

والأديان برئاسة الأمير الحسن المغربي الشرفية. وغير ذلك مما يطول تعداده.

ونبت عن الحكومة التونسية في مؤتمر الموسيقى الشرقية المنعقد بالقاهرة في أفريل سنة 1932. وقد كنت تعرفت قبل ذلك في سنة 1914 بالأمير أحمد فؤاد (نجل الخديوي إسماعيل) في نابلي بإيطاليا قبل أن يصير ملكاً لمصر.

وفي نظري أن الملك فؤاد كان ـ بلا نزاع ـ من أجلّ ملوك المسلمين، ومن أقواهم عزيمة وحبّاً لجمع كلمة العروبة والرغبة الصادقة في الدفاع عن الحضارة الإسلامية، مع الذكاء الوقاد الذي خصه الله به، والثقافة الواسعة. ولا يخفى أنه من حين استقر أبوه إسماعيل باشا في بلاد إيطاليا ـ بعد التنازل عن الملك ـ انخرط البرنس أحمد فؤاد في المدارس الحربية هناك. ودرس بها إلى أن نال بكدّ يمينه رتبة أميرالاي (Colonel) في الخيالة بلا محاباة ولا مراعاة لأصالته. وكان يحسن اللغة الإيطالية كأحد أبنائها، وكذا اللسان الفرنسي مع نبرة إيطالية واضحة للسامع.

وقد سألني مرة ـ تغمده الله برحمته ـ ونحن نتغدّى على مائدته بقصر القبة بمحضر وزيره الأكبر «محمد محمود» عن حالة المغرب، وتقسيماته، ونظامه الإداري، فأخذت في الوصف بما يناسب المقام. واشتغلت بالكلام عن الطعام، فالتفت إليّ وقال:

ـ حملتك مشقة الكلام كثيراً فلم تأكل إلا قليلاً.

فأجبته بقولي:

ـ يا أفندينا. موائد الملوك إنما هي للشرف لا للعلف.

فانبسط منها كثيراً. وسألني مرة أخرى:

ـ كيف وجدت مصر؟

= عناية خاصة لبلدان الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص ما يتصل بالعلاقات التاريخية بين البندقية وتلك البلدان/ عن الموسوعة الإيطالية.

فكان جوابي :

ـ يا أَفنديناً. سئل أَبو العباس المقّري المغربي مصنّف كتاب «نفح الطيب» عما شاهده بمصر حين زارها فأجاب : (من لم يزر مصر لا يعرف عز الإسلام) وأَنا أقول بقوله ولا أَحيد عنه.

ولا ننسى أَن الملك فؤاد كانت له مواقف حاسمة للحصول على استقلال مصر، وكذا في الدفاع عن العروبة جملة. وليس هنا محل بسطها وشرحها. رحمة الله عليه وجزاه الجزاء الأوفى. وفي المثل المطروق «النار تترك الرماد».

وهو الذي عيَّنني عضواً دائماً في «مجمع اللغة العربية» لأَول تأسيسه آخر سنة 1932. وأَنا اليوم آخر من بقي من الأعضاء الأَولين للمجمع. وكنا في البداية عشرين عضواً لا غير: عشرة من المصريين، وخمسة من الشرقيين، وخمسة من المستشرقين. وقد شاركت بقدر الاستطاعة في الأَبحاث والمناقشات الدائرة في المجمع منذ التأسيس، ولا سيما عندما أثيرت الدعوى لإِبدال الحروف العربية بغيرها.

أَما اللغات التي أَحسنها فهي : أَولاً وبالذات العربية لغة أَهلي وقومي، ثم الإفرنسية، وقليل من الإيطالية : وكذا من التركية.

أَما عنايتي بالثقافة وبث وسائلها داخل البلاد التونسية فقد درَّست التاريخ العام وخاصة التونسي في الخلدونية من سنة 1910 إلى سنة 1924 بعد المرحوم البشير صفر، وكذا في المدرسة العليا للغة والآداب العربية «سوق العطارين» من سنة 1913 إلى آخر 1924.

ومنحتني جامعة العلوم بالقاهرة لقب الدكتوراه الفخرية في سنة 1950، كما مُنِحت ذلك اللقب من «جامعة العلوم الجزائرية» ودعيت للحضور بنفسي سنة 1960 فلم أَجب حيث كانت حرب التحرير قائمة على ساق حينئذٍ، وسمّيت عضواً مشاركاً في «المجمع الفرنسي للنقائش والفنون الجميلة» منذ سنة 1939، وكذلك في المعهد المصري، وعضواً مراسلاً للمعهد التاريخي الإسباني منذ أَربعين عاماً،

وعضـواً في كل من المجمـع العلمي العربي بـدمشق منذ تـأسيسه، وكـذلك في المجمع العلمي العراقي في بغداد، وغير ذلك.

أمـا أسفـاري:

فإلى جميع القارة الأوروبية بإدخال البلاد الروسية حيث دعيت من مجمعها العلمي، فزرت علاوة عن موسكو جمهورية الأزبكستان (تاشقند وهي بلاد الشاش قديماً) و «سمرقند» حيث ضريح الصحابي الفاتح قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول و «بخارى» حيث ضريح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

وفيما عدا ذلك تجولت في ممالك الشرق الأدنى، وفي سائر أَقطار أُوروبـا جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً. كما طفت بجميـع أَقطار شمـال إفريقيـا من المحيط الأطلنطي إلى السويس.

وحججت ثلاث حجات أُولاها في سنة 1935. وتعرفت مليًّا بالملك المرحوم عبد العزيز آل سعود. وقد أنابتني في المرة الثانية الدولة التونسية لتقديم رسالة من الباي أحمد الثاني مع أَوسمة مرصعة بالحجارة الكريمـة، وهدايـا أهلية معتبـرة، فقبلني بحفاوة زائدة. وأَقمت ضيفاً على السعودية. واستفدت من محادثات الملك بكثير من أَخباره وقيامه بالدعوة لأسرته وفتوحه وتوحيده للمملكة العربية الشمالية. [وكانت حجتي الأخيرة في خلال سنة 1944 وأنا وزير للقلم والاستشارة][1].

وفي أثنـاء إحدى تلك الحجـج تعرفت بـالمستعرب الانكليـزي المسلماني (عبد الله فيلبـي). ولا أَنسى أنه كـان أَفادني كثيـراً عن جولتـه العلمية في الـربع الخالي والأحقاف من الجزيرة العربية، تلك الجولة التي قطع معظمهـا في سيارة

---

(1) أصل الجملة التي بين معقفين والواردة في أغلب المصادر وبخط المؤلف أيضاً هي «وكانت حجتي الأخيرة في خلال سنة 1950 وأنا رئيس للأوقاف» ويبدو أن هنالك سهواً من المرحوم ح. ح. عبـد الوهـاب. وقد اعتمـدنا في تصحيـح النص على الوثـائق الرسميـة للحجيـج التونسيين ومجلة الثريا سنة 1944 عدد 11 ومقال المـرحوم محمـد الفاضـل بن عاشـور في مجمع اللغة العربية سنة 1969 بالإضافة إلى تأكيدات عائلة الفقيد.

وعلى الجمال. وقد أدرج فيها كتاباً مفيداً جدّاً. وهو عمدة الباحثين عن خفايا الجزيرة وجهاتها المجهولة.

وإني لأعتذر كثيراً إذ إني أطلت في ذكر حياتي وملابساتها. وما هي بأحسن من غيرها:

ولكنّ البلاد إذا اقشعرّت　　وصوّح نبتها رُعي الهشيم

ويعلم الله كم يخجلني أن أكون مثل بعض الأحباب[1]، وهو الآن من الأموات كان يكتب على بطاقة زيارته أسماء كل الجمعيات التي كان مشتركاً فيها، ويرسم بآخر البطاقة «انظر محوله» لأن وجه الورقة غير كافٍ لاحتواء جميع الجمعيات والمؤسسات التي هو عضو فيها. ولو أردت إحصاء أحبابي في الشرق والغرب للزمني دفتر خاص ذو صفحات عديدة. وفيما ذكرت كفاية، بل ربما كان من التطويل الممل.

وما أُنزه نفسي، فإن النفس أمّارة بالسوء. وإليه سبحانه أضرع أن يتغمّدني برحمة منه، وأن يستر عيوبي: ما ظهر منها وما بطن، بفضله تعالى وكرمه.

مؤلفات باللغة العربية:

* (بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق) طبع تونس 1912[2].
* (خلاصة تاريخ تونس) طبعة أولى: تونس 1918 ـ ثانية 1930 ـ ثالثة بتونس سنة 1953[3].
* (المنتخب المدرسي من الأدب التونسي) طبعة أولى بتونس 1908 ـ ثانية في المطبعة الأميرية المصرية سنة 1944[4].

---

(1) المشاع ذلك عن الوجيه المرحوم حمّودة بوسن.

(2) طبع بإشرافنا ثانية بتونس سنة 1970.

(3) ورابعة بتونس سنة 1968.

(4) وثالثة بتونس سنة 1968 بعنوان «مجمل تاريخ الأدب التونسي» وفيه زيادات عن الطبعتين السابقتين إلى العصر الحاضر.

* (الإرشاد إلى قواعد الاقتصاد) طبعة تونس 1919.

* (شهيرات التونسيات) ـ تونس ـ ط ـ أولى 1934 ـ ثانية 1966.

* (الإمام المازري) ترجمة حياته مع بحث عن تسلسل السند العلمي في تونس منذ الفتح العربي ـ طبعة تونس 1955.

* (ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية) (جزء أول) ط ـ تونس 1965 ـ (جزء ثاني) ط ـ تونس 1966[1].

نشريات محققة:

* (رسائل الانتقاد) مقامات في النقد الأدبي لمحمد بن شرف القيرواني طبع دمشق 1912.

* (ملقى السبيل) ـ في الوعظ والحكم لأبي العلاء المعرّي طبع دمشق 1912.

* (أعمال الأعلام ـ قسم تاريخ إفريقية وصقلية) لابن الخطيب الأندلسي، طبع بلرمو بصقلية 1910.

* (وصف إفريقية والأندلس) لابن فضل الله العمري، طبع تونس سنة 1920.

* (كتاب يفعول) بحث لغوي للصاغاني ـ طبع تونس سنة 1924.

* (التبصّر بالتجارة) للجاحظ ـ ط. أولى بدمشق 1933، وثانية بمصر 1925، وثالثة ببيروت 1966.

* (الجمانة في إزالة الرطانة) في اللهجة الأندلسية والتونسية لمجهول ط. المعهد العلمي بمصر 1953.

* (آداب المعلمين) مما دوّن محمد بن سحنون عن أبيه ـ ط. تونس 1934 (1350)[2].

---

(1) طبع جزء ثالث من جمعنا وتحقيقنا تونس 1972.

(2) صدرت له طبعة ثانية بتونس سنة 1972/1392 بمراجعة م. ع. المطوي.

* (رحلة التجاني) في البلاد التونسية وطرابلس لعبد الله التجاني ـ ط. تونس 1958.

مصنفات وأبحاث باللغة الفرنسية:

* (الاستيلاء الإسلامي على صقلية) ـ ط. تونس 1905 [1].
* (امتزاج العناصر التي يتألف منها الشعب التونسي) ـ ط. تونس 1917[1].
* (تقدم الموسيقى العربية بالمشرق والمغرب والأندلس) ـ ط. تونس 1918.
* (شاهد عيان لفتح الأندلس) ـ ط. تونس 1932.
* (منعرج في تاريخ الأغالبة: ثورة الطنبذي) ـ ط. تونس 1937[1].
* (بحث في دينارين نورمانيين بالمهدية) ـ ط. تونس 1930.

---

(1) عرّب في القسم الثالث من الورقات.

الفصل الأوّل

مقدّمات الكِتَاب

I
انبثاق الحضارة التونسية

آفـاق تونـس

إن شـأن هـذا البحـر المتـوسط لشـأن عجيب! مهـد الحضـارة، ومبعث الرسالات، ومنبع الشعر، والفن، والسحر. . .

البحر المتوسط! قلب الدنيا النابض، وفلك العالم الدائر، وقطبه المنير. . .

على ضفافه الهادئة المعتدلة نشـأت مدنيـات ومدنيـات، قديمـة وحديثـة، وظهرت آيات التفكير البشري، وعجائب الحقائق، ونبعت معجزات سرمدية. . .

في هذا البحر الخالد، وفي نقطة الوسط منه، تقع البلاد التونسية فتجعل سطحه نصفَيْن مستويَيْن، تبارك الله أحسن الخالقين!.

انبثـاق الحضـارة

والناظر في تاريخ هذا القطر المحبوب يرى من تصاريف الأمور، وتقلّبات الشؤون ما يبعث أول وهلة على الحيرة والدهش، وذلك بما يعرض لـه في سياق الأحداث من المفارقات والمتناقضات.

أما الواقف على ما يجري من الأحوال، والسابـر لأغوار الأمم، فـلا يزيـده ذلك إلا تبصرة وتفقهاً في هذا الكون الكبير، وتمكيناً من القضايا الاجتماعية، وما يعتوِر الشعوب من التطور والانتقال بتوالي الصروف والأحداث.

من الحقـائق المسلمة أن قيـام الأمم العظيمـة موقـوف على تـوفـر اللقـاح

العنصري فيها، ومتى لقحت بالعوامل والمؤثرات الخارجة عن محيطها، وظهر ما يسمونه «بالفساد الاجتماعي» ـ وهو الاختمار بعينه ـ انبرت لليقظة والنهوض بفعل النواميس الطبيعية العاملة على بقاء الأصلح والأنسب.

وبديهي أن عظمة الأمم المعروفة بالسيطرة والهيمنة على العالم هي أثر طبيعي لما مرّ عليها في الأعصار المختلفة من الأحداث والصروف المملوءة بالمفارقات: فالحروب، والتغالب، والامتزاج، والاختلاط، وتعاقب الحكومات، هو أصل أولي في تكوين الشعوب الضخمة، والمدنيات الراسخة التي لا تنقرض مشاهدها في العالم.

عرف هذا القطر بسكّانه الأصليين من البربر، وهم (الأفر ـ Afer) الذين أورثوا اسمهم البلاد التونسية، فعرفت (بإفريقية) بل أورثوه قارة كاملة هي الربع المعمور من الدنيا.

وقد فزع أولاً الفنيقيون إلى تونس، فالرومان، فالوندال، فالروم البيزنطيون، فالعرب، فالإسبان، فالترك ثم الإفرنج، وكانت هذه الأمم الفاتحة تفد عليه تباعاً حاملة ثمرات كدّها، ونتائج سعيها، وأصول نظاماتها، وصور تشكيلاتها، وطرائق معائشها، وأنواع فنونها، وصنوف لغاتها. وكانت بمجرد توطّنها واستقرارها تنشر لقاحها فيمن حولها من السكان ـ بقصد أو بغير قصد ـ ثم إنها لا تلبث أن تنعزل عن أرومتها، وتتحول عن صبغتها الأولى، وتندمج في العنصرية التونسية الخالدة!.

وهكذا تسنى (لتونس) ابتلاع المتغلبين على أمرها، وهضمهم جميعاً، وجعلهم تونسيين!.

من يستطيع إنكار فضل هذا الامتزاج على التونسيين؟ وقد أحدث فيهم ذكاءً فطرياً نقلوا به وطنهم من طور الجمود والضمور إلى طور النباهة ومنافسة المتغلبين في الصفات والنعوت، ومزاحمتهم في استخدام الوسائل والوسائط للاستثمار والاستمتاع بمصالح البلاد ومنافعها.

فقد اقتبسنا من القرطاجنيين: الملاحة، والتجارة، والمقايضة، وفلح الأرض، وغراسة الأشجار.

ومن الـرومـانيين: سنّ القـوانين، وتنـظيم المـدينـة، وتعبيـد الـطرقـات، واستخراج المعادن، وجلب المياه، وتشييد الهياكل.

ومن الروم البيزنطيين: الترف. والملاهي والملاذّ. والتأنق في المأكل والملبس. والتكلف، والتبذير.

ومن العـرب: الدين. واللغـة. ومكـارم الأخـلاق، والعـدل، والمسـاواة، وفصاحة اللسان، وحماية العشير.

ومن الإسبان: كراهية المخالفين، والتعصب للدين، والتظاهر.

ومن الأتراك: الأخذ بناصر الضعيف، وقلة المبالاة بالعواقب، والإنفاق في أوجه البر، واحتمال الخطوب.

ومن الفرنجة: مضـاء العزم وانتهـاز الفرص، والترتيب والنظام واستعمـال الآلات في المصنوعات، وإخضاع القوات الـطبيعية، وتسخيـرها لإرادة الإنسـان وترك الوناء في طلب الرزق، إلى غير ذلك من السجايا والنحائز التي يعسر التخلق بها بمحض الإرادة والاختيار، ولا يتأتى رسوخهـا إلا بالتسلط والاستيـلاء، جرياً على قاعدة اقتداء المغلوب بالغالب.

* * *

وقصارى القول أن المجتمع التونسي اليوم هو صفوة ما اجتمع فوق أديم هذا القطر العزيز من المدنيات الكثيرة المتنوعة، وليس يعوزه من الوسائل المتممة لرقيه سوى ملء الفـراغ المعد لقبـول المدنيـة العصريـة وضمها إليـه، ليكون الـوارث الحقيقي لسائر مدنيات العالم القديم، ومتى فعـل فاز بـإحراز قصبـات السبق في معترك الحياة على المجتمعات الأخرى التي يظهر الآن أنها السابقة في المجال، وهي ـ وإن امتازت عليه بهذه المدنية المادية السهلة المنال ـ فهو ممتاز بما ورثه من التمـدن القديم أضعـاف أضعاف امتيـازها، وذلـك هو الـدليل على قـوته، وعلى استعداده للبقاء.

إن عصر عود الشباب لقرطاجنة، والقيروان، وتونس، لا يحتاج لعمل شاق

أو كدّ عظيم، وإنما يحتاج إلى عناية دائمة من الآباء المخلصين، والحكام المنصفين، والعلماء المتحمسين، والمزارعين الكادحين، والصنّاع العاملين، والتجار الماهرين ينصرفون بها إلى اقتباس التعليم الملائم، وتقريبه من متناول الطلّاب على أنماط معاصريهم، والدخول مدخلهم في التكسب والعمل كما اقتبس آباؤهم من قبل أنماط معاصريهم، بحيث لا يمضي جيلان حتى تنهض تونس وتصبح إحدى عواصم المدنيات السائرة، لها صوت مسموع بين الشعوب، وكلمة نافذة بين الأمم في العمل، والعلم، والفن.

II

قصة الثقافة التونسية

إذا ما اعتنى الباحث بمظاهر الثقافة في سيرها بالبلاد التونسية، وتتبع خطواتها منذ فجر الحضارة علم أنه من عهد بعيد في التاريخ أدرك الفنيقيون في جولاتهم البحرية طيب مناخ تونس، فألقوا سفن ترحالهم واستوطنوا سواحلها، متخذين منها الوطن والمقر، وأحدثوا بها ـ بعد دهر وحين ـ محطهم الأكبر: مدينة «قرطاجنة» وجعلوها أم البلاد.

ومن هناك انتشر القرطاجنيون فاتحين ومعمرين، ومعلمين للشعوب المغربية وللأقوام الإيبارية ـ سكان إسبانيا ـ وبثوا بينهم وسائل تمدينية، وأسباب رقي، ما بين فلح الأرض، وتصنيع المعادن، وإنشاء السفن لخوض عباب البحر. ولا مراء أنهم أول من أدخل غراسة الزيتون المباركة في هذا القطر وفي جميع ممتلكاتهم المغربية، وهذا (ماجن ـ Magon) أحد شيوخ قرطاجنة يضع للإفريقيين ـ وربما كان ذلك للعالم أجمع ـ أقدم كتاب في الزراعة وغرس الأشجار، ولم يجد الرومان بدًّا من نقله إلى لغتهم اللاطينية حينما أخضعوا البلاد، لإعجابهم بهذا الأثر الفريد، وافتقارهم إلى تعاليمه.

وما كان القرطاجنيون ليرتضوا لأنفسهم أن يكونوا معمّرين للأرض وأصحاب صناعة فحسب بل خصّوا الوعي الفكري بأوفر نصيب، وشاركوا من تقدمهم في هذه الرسالة البشرية بامتزاجهم الامتزاج القوي بالأفارقة وصاهروهم ولم يستنكفوا من تزويج بناتهم أقيال البربر.

ولما بدّد الرومان سلطان القرطاجنيين من إفريقية، وخلفوهم بها لم يجدوا

منـدوحة من تقليـد أسلافهم في علومهم، والانتفـاع بتجـاريبهم، والاستفـادة من خزائن كتبهم الغنية الثرية، والعمل بوسائلهم في التمدين وتعمير الأرض.

وعلى أنقاض العاصمة الفينيقية رفع الرومان «قرطاجنة» جديدة اجتهدوا في جعلها ـ بعد رومة ـ ثانية مدائنهم وقرينة لقاعدة ملكهم الواسع، فازدهت بالمباني والهيـاكل الضخمـة، وامتد نفـوذها السيـاسي والأدبي إلى مغـارب الأرض، وقـد أخرجت البلاد على عهـدهم علماء أفـذاذاً من أبنائهـا مثل (يـوبا الثـاني) الملك البربري والمؤلف البديع، ومثـل (أبولى ـ Apulée) صـاحب التصانيف الفلسفيـة والقصص الفكاهية وغيرهما.

ونستوقفك هنا قليلاً وندعوك ألا تجزم بأن جميع ما يشاهد من الآثار العديدة المنبثة في أنحاء التراب التونسي والمنسوبة إلى الرومان هي من محدثاتهم بل إن جلها من عمل أبنـاء البلاد أنفسهم شيّـدوها بسـواعدهم وأنفقـوا عليها من مـالهم وحسبهم أنهم قلدوا الطراز اللاطينـي، وليس للرومان فيها من فضل سوى الزخرف والشكل.

وبعد معارك دامية هاجم جنـود الونـدال الجرمـانيون البـلاد، وأزاحوا عنهـا القوات الرومانية وحلّوا مكـانهم، واستقروا في ربـوعها نحـو مائـة عام، ولم يكن للحضارة في مداها حظ يذكر سوى ما أظهروه في تغيير المعتقد المسيحي الشائع، وقد تمسك بنحلتهم جمّ غفير من البربر المقاومين للهيمنة الرومـانية، واشتـد بين الفريقين صراع قاست إفريقية من جرائه ألواناً من التخريب والتهديم.

وخلف الروم البيزنطيون الوندال في حكم تونس، وأعادوا النضارة برهة من الزمان إلى (قرطاجنة) غير أن الحروب الداخلية والنزعـات المذهبيـة شغلتهم عن الاهتمام بالوعي القومي وتمدين البلاد، وفي تلك الأثناء قام رجال إفريقيون ناضلوا عن المبادىء الدينيـة وسعوا جهـدهم في محاربـة الوثنيـة وكفاح المقـاومين لنشر مبادىء العقيدة، وفي مقـدمة المـدافعين المخلصين (أُقُشْتِين ـ Saint Augustin) الذي ناضل عن الاعتقاد ورفعه إلى درجة عالية من البحث وقد عرفه علماء العرب وذكره البكري في «مسالكه».

في منتصف القرن الأول للهجرة تمكن العرب من إقامة سلطانهم على البلاد الإفريقية، ولأول وهلة من فتحهم أنشأوا (قيروانهم) فكان لهم في آنٍ واحد مركزاً حربياً، ومحطاً لرحالهم وعيالهم، وقاعدة لبث لسانهم ومبادىء دينهم القويم، ومن «القيروان» امتد سلطانهم فعمّ المغرب بأجزائه ـ تونس والجزائر والمغرب الأقصى ـ ثم عبر إلى العدوة الأوروبية فاستقر في الأندلس من ناحية وانتشر إلى السودان من أخرى فأدخل كامل القارة الإفريقية المعروفة حينئذٍ في حضيرته.

ومن القرن الثاني للهجرة ابتدأت عناية أبناء مدينتَي القيروان وتونس بحمل العلم، فقصدوا موارده بالمشرق كمدينة الرسول، والكوفة والبصرة، ثم دمشق وبغداد والفسطاط وملأوا من العرفان وطابهم، وعادوا بعد حين إلى وطن ولادتهم لبثّ ما لديهم بين أبناء جلدتهم.

ونبغ من بين الرعيل الأول أفذاذ مبرزون وصلوا بالعلم التشريعي إلى أقصى درجات البحث والاستنباط والتخريج، مثل (علي بن زياد) تلميذ مالك ودفين تونس و(أسد ابن الفرات) صاحب مالك وأبي يوسف، و(سحنون بن سعيد) مُحدِثُ المدرسة المالكية الإفريقية، وسواهم كثير.

وما كان اشتغال أفراد هذه الحلبة بادىء بدء بالحديث والفقه (الحقوق) إلا لمسّ حاجة العالم الإسلامي حين ذاك لتنظيم هيئته الاجتماعية، وتدبير سياسته الشرعية على أصول نظام الدين.

ولما تمهدت وسائل التشريع وأبحاثه، اتجهت الطبقة التالية إلى العلوم العقلية والرياضية، ويرجع الفضل في ظهور هذه الحركة الجديدة، إلى رجلين يجب ذكر اسميهما بكل تقدير واحترام، أعني: (إسحاق بن عمران) الذي أشاع الفلسفة في القيروان، وفسر غامضها، كما نشر علم الطب وما يتفرع عنه من فنون الحكمة والصيدلة.

والثاني هو الأديب الكبير، والكاتب البليغ: (أبو اليسر إبراهيم الشيباني) حامل لواء الرواية للأدب والترسل العربي.

وقد ساعد الأمراء الأغالبة على ظهور هذه الحركة العقلية المباركة وعلى نشرها بتأسيس أول جامعة إفريقية للعلم والترجمة وبث المبادىء الرياضية في الأوساط المغربية، وهي (بيت الحكمة القيرواني) الذي ترأسه أبو اليسر الشيباني المقدم (حدود سنة 265 هـ).

وقد جلب إليها الأغالبة نفائس الكتب من أطراف العالم العربي: من العراق والشام، ومصر، كما ألحقوا به بعدُ ثلة من القسيسين المسيحيين، استقدموهم من صقلية، التابعة يومئذٍ لملكهم، فانكبّت تلك النخبة على ترجمة مؤلفات يونانية ولاطينية في شتى الموضوعات من فلسفة، وتاريخ وجغرافية، وطب ونبات. والمؤكد أن من ضمنها قسماً من من مصنف (بلنيوس الكبير ـ Pline L'Ancien) في معنى التاريخ الطبيعي المتعلق بالحيوان والنبات كما أشار إليه الوزّاني المراكشي في تعريفه بأقطار المغرب، وكانت هذه الترجمات، تتمُّ بمعونة رجال إفريقيين متضلعين في العربية.

انتفعت إفريقية التونسية أيما انتفاع بهذا الوعي، فظهر فيها فلاسفة مجيدون منهم سعيد الحداد، وأطباء ماهرون من أشهرهم أفراد بيت (الجزار) وهم أربعة تداولوا رياسة الصناعة، ومنهم (زياد بن خلفون) و(أعين بن أعين) وسواهم.

ولا يغيب عنا أن نسوق هنا ما كان لجماعة من أبناء اليهود الإفريقيين من الاشتغال بالأخذ عن علماء بيت الحكمة القيرواني، ثم تدريسهم به لفنون الفلسفة والطب والفلك والتقويم، وفي مقدمة هؤلاء الطبيب الطائر الصيت: إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، والطبيب دونش ـ ويسمى أَدُنِيم بن تميم ـ المعروف بالشّقْلُجِي، وموسى بن العزار، وغيرهم كثير وقد قاموا بوضع أمهات الكتب في الفلسفة، والطب، والفلك، وحوّلها بعضهم بعد ذلك من العربية إلى اللغة العبرية وإلى اللسان اللاطيني.

ومن تلاميذ هذا الرعيل عالم إسرائيلي يدعى (نسيم بن يعقوب القيرواني)، فاق أقرانه في علم الهيئة وحركة الكواكب حتى أن الأسئلة كانت ترد عليه من يهود العراق في المشرق، ومن الأندلس في المغرب، يستفتونه في توقيت مواسمهم

الدينية إذ لم يكن من بينهم من هو أعلم منه بهذا الشأن.

وما زال (بيت الحكمة) يضطلع بأداء رسالته العلمية في ربوع إفريقية وخارجها إلى أن نقله ملوك الفاطميين إلى القاهرة عند تحوّلهم إلى المشرق (سنة 362 هـ 973 م) فزاد هنالك ازدهاراً، ونما قوة وانتشاراً بفضل من صحبهم من العلماء الأفارقة، وبفضل ما نقله الفاطميون معهم من تراث إفريقية العلمي.

لكن نقل (بيت الحكمة) إلى القاهرة لم يمنع من امتداد روحه، وسريان تأثيره في العقلية المغربية، إلى أن توقفت الحركة العلمية بسبب ما اعترى البلاد الإفريقية من اختلال الأمن، واضطراب الأحوال على آخر عهد بني زيري الصنهاجيين.

وفي الوقت الذي كان تأثير بيت الحكمة القيرواني ينضوي، كانت روحه العلمية تتمادى قدماً وتنتشر نحو العدوة الأوروبية، بواسطة أحد الإفريقيين المسيحيين وأعني به (قسطنطين المشهور بالإفريقي Constantin l'Africain) لولادته بمدينة قرطاجنة، فإنه أخذ العلم بالقيروان عن البقية الباقية من رجال بيت الحكمة ولقن علوم العربية والرياضة وخصوصاً الطب والفلك، ثم انتقل إلى مصر ومنها عاد إلى بلده قرطاجنة ـ وكانت عندئذٍ قرية ضئيلة ـ ومنها قصد إيطاليا واستقر أخيراً بمدينة (سالرنو ـ Salerno) واتصل هناك بملك النرمند (Normands) ثم التحق بدير جبل كاسينو الشهير (Monte Cassino) ولم يلبث أن تولى رئاسة هذا الدير وحمل رهبانه على الاشتغال بالعلوم العربية. ورغّبهم في ترجمة مصنفاتها لا سيما ما كان منها في العلوم الرياضية كالطب والهيئة والفلك إلى اللغة اللاطينية، فكان قسطنطين بعمله هذا في مقدمة نقلة تلك العلوم التي انفرد المسلمون عندئذٍ بإتقانها ومعاناتها والابتكار فيها.

وفي نظرنا إن هذا الحادث العظيم كان من أهم الأسباب لدخول علوم العرب إلى العدوة الأوروبية وانتشارها من هنالك إلى الأصقاع الشمالية خصوصاً وقد صادف أن كان ذلك في مبتدأ ظهور النهضة الإفرنجية (la Renaissance) في العلوم الطبيعية والهيئة وغيرها، وجدير بالملاحظة أن جلّ ما ترجمه قسطنطين من الكتب

العربية إلى اللاطينية أو حاول تقليده والوضع على غراره إنما كان مستمدًّا من مصنفات أطباء قيروانيين خاصة، مثل تآليف إسحاق بن عمران. وإسحاق الإسرائيلي، وأحمد بن الجزار كما أنه اعتمد في الفلك وعلم الهيئة على تأليف أبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني، وفي ذلك بلاغ! . .

ولا يفوتنا أن نستطرد هنا إلى ذكر ذلك المعهد العلمي التطبيقي الذي أنشأه الأمير الصنهاجي (علي بن يحيى) حفيد المعز بن باديس، فإنه أسس بمدينة المهدية حين تولى إمارتها (سنة 501 هـ ـ 1107 م) مدرسة للعلوم الكميائية، وأشرف على تسيير التدريس بها حكيم من أشهر حكماء العرب في وقته، وهو الطبيب الفيلسوف الأديب (أمية بن أبي الصلت الداني) وقد ابتنى الأمير لذلك عمارة أسماها (دار العمل) إشارة لما يباشر فيها من تطبيق علم الكيمياء وفروعها، زوّدها بآلات تحليل المعادن والأحجار، وأدوات تقطير الأعشاب والنبات وتبخيرها وتحويلها مما يناسب معلومات ذلك العصر، كما أنه جعل حولها غرفاً وفيرة لإسكان الطلبة المعتنين، وتمكينهم من العمل العلمي المجرد، وللأسف الشديد لم يعش هذا المعهد الفريد في بابه أكثر من ربع القرن، فيما رواه نقلة الأخبار.

مما تقدم يتضح للباحث المنصف أن العرب لم يكونوا ليستأثروا بعلومهم، ويضنّوا بنتيجة أبحاثهم واكتشافاتهم، بل كانوا يلقونها لكل راغب ويلقنونها لكل طالب، ولا يهمهم جنسه ومعتقده، وبمثل هذا العمل تتفاضل الأمم، وتتفاخر الشعوب، إذ كانت الرسالة العلمية أمانة يؤديها حاملها إلى البشرية قاطبة، من غير ارتقاب جزاء أو شكور، وبذلك قضت سنة الكون بين أبناء الخليقة، ليتم العمران، ويسود العرفان، ويعم التواد، والتعاضد بين أفراد الإنسان! . .

ولم يرَ البشر ـ في مرحلته العقلية ـ وسيلة أنجع من الدراسة ـ والدراسة العلمية خاصة ـ لتقريب الأفهام وإزالة التشاحن بين مختلف الطبقات! . .

* * *

بعد زحفة الأعراب من بني هلال وبني سُليم على إفريقية، قامت (الدولة الحفصية) بعاصمة تونس، وارثة قرطاجنة والقيروان معاً ـ (القرن السابع للهجرة،

الثالث عشر للميلاد) ومن أول تأسيسها انضاف إلى أهـل البلاد عنصـر جديـد هم لاجئو الأندلس فقـد هاجـر إلى تونس نخبـة ممتازة من كبـار علماء وأدبـاء العدوة الإسبانية، وما انفكت هجرتهم إلى إفريقية في نمو وازدياد وكل منهم يحمل إليها أوضاعاً جديدة وتقـاليد في العلم والفن والصنـاعة حتى أصبحت تـونس أم البلاد المغربية، وقصبتها الكبرى بلا منازع.

ومما أعانهـا على ذلك (وجـود جامـع الزيتـونة) الـذي هو أسبق المعـاهد التعليمية للعروبة مولداً، وأقدمها في التاريخ عهداً، وقد حمل مشعل الثقافة العربية اثني عشر قرناً ونصف القرن بـلا انقطاع ولا انفصـال، تجرّد في خـلالها لـدراسة العلوم، وذلك منذ سنة 120 هـ ـ 737 م وظل على مر العصور مناراً وهاجاً للتعليم والبحث والاستنباط، فتخرج منـه الفقيه واللغـوي والأديب، وأصبح أكبـر جامعـة إسلامية عرفها المغرب بأسـره، وتفرّع من دوحـة الزيتـونة المبـاركة أغصـان علم وفلسفة زانوا الثقافة البشرية في المغرب والمشرق نكتفي بذكر أفـذاذ منهم، مثل الكميائي المشهور (أحمد التيفاشي القفصي) أول من وضع موسوعة عربية شملت كل فن معروف حتى الغناء والرقص، ومنهم الفيلسوف المؤرخ الغني عن التعريف (عبد الرحمن بن خلدون)، والحقوقي الكبير (محمد بن عرفة الورغمي)، والرحال الكاتب البليغ (عبد الله التجاني) والشاعر المبدع (أبو القاسم الشابي) وغيرهم، وغيرهم.

* * *

ودأبت الزيتونة من يوم وضعها على أداء رسالتها العلمية والـروحية وإرسـاء دعائم القومية العربية، مطردة النمو والازدهار، زادها الله إنارة ونوراً.

من فجر العصر الحفصي اتخذت المدارس التعليمية الكبيرة على غـرار ما كـان موجـوداً بالمشـرق: العراق والشـام ومصر، وتسـابق أفراد أمـراء الحفصيين وأميـراتهم إلى إنشاء مثـل هذه المعـاهـد في حضـرة تـونس، وأقـدمهـا تـاريخـاً (الشمّاعية) التي أقامها مؤسس الدولة (أبو زكرياء الأول).

واقتدت بسنّته الأميرة (عطف) في تشييد مدرستها (التوفيقية) ثم اقتفى أثرهما

الأمراء والكبراء في إنشاء المدارس وتزويدها بالعدة المناسبة من غُرف لسكنى الطلبة ومسجد للصلاة ومكتبات قيّمة موقوفة عليها، ولا زال غالب هذه المعاهد قائم الذات مع ما اعتورها من التغيير في الوضع والغاية.

ومما يعدّ من حسنات الحفصيين عنايتهم بجمع الكتب وفتح أبواب خزائنها الثمينة للخاصة والعامة، فقد جمع الأمراء الأولون منهم جملة وافرة من المخطوطات في شتى المواضيع خصّصوا لها جناحاً منفرداً من مباني القصبة كان يقصدها الباحثون والطلاب من كل حدب وصوب، وهذا علاّمتنا ابن خلدون يفيدنا أنه بعد أن وضع أصول مقدمته الخالدة بقلعة ابن سلامة في جبل بني راشد ـ ببلاد الجزائر ـ احتاج إلى مراجعة أمهات الكتب فنزل إلى تونس بقصد التزوّد والاستقاء من المكتبة الحفصية بالقصبة.

ومن إحصاء أجري على تلك المكتبة ـ بعد اضطرابات داخلية وثورات متعاقبة كسحت المهمّ منها، نعلم أن ما بقي من المخطوطات وصل عدده إلى ستة وثلاثين ألفاً.

ثم قام السلطان (أبو عمرو عثمان) وحافده (أبو عبد الله محمد) من أواخر أمراء الأسرة ـ بإنشاء مكتبة عمومية في إحدى أروقة جامع الزيتونة، أطلق عليها اسم (العبدلية) وقد حَوّلاَ إليها ما تركته يد الحدثان في قصورهم من المصنفات.

ولما تغلب الإسبان على تونس ـ أواسط القرن العاشر للهجرة ـ هاجموا الزيتونة وبدّدوا نفائس دررها فذهبت أدراج الرياح، وقسم ضئيل منها التحق بمكتبة (الفاتيكان) برومة، أهداه إليها بعض الإسبان المغتصبين، وهي ماثلة هناك إلى يوم الناس هذا.

وفي العهد الأخير اعتنى (أحمد باي الأول) بالمكتبة الزيتونية فجدّد قواعدها.

وقد اقتنى طرائف ثمينة من المصنفات أوقفها عليها، فأعاد للمكتبة رونقها الغابر. وقلده رجالات الدولة وكثير من أهل الفضل في توسيع نطاقها وتوفير ثروتها، فعادت إليها نضارتها الأولى، وهي الآن من مفاخر القطر.

وجاء الأتراك العثمانيون ـ آخر القرن العاشر ـ فسلكوا منهج سلفهم في إقامة المدارس في العاصمة وفي كبير المدائن التونسية، ويبلغ عددها زهاء الثلاثين.

ويظهر أن المقصد الأصلي من إنشاء هذه المعاهد التعليمية هو رغبة أولي الأمر في إعداد فئة صالحة من الشباب للقيام بمهام الدواوين الإدارية ومصالح الحكومة.

* * *

أما في العصر المتأخر فإن أول المنشآت التونسية للتعليم العالي المقتبسة من النظم الأوروبية كان (المكتب الحربي ـ Ecole Polytechnique) بباردو الذي أسسه (أحمد باي الأول) في منتصف القرن الماضي، وجلب إليه عدداً من الضبّاط المرشدين من ممالك أجنبية مختلفة: من تركيا، وفرنسا، وإيطاليا ومن النمسا، وأخرجت المدرسة رجالاً كانت لهم المكانة الكبيرة في ميادين الإدارة، والسياسة، والتعليم، نخص منهم بالذكر: الفريق (حسين) أول وزير معارف للبلاد، والفريق (رشيد) وزير الحرب وقائد الجيش التونسي الذي شارك في حرب القريم (Crimée) وخلفه الفريق (سليم) وسواهم كثير، ومن جميل مآثر هذه المدرسة الحربية أن ترجم تلاميذها ـ في مدة دراستهم ـ زهاء الأربعين مصنفاً في فنون الحرب والهندسة، والرياضة، عرّبوها من لغات مختلفة ـ تركية، وفرنسية، وإيطالية ـ ولا زال معظم هذه التراجم في حيز الوجود مخطوطاً.

ولما أنشئت (المدرسة الصادقية) ـ سنة 1293 هـ 1876 م ـ بمساعي الوزير خير الدين ـ ألغى المكتب الحربي، وتلقت «الصادقية» من يد سالفها شعلة النهضة التعليمية، وهيأت في معملها المصل الملقّح لعناصر الشباب، فأيقظته من سباته العميق وبعثته مقاماً محموداً من العرفان والغيرة والتفكير، وبذلك استحقت الصادقية ولاء تونس والتونسيين.

* * *

وبعد، فهذه خلاصة الأشواط التي قطعتها البلاد التونسية في مراحل «التثقيف» العالي، وأملها اليوم أن يتواصل سيرها بعزيمة ثابتة في هذا العصر

السعيـد الذي نـالت فيه البـلاد استقلالهـا الغالي ، وهـا هي ذي مقبلة على إحياء ماضيها الزاهر، بتوسيع آفاق المعرفة ، مجدة بهمة لا تفتر في سبيل إظهار الـوعي القومي ، باذلة النفس والنفيس في استرجاع المكان اللائق بها بين الأمم المخيمة على ضفاف البحر المتوسط ، وإظهار ما خصّ الله به «تـونس» من عبقريـة نادرة، وإخلاص في نشر أسباب الحضارة الحقّ والتمدين الصحيح .

III

العنايـة بالتعليـم

مضى القـرن الأول للهجرة في إفـريقية التـونسية والشغـل الشاغـل للعرب الفاتحين تمهيد راحـة البلاد وإقـرار سلطانهم بها، وقـد لاقوا في تلك الأثنـاء من السكان الأصليين ـ الأفارقة والبربر ـ ما لم يلاقوه من المقاومة العنيفة في أي صقع من الأصقاع التي فتحوها في المشرق.

فكان كل اتجاههم منصرفاً إلى كفاح تلك المعارضة وإخضاع شوكة الثائرين المتمسكين بالأوعار والجبال في أرض لم يسبق للعرب اجتيازها واختبارها، ودام الصراع ما بين نِزال وكرٍّ مستمر أكثر من خمسين عاماً.

وما انبلج صبح المائة الثانية حتى رسخت قدم العروبة في إفريقيـة، وابتدأ العرب عندئذٍ يفكرون في بث تعاليم دينهم القويم، تلك التعاليم التي ما حـاربوا الشعوب إلا لإعلاء شأنها، وما غزوا إلا نشراً لها، متّخذين تلك الوسيلة العظمى لإشاعة لغتهم ولفهم مبادىء شريعتهم.

تظاهر الأفـارقة بـادىء ذي بدءٍ بـالانضمام إلى معتقـد الفاتحين، وهـم في الحقيقة يضمرون في صدورهم الانتقاض عليهم متى سنحت لهم الفرص بذلك، لكن بمرور الزمان ظهر جيل جديـد منهم، نشأ تحت حكم العـرب ومازجهم في أوضـاعهم، وتعلّم لسانهم، وقلّد أخـلاقهم. وقـد تسـرّبت تعـاليم الإسـلام إلى قلوبهم، فأصبحوا من أبنائه، يدافعون عن حوزته، ويعملون على انتشـاره وإعلاء رايته.

يرجع الفضل الأكبر في الدعاية للإسلام بإفريقية إلى دولة بني أمية، فما من

خليفة منهم، ولا قائد جيش، ولا والٍ، ولا محارب من جندهم، إلاّ وقد كـانت عنايته متجهة إلى تعميم الدعوة، وتوطيد اللغة العربية ـ لغة القرآن والحديث ـ وما منهم إلاّ وقد جعل تلك الأمنية الغاية الكبرى التي يرمي إليها طموحهم الأسنى.

روى الرقيق ـ مؤرخ القيروان ـ أن موسى بن نصير: «أمر العرب أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقّهوهم في الدين»[1] ونقل غيره: «إن موسى ترك سبعين رجلاً من العرب يعلمون البربر القرآن وشرائع الإسلام» وكان عقبة بن نافع ترك فيهم قبله بعضَ أصحابه يعلمونهم القرآن، منهم تابعه (شاكر) وغيرهم.

وهنا تجدر الإشارة إلى البعثة الدينية المؤلفة من عشرة من وجوه التابعين التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى القيروان بقصد تفقيه البربر وإرشادهم إلى شرائع الإسلام وتعاليمه العاليـة، فما كـان من هؤلاء المرشـدين إلا أن اختطّ كل واحد منهم داراً لسكناه، وبنى بحذائها مسجداً لعبادته ومجالسه، واتخذ بقربه كُتَّاباً لتحفيظ القرآن وتلقين مبادىء العربية لصغار أطفال البلد.

حكى غياث بن أبي شَبيب قال: «كان سفيان بن وهب ـ صاحب رسول الله ـ يمر علينا ونحن غلمة بالقيروان، فيسلّم علينا في الكُتَّاب وعليه عمامة قد أرخاهـا من خلفـه»[2] ولا يخفى أن دخول سفيـان بـن وهب إلى إفريقيـة كان خـلال سنة 78 هـ ـ 697 م ـ في خلافة عبد الملك بن مروان، فيستفاد من سياق هذا الخبر أنه لم يمضِ ربع قرن على تأسيس القيروان حتى وجد بها كَتَاتِيب كثيرة للتعليم.

وحكى الدبّاغ ـ نقلاً عن الرقيق: «أن عبد الله بن غانم الرعيني ـ قاضي القيروان سنة 171 هـ (787 م) دخل عليه يوماً ولد صغير له من الكتّاب، فسأله عن سورته، فقال: حوَّلني المعلِّم من سورة (الحمد) فقال له: اقرأهـا، فقرأهـا، فقال لـه: تهجئها، فتهجأها، فقال له أبوه: ارفع ذلك المقعد، فرفعه فإذا تحته دنـانير دون العشـرين وفوق العشرة، فقال له: ارفعها إلى مؤدبك، فـرفعها إليـه، فأنكـرها المعلم على

(1) البيان المغرب لابن العذاري 27/1 [1 :42].
(2) معالم الإيمان 1 :120 [1 :151].

الولد وظن بعض الظن، وحملها إلى عبد الله بـن غانم، فقال له عبد الله كالمعتذر: لعلك رددتها استقلالاً لها، فقال المعلم: «ما أتيت لهذا، وإنما ظننت ظنًّا» فقال له القاضي: أَتدري ما علّمتَه يا معلّم؟ كل حرف منها خير من الدنيا وما فيها[1].

وهكذا تسنى لأَبناء العرب والبربر على السواء أن يتلقّوا التعليم الابتدائي في كل حي من أحياء العاصمة القيروانية، وقلّدها في هذا العمل بقية المدائن في سائر أنحاء بلاد المغـرب. ومع الـزمان تـدرّجت الدراسـة من الكتاتيب إلى المسـاجد والجوامع، وحَلَّقَ الطلبة على الشيوخ من حفاظ القرآن وقرائـه، ورُواة الحديث، وحَمَلَة الفقه وما إلى ذلك، فشاعت منذ ذلك الوقت طريقـة التعليم على غرار مـا كان موجوداً بأمصار المشرق العربي ومدائنه.

هذا ما وصـل إليه علمنـا عن مبدأ ظهـور التعليم في حواضـر إفريقيـة. أما طريقته في البوادي وفي داخل البلاد حيث كانت الأغلبية للعنصر البربري، فقد نقل إلينا أقدم المؤرخين الإفريقيين ـ وهو (سَلّام بن عمر) خبَراً مفيداً يرشدنا إلى وسيلة تعلّم أبناء البربر لشرائع الدين، قال ابن سلام [2]:

«أخبرني أبو صالح النفوسي بتوزر قبل سنة أربعين ومائتين: أن أَول من علّم القرآن بجبل نفوسة[3] عمر بن يَمَكْتَن، علّمه بمنزل (أيفاطمـان)، ويقال إن عمـر هـذا إنما تعلّم القـرآن بطريق (مُقَمَـدَاس)، كان يتلقى فيهـا السَّـابِلة والمـارّة من المشرق (يعني الجند العربي الداخل إلى إفريقية) فيكتب عنهم لوحـه من القرآن وينصرف إلى منزله، فإذا حفظ ما فيه رجع إلى المحجّة فيكتب من المارة والرِّفَاق كذلك حتى حفظ القرآن وتعلّم العلم، ثم قال: «وذلك لحرصه على طلب العلم والقرآن في أول الإسلام وقلة المعلمين في البلدان».

---

(1) معالم الإيمان 1: 228 [1: 305].

(2) كتاب السير للشماخي ص 142.

(3) نفوسة ـ جبل واقع في الناحية الجنوبية الشرقية من إفريقية وهو الآن في المملكة الليبية من تراب طرابلس، وبه قرى كثيرة عامرة. أزيل النظام الملكي بثورة الفاتح من سبتمبر 1969.

وكان عمر بن يمكتن المذكور يعيش في أَوائل الدولة العباسية ـ في حدود سنة 140 هـ (757 م).

يستفاد من الخبر المتقدم أن الطريقة المشار إليها من ترصُّد ناشئة البربر للسَّابِلة من العرب القادمين من مصر إلى القيروان في مبتدإ المائة الثانية للهجرة إنما حصلت على الصورة المحكية آنفاً لسببين كبيرين:

الأَول ـ حرص أبناء الأَهالي الأصليين على تعلّم الدين الجديد واجتهادهم في مزاحمة أبناء الفاتحين رغبةً في الالتحاق بهم والاستواء معهم في المعرفة.

الثاني ـ قلة وجود المصاحف المكتوبة في ذلك العصر حتى يحتاج المتعلمون للتعرّض إلى المسافرين الوافدين من المشرق، وتلقِّي سور القرآن بالإملاء منهم ورسمها على الأَلواح بقصد حفظها.

ويؤيده ما نقل أبو العرب في ترجمة إسماعيل بن رَبَاح الجزري ـ من رجال القرن الثاني ـ قال: «وحدثني من أثق به أن إسماعيل كان في طفولته يحضر الكُتَّاب فإذا حفظ ما في لوحه غسل ما فيه من القرآن بالماء في إناء معد لذلك».

ومن هذا الباب ما حكاه عبد الله بن إسحاق التبّان ـ تلميذ أبي العرب المتقدم. قال:[1] «كنت في أول ابتدائي التعلّم أدرس الليل كله، فكانت أُمّي تنهاني عن القراءة بالليل، فكنت آخذ المصباح وأجعله تحت الجفنة ـ أي القصعة ـ وأتعمد النوم، فإذا رقدت أُمي أخرجت المصباح وأقبلت على الدرس إلى الفجر. . .» قال: «وقال لي أبي ذات يوم: يا بني! ما يكون منك، لا تعرف صنعة واشتغلت بالعلم ولا شيء عندك؟ ـ فلما كانت ليلة من الليالي سمعته يقول لوالدتي: عرفت اليوم أني اشتهرت بابني، وذلك أني حضرت أملاكاً في مسجد سمّاه ـ من مساجد القيروان ـ فوجدته مملوءاً بالناس ولم أجد مجلساً لي، فقام لي رجل عن مجلسه وأجلسني فيه، فسأله إنسان آخر عني، فقال له: اسكت! هذا والد الشيخ أبي محمد التبّان ـ فمن ذلك اليوم رجع والدي عن فكره الأَول

(1) المدارك 2[7: 249] ومعالم الإيمان 3: 109 [3: 88].

وحرّضني على طلب العلم والتزم القيام بشأني من يومئذٍ».

وروى أبو العباس الإبِّياني التونسي:[1] أن محمد بن عبدوس ـ المتوفى سنة 260 هـ 874 م ـ أقام سبع سنين يدرس العلم ولا يخرج من داره إلا لصلاة الجمعة.

ذكّرني هذا الخبر ما رواه الخشني في ترجمة أبي جعفر أحمد بن شَهـرِيْن القيـرواني فإنـه قال: قلت يـومـاً لشيخي أبي العبـاس بن زُرزُر: أخبـرني بـدواء للحفظ، فقال لي: أَو ما عرفته؟ قلت: ما أعرفه ـ فقال: الدرس بالليل، والمناظرة بالنهار!».

ومن هذه الأخبار المروية يتضح لك عناية أبنـاء إفريقيـة بالتعلم في العهـد الأول للإسلام، وإقبالهم على تقييد مروياتهم وإثباتها في كراريس الرقـوق لتكون عوناً لهم ـ ولنا من بعدهم ـ على مراجعة معلومـاتهم، ومما ثبت عن سحنـون في هذا المعنى أنه كان يقول:

«العلمُ صيْد والكتابةُ قَيْد»

وبمناسبة ذكر الإمام سحنون، فقيه إفريقية بلا مدافع، نقول إنـه لم يكن له من الولد سوى ابنه محمد، اعتنى بتربيته وتأديبه وتعليمه حتى كان من شأنه أَن فاق أقرانه. وقد نقل الخشني أَن سحنون كان يقول لمعلم ابنه لما كان صبياً:

«لا تؤدّبه إلا بالمدح ولطف الكلام، ليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف، وإني أرجو أَن يكون نسيج وحده، واتركه على نحلتي»[2]. قال سحنون ذلـك لما كان يلوح على ابنه من مخائل الفطنة والاستعداد الفطري.

ولنعد إلى ما كنا بصدده من تتبع طُرق التعليم في هذا العصر وقد ذكرنا أنباءً من طرائقه في المجتمع الإفريقي وخاصة في البيئة القيروانية، ولم نتعرض لعناية الطبقة الأرستقراطية بالتعلم، ولا سيما انتشاره بين أبناء الأمراء ورجال الدولة وذوي الأقدار والمقامات.

---

(1) المدارك 1: 249 [4: 225].

(2) معالم الإيمان 2: 80 [2: 124].

فهذا إبراهيم بن الأغلب التميمي ـ رأس الأسـرة المالكـة ـ كان في صغـره وقبل قدومه إلى إفريقية ـ ممن مارس الدراسة بمصر حتى برع ونبغ، قال الحافظ ابن الأبار: «كان إبراهيم في أول حالته كثير الطلب للعلم والاختلاف إلى الليث بن سعد الفقيه، والليث وهب له «جَلاَجُل» أم ابنه زيادة الله، فخرج بهـا حتى وصل إفـريقية[1]. وكـان إبراهيم من الشعـراء المجيدين والخـطباء البلغـاء والمتـرسلين البارعين».

ومن رقيق قوله يتحنّن إلى حليلته (جلاجل) وقد تركها بمصر عند قدومه أوّل مرة إلى إفريقية:

ما سرتُ مِيلاً ولا جاوزت مرحلةً   إلاّ وذكــركِ يثني دائمــاً عُنقي
ولا ذكــرتـكِ إلاّ بتُّ مــرتفقـاً   أرعى النجوم كأنّ الموت معتنقي

وابنه زيادة الله الأكبر ـ تولى من سنة 201 إلى 223 هـ ـ «كان أبوه إبراهيم بن الأغلب إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعـربية والشعـراء أصحبهم ابنه زيادة الله هذا وأمرهم بملازمته، فكان أفضل أهل بيتـه وأفصحهم لسانـاً وأكثرهم بياناً، وكان يعرب كلامه ولا يلحن دون تشادق ولا تقعّر، ويصوغ الشعر الجيد»[2].

وما قيل في زيـادة الله يمكن أن يوصف بـه سائـر أمراء هـذا البيت العربي الصريح ممن تولى الملك أو لم يتوله منهم، إلاَّ ما يروى عن خامس أُمرائهم وهو محمد بن الأغلب، فقد قيل إنه كان مبخاتاً في سياسته، منصوراً في فتوحه، إلا أنه كان يجهل النحو والرسم، فذكروا: «إن رَجَاء الكاتب ـ كاتب الدولة ـ كان يوماً بين يديه فكتب الأمير محمد (لحم ضبي) بضاد مسقوطة، فلما خلا المجلس قال لـه كاتبه: أيّد الله الأمير، الظبي يكتب بظاء مرفوعة، فقال لـه الأمير: قـد علمنا فيـه اختلافاً، فأبو حنيفة يجعله بالظاء، ومالك يجعله بالضاد! فعجب رجاء الكاتب من جسارته»[3].

(1) الحلة السيراء: 228 [1 :93].
(2) ك الحلة السيراء: 252 [1 :163].
(3) ابن العذاري 1 :100 [1 :107 - 108].

على أني أميل شخصياً إلى الشك في هذه الحكاية التي يظهر المقصود من وضعها التفكّه وجلب النادرة، ولا يبعد إن كان تلفيقها في مـدة الملوك الفاطميين وكانوا حريصين على الحظّ من شأن من تقدمهم لإظهار مزاياهم، وتفوّقهم على من سلفهم في حكم البلاد. والله أعلم.

وإلا فإنّا نرى كل فرد من أفراد الأسرة الأغلبية ـ من حين ظهور دولتهم إلى حين انقراضها ـ يبذل العناية التامة بالتعليم والحث عليه، ولا نعرف واحـداً منهم من لم يقرض الشعر الجيد في سائر أغراض القريض من حماس إلى نسيب، إلى وصف حال، إلى تسجيل حكمة.

فهذا إبراهيم الثـاني كان قـد تعلّم في صغره الـلاطينية حتى أتقنهـا، وكان يتكلم بها مع فتيانه وجواريه من الصقـالبة، أضف إلى ذلـك أنه كـان يحسن علم الفلك ويرصد النجوم ويرسم أزياجها وحساباتها على صعوبة مأخذها[1].

ولإبـراهيم هذا يـرجع الفضـل الأكبر والمـزية العـظمى في تـأسيس «بيت الحكمة» القيرواني، وهو الأول من نوعه في الربوع المغربية بإدخال الغايـة يعني عدوة الأندلس. لكن هذه المؤسسة لها عندنا بحث خاص مستقل.

وهذا عبد الله الثاني بن إبراهيم المتقدم: كان عاقلاً أديباً مشاركاً في العلوم، له نظر جيد في الجَدَل وعناية باللغة والآداب[2]. أخذ ذلك عن كبار أَساتذة القيروان مثل أبي العباس القيّار الحنفي وغيره[3].

والأَمير محمد بن زيادة الله الثاني، وَالِي طرابلس، كان عالماً، أديباً شاعراً خطيباً لا ينادم إلا أهل الأَدب، وقد ألف كُتُباً كثيرة في الأَدب والتاريخ منها «تاريخ بني الأَغلب» لم يصل إلينا بكل أسف.

على أن التعليم لم يكن مقصوراً على الأُمراء خاصة بل كان يشمـل البنات

---

(1) طبقات النحاة للزبيدي [ص 264].

(2) الحلة ص 263 [1 :175].

(3) طبقات أبي العرب: 197.

منهم في قصورهم «بالعباسية» ثم في «رقادة» وقد نصب لهن آباؤهن معلّمين من خيرة المؤدبين ومعلّمات ليلقنوهن القراءة والكتابة وحفظ جانب من الذكر الحكيم، وكذا أشعار فحول المتقدمين، وأسفرت نتيجة هذا التعليم عن نبوغ غير واحدة من الأميرات في الأدب وصوغ الشعر الجيد، ونكتفي من بينهن بذكر الشاعرة الماهرة «مهريّة» بنت الحسن بن غلبون التميمي المتوفاة في حدود سنة 295 هـ (908 م) وقد أوردنا من قولها في غير هذا[1] ما دلّ على رقة عاطفتها وخبرتها بسبك القريض الفائق.

وإذا ما عرجنا على تعليم الأمراء والأميرات من بني الأغلب فيناسب أن نسوق أنباء عن حرصهم ـ هم ومن سبقهم من المَهَالِبة ـ على تعميم التعليم ونشر وسائله بالتحريض والترغيب بالإقبال عليه[2].

نقل المالكي: «إن الأمراء الأغالبة كانوا يأتون جامع القيروان ليلة نصف شعبان وليلة نصف رمضان ويعطون من الصدقات كثيراً، ثم يخرجون في حشمهم وأهل بيتهم من الجامع ـ جامع عقبة ـ إلى أنحاء المدينة فيزورون دور الزهاد والعلماء، والكتاتيب والمحارس والدِمنة ـ وهي مستشفى القيروان ـ فيوزعون عليهم الأموال والعطايا الجسيمة»[3].

وروى المؤلف المذكور: إن هاشم بن مسرور التميمي ـ من علماء القرن الثالث ـ كان أول ما تدخل الفاكهة القيروان يقف بالمكتب ثم يقول للمعلّم: «أخرج إليّ من عندك من الأيتام، فيشتري لهم الفاكهة ويطعمهم ويدهن رؤوسهم ويقبل بين أعينهم ويقول ـ ما عسى أن أصنع لكم، اللهم هذا الجهد مني!».

وأمثال هذه الأخبار المروية في شأن تنشيط الأمراء والعلماء والأغنياء لصغار المتعلمين تكاد لا تحصى، وقد سقنا منها ما يكفي للدلالة على اهتمام الجميع

(1) المنتخب من الأدب التونسي للمؤلف ص 32 [المجمل ص 71].

(2) راجع ما كتبناه عن تعليم البنات والجواري وتهذيبهن في فصول من تأليفنا (شهيرات التونسيات) ط. تونس سنة 1964.

(3) رياض النفوس (خط) [1: 411 - 412] والمعالم 2 - 75 [2: 116].

والمشاركة في وضع الحجر الأساسي للنهوض بالأمة في تعلمها وتثقيف أفرادها.

أما الملوك الفاطميون بإفريقية، وقبل انتقالهم النهائي إلى مصر، فقد كانت لهم عناية لا مزيد عليها بتربية صغار أمراء بيتهم ـ ذكوراً وإناثاً على السواء ـ فكانوا يجتهدون في تثقيفهم ثقافة علمية وأخلاقية عالية تناسب المحيط الراقي الذي يعيشون فيه، وكانت حاشية قصورهم تتألف من إماء قارئات مهذبات مجلوبات من المشرق، وكذا موالٍ وفتيان يعدّون بالمئات من أجناس مختلفة ما بين صَقَالِبة (من الجَرمان) وصِقلِّيين درّبوهم من الصغر على التعليم بعد إسلامهم وقد خصّوا كل أَمير صغير من أولادهم بمربي أو أكثر يصاحبه في صباه وطول حداثته، فيلّقنه العلوم ويدرّبه على الفروسية والفُتوّة ويخلقه بالشمائل الكاملة مما يؤهّله للقيام بشؤون الملك متى صار الحكم له.

خُذ مثلاً رابع خلفاء الفاطميين وواسطة عقدهم (أبو تميم مَعدّ الملقب فيما بعد بالمعزّ لدين الله) فإنه ولد في قصر جده عبيد الله بالمهدية ـ رمضان 317 هـ ـ 929 م ـ ولما نشأ وترعرع سلّمه أبوه إسماعيل المنصور إلى مُرَبٍّ من أَخصّ فتيانه وهو (المظفر) فصاحبه حتى كبر وتولى الخلافة. وفي تلك الأثناء تعلّم المعزّ عدة لغات منها (البربرية الليبية) لسان شيعة أُسرته وأنصارها من قبائل كتامة، ومنها (الرومية) وهي اللغة اللاطينية الدارجة التي يتخاطب بها قسم من رعاياهم في البلاد وفي جزائر البحر المتوسط، و(السودانية) التي يتكلّم بها عبيدهم وجانب لا يستهان به من حَرَس قصورهم، وبهذه المعلومات الواسعة المدى وهذه التربية اشتهر المعز قبل أن يلي الخلافة بحصافة الفكر وفصاحة اللسان والخبرة التامة بتدبير الملك.

أَورد المقريزي(1) نادرة طريفة تؤيد ما كان للمعز من المعرفة باللغات قال: «كان (المظفّر) الفتى الصقلبي قد بلغ رتبة عظيمة عند المنصور، وكان المظفر يدلّ على المعز لأنه علّمه وهو صغير، فاتفق أنه حَرِد ـ أي غضب ـ يوماً فسمعه المعزّ

(1) اتعاظ الحنفاء، بأخبار الخلفاء ـ ط. القدس 1908 ص 65 [1 :101].

يتكلم بكلمة صقلبية استرابها، فأخذ المعز نفسه بحفظ اللغات، فابتدأ (بالبربرية) فأحكمها، ثم (الرومية) فأتقنها، ثم (بالسودانية)، ثم مال إلى (الصقلبية) فمرّت به تلك الكلمة فإذ هي شتمة قبيحة» فبيّتها المعزّ في نفسه ولم يبدها حتى تولى الخلافة (سنة 341 هـ) وبعد دهر تنكّر للفتى المظفر وعاقبه عن هفوته المستهجنة لسبب آخر في الظاهر.

يهمنا من هذه الحكاية أن أبناء الأمراء، وكذا أفراد الطبقة الأرسقراطية كانوا في عصر فيض حضارة إفريقية يتلقون تعليماً متنوّعاً كثيراً ما يشمل اللغات الأجنبية خصوصاً لمن كان منهم مترشحاً للوظائف الدولية كقيادة الجيوش والأساطيل أو إدارة ولاية يقطنها عناصر إفرنجية أو بربرية.

وإنّا وإن لم نجد ما يعتمد عليه لتعيين عدد الكتاتيب بالقيروان في زمان فيض حضارتها أيام الأغالبة والفاطميين ـ فإنّا نعلم بالتنظير والمقايسة أن مدينة (بَلرمُ) قاعدة صقلية كان «فيها أزيد من ثلاثمائة معلّم يؤدبون الصبيان» كما قصه علينا الرحال البغدادي أبو القاسم بن حوقل الذي زار المغرب في منتصف القرن الرابع، وقد أردف هذا الجغرافي كلامه المتقدم بقوله: «وهؤلاء المعلمون يرون أنفسهم أنهم أَفضل السكان وأجلّهم، وأنهم أهل الله»[1].

فإذا كان في (بَلرمُ) وحدها ثلاثمائة معلّم للصبيان فما بالك بما كانت تحتوي عليه القيروان عاصمة البلاد وكعبتها ـ من المدارس الابتدائية في عصر غزارة عمرانها وتبحّره.

ويلوح لي بهذه المناسبة أن السبب الأصلي الذي حمل محمد بن سحنون وبعده أبا الحسن القابسي على الاعتناء بالتأليف في موضوع «آداب المعلمين والمتعلمين» إنما هو الحاجة الماسّة إلى تقنين أصول التعليم الابتدائي المنتشر إذ ذاك أيما انتشار بين سائر الطبقات، فلولا ذلك الانتشار والفيض الكبيران لما كَانَا ـ رضي الله عنهما ـ يعتنيان خاصة بسن القواعد له، ووضع الأصول الواجب اتباعها،

(1) المسالك والممالك لابن حوقل ط. ليدن 1872 ص 87.

وفي المثل: «الحاجة أُم الاختراع» و «الحاجة تحدث الوسيلة».

وفي الحقيقة لم تكن عناية الأوائل بأساليب التعليم ونُظُمه بأقل من اهتمامهم بتوجيه الطلبة إلى ما يناسب استعداد كل فرد منهم وإرشاده إلى ما تطيق نفسه ويناسب حاله وميوله.

قال سعيد بن الحداد: «كان شاب يختلف إلى أَسد بن الفرات يطلب عليه العلم، فبينما هو ذات يوم جالس معه إذ سأله عن صناعته، فسمّى له الشاب حرفته، فقال له أسد: «قم!» بانتهار، فقال له الشاب: ما قصّتي، أَصلحك الله؟، إن كنت أنكرت صناعتي تركتها» فقال له أسد: ما أنكرتها، ولكني أنكرت تعطيلك لحانوتك الذي منه معاشك، وتقوى به على طلب العلم، وصاحب الحانوت إنما هو بالحرفاء، فإذا جاءك حريفك اليوم ولم يجدك، وغداً فلم يجدك، وبعد غد مثل ذلك استبدل بك غيرك، فضررت بنفسك وبمن تعوله، ولكن إن عزمت فاجعل لنفسك يوماً أو يومين في الجمعة يعلم حرفاؤك بمغيبك عن حانوتك في ذلك اليوم أو اليومين، فيأخذون ما يحتاجون إليه قبل مغيبك» ثم زاد أَسد فقال: «انظر إلى هؤلاء الذين يأتون من باديتهم، إنما هم أهل حرث وحصاد، فإذا كان وقت حرثهم وحصادهم لم تَرَ أحداً منهم يجيء إلينا، فإذا كان انقضى حرثهم وحصادهم عادوا إلى ما كانوا عليه من الدراسة»[1].

ومثل هذه النصيحة التوجيهية الصادرة من أسد بن الفرات تجد لها نظائر لا تحصى في تراجم العلماء المرشدين في العصر الذي نتكلم عنه، ولا يفوتنا أن هؤلاء المرّبين إنما كان عملهم في بَثِّ العلم ونشر وسائله، والصبر على أثقال التدريس خالصاً لوجه الله الكريم، ولم يكن لهم ما يعوّضهم من أتعابهم ولا لهم مرتبات يتقاضونها من حكومة أو غيرها، ولذا كنت لا ترى واحداً منهم إلا وله عمل في فلاحة أو تجارة يباشره بيده، يقوم به معاشه ومعاش أهله.

حدّث عبد الجبار بن خالد، قال: «كنا نسمع العلم من سحنون بمنزله في

---

(1) رياض النفوس للمالكي ج 1: ص 185 [1 :268 - 269].

الساحل، فصلّى يوماً الصبح، ثم دخل فخرج علينا وعلى كتفه محراث وبين يديه زوج بقر مقرون، فقال لنا: «إن غُلامي حُمَّ البارحة، فأناَ أريد أنْ أذهب لأحـرث مكانه ثم أرجع إليكم إذا فرغت فأُسمِعكم» - قال عبد الجبار فقلت له: «أنَا أذهب أحرث لك واجلس أنت تُسمع أصحابنـا، فإذا رجعتُ قـرأت عليك مـا فاتني بـه أصحابي» قال عبد الجبار: «فدفع إليّ المحراث فذهبتُ به وحرثتُ، فلما رجعت أدخلت البقر الدار، قال: فقرّب إليّ سحنـون غداءه فـإذا هو خبـز شعير وزيت، فأكلت معه، ثم قرأت عليه ما فاتني»[1].

ويؤيد هذا الخبـر ما رواه يحيـى بن عمـر الكِناني، قـال: «لما قـدمت من المشـرق إلى القيروان سـألت عن سحنون فقيـل لي: خرج إلى البـادية - يقصـد الساحل التونسي - وكان ملك سحنون وزيتونه به - فجئته إلى السـاحل، فرأيت رجلاً أَشقر، عليه جبة صوف ومنديل، وهو متولٍّ حرثه وشؤونه، فاستصغرته وندمت على تركي من تركت بالمشرق ومجيئي إليه، وقلت في نفسي: «ما أراه يحفظ شيئاً من العلم» فرحّب بي، فلما جالسته في العلم رأَيت بحراً لا تدركه الدِلاء»[2].

وهنا تحسن الإشارة إلى ما كان يلبس سحنون من الثياب.

قال تلميذه سليمان بن سالم: رأَيت لسحنون ساجاً كحلياً (أي شاناً أسـود) وساجاً أزرق ورداء (أي حرام) وقلنسوة زرقاء وَشْياً، وقلنسـوة تشبه الأغلبي، فـإذا قعد للسماع لبس الرداء والقلنسوة الأغلبي، وإذا شهد الجمعة لبس الساج وقلنسوة الحبرة، وإذا حضر جنازة لبس الساج الأزرق والقلنسـوة الزرقـاء، وكان لـه بُرنس أَسود يلبسه في المطر والبرد، هذا كان أكثر فعله»[3].

وقال حبيب تلميذ سحنون: «خرج علينا سحنون يوماً وعليـه بُرنس أَسـود، وكان يلبس الشاشية الطويلة» والظاهر أنها ما يسمونه بالقلنسوة الأغلبية.

---

(1) رياض النفوس للمالكي ج 1 ص 259 - 260 [1 :359 - 360].

(2) المدارك 1 - 206 [4: 76].

(3) الكتاب المذكور [4 :53].

أشار أصحاب الأخبار إلى ما قام به بعض وُلاة الدولة الأموية من إيجاد وسائل التعليم الابتدائي للنابتة الإفريقية، فقد صحّت الرواية أن «إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي كان يؤدب أولاد الخليفة عبد الملك بن مروان بدمشق، ثم استخلفه عمر بن عبد العزيز على إفريقية ـ سنة مائة للهجرة ـ وهو من وجوه التابعين، وكانت أُم الدرداء أشارت بإسماعيل على عبد الملك أن يكون معلّماً لأولاده كما قال ابن عساكر[1] فإذا كان ولاة القيروان من العرب يتعاطون مهنة التعليم في المشرق قبل وفودهم على المغرب، فما ظنّك بهم في نشر التعليم في المغرب وحثّ ناشئته على حفظ القرآن وإتقان اللغة العربية؛ وفي مناقب هذا الوالي الصالح أنه في طليعة من أَسسوا كتّاباً بجوار مسكنه بالقيروان، وبه اقتدى بقية وجوه العرب الفاتحين لا محالة، وقد أثبت التاريخ أن عامة الأمم البربرية أَسلمت على يد إسماعيل بن أَبي المهاجر، قال ابن العذاري:[2] «وما زال إسماعيل حريصاً على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلمت بقية بربر إفريقية [التونسية] على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز، وهو الذي علّم أهل إفريقية الحلال والحرام، وبعث معه عمر بن عبد العزيز عشرة من فقهاء التابعين أهل علم وفضل منهم عبد الرحمن بن رافع وسعد بن مسعود التجيبي وغيرهما».

واعلم أن الكتاتيب اعتبرت من أَول انتصاب العرب بإفريقية كملحقات للمساجد وتوابع لها فما من حارة أو درب من دروب المدائن التونسية إلاّ وكان بها ـ من أقدم العصور عدد من الكتاتيب ـ بل إنها وجدت ـ أيضاً ـ بوفرة في دور الأعيان والأغنياء وبالأحرى في قصور الأمراء والوزراء.

معاهد التعليم الكبرى

معهدان جليلان من معالم إفريقية اشتهرا من أَول تأسيسهما بالتعليم الإسلاميّ العالي، وما زَالاَ دائبين باتصال في أداء رسالتهما العلمية ومهمتهما الثقافية، ونعني بهما:

---

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر 2 :308 و 3 :25.

(2) البيان المغرب ط ليدن ج 1 :34 [1 :48] وطبقات أبي العرب [ص 20] وغيرهما.

1 ـ جامع عقبة

جامع عقبة وهو مسجد القيروان، ومعبدها الكبير الذي وضع أساسه الفاتحون من العرب ـ عقبة بن نافع الفهري وأصحابه ـ في منتصف القرن الأول للهجرة، على تقوى من الله وصدق نيّة.

وقد أقرأ فيه رجال من التابعين للصحابة، منهم «عِكْرِمَة» المحدّث مَوْلَى عبد الله بن العبّاس، فإنه دخل إفريقية في زمان بني أمية، قبل آخر القرن الأول.

قال أبو العرب:[1] «وكان مجلس عِكْرِمَة في مؤخر مسجد الجامع في غربي المنارة في الموضع الذي يسمى «بالرُّكَيْبِيّة» (؟) ـ وهنالك روى عن عِكْرِمَة الحديثَ والتفسيرَ ـ تفسير مولاه ابن عبّاس ـ خلق كثيرٌ من أبناء التابعين الإفريقيين كما أثبته أصحاب الطبقات، ومما يجدر بالملاحظة أن عِكْرِمَة كان في طليعة مَن أدخلوا النزعة الخارجية إلى إفريقية إذ كان يرى رأي الخوارج، وعنه انتشرت نحلتُهم وآراؤهم في القيروان وفي بقية أنحاء المغرب. ومات عِكْرِمَة سنة 105 هـ كما هو معروف.

واستمرت العلوم الدينية ـ من تفسير وحديث ـ تُرْوَى في حِلَق التعليم بالمسجد الجامع، ولم تكن مذاهب السُنَّة تمحَّصت بعدُ. ولذا كان أصحاب الآراء المخالفة لها يجتمعون فيه، ويتناظرون في مذاهبهم، ويلقونَ الدروس فيها، ودامت هذه الحال إلى أواسط الدولة الأغلبية، يعني إلى أن تولى سحنون خطة القضاء بالقيروان ـ سنة 234 هـ ـ وحينئذٍ مَنعَ التدريس به لمن لم يكن على مذاهب السُنَّة.

اتفقت كلمةُ المؤرخين وأصحاب الطبقات أن سحنوناً كان: «أول من فَرَّقَ حِلَقَ أهلِ البدع من المسجد الجامع، وشَرَّد أهل الأهواء منه وكانوا فيه حِلَقاً من الخوارج: صُفْرِية وإِبَاضِيّة، ومعتزلة، وكانوا فيه حِلَقاً حِلَقاً يتناظرون ويظهرون زَيْغَهم، فعزلهم سحنون أن يكونوا أئمة الناس ومعلمين لصبيانهم، وأمَرَهم ألا

(1) طبقات أبي العرب ص 19.

يجتمعوا فيه، وأدّب جماعة منهم بعد أن خالفوا أمره»[1].

ومن ذلك الحين تمحَّضَ جامع عقبة لتعليم أصول الشريعة لجماعة السنّة دون سواهم، واستمرت دراسة العلوم العربية والأدبية تدرس به، وكانت الحِلَق مكتظّة بالطلبة من سائر أنحاء إفريقية والمغرب والأندلس وحتى من السودان الغربي، على نمط ما نعرفه في الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الزيتونة بتونس، والقَروِيّين بفاس.

ذكر القاضي عياض: «أن يحيى بن عمر الكِنَانيّ كان يجلس في الجامع للإقراء، ويُنْصَبُ له كرسي يجلس عليه ليسمع من بَعُدَ من الناس، لكثرة من يحضر مجلسه»[2].

بَيْد أنه لما حكم بنو عبيد الفاطميون البلاد وأظهروا نحلتهم الشيعية علانية أمروا بتعطيل تعليم أصول الشريعة على مذاهب السنّة، ومنعوا شيوخَ القيروان من إلقاء دروسهم في جامع عقبة، اللَّهمّ إلا دروس اللغة العربية وما ليس له مساس بالعقائد، فركن شيوخ المالكية والحنفية إلى إقراء تلاميذهم تلك العلوم في بيوتهم ودكاكين حِرَفِهم.

قال الدباغ: «كان ربيع القطّان ـ المتوفى سنة 333 هـ ـ ملتزماً الإقراء في الحانوت الذي يبيع فيه القطن، وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة أو من يسأله ويستفتيه»[3].

لكن بمجرد نزوح الملوك الفاطميين إلى مصر، بعد امتلاكهم إيّاها، عادت الدراسة السنّية إلى ما كانت عليه قبلُ.

والواقع أن جامع عقبة لم يكن بيتاً للصلاة ومعهداً للتعليم فحسب، بل ربما من أخص وظائفه أن كان المركز الكبير للحياة الاجتماعية في البلاد، ففيه كان يَعقد الأمراء من أغالبة وصنهاجيين الاجتماعات العمومية لأخذ رأي الأمة في

(1) طبقات أبي العرب ص 102 ـ والمدارك 1: 201 [4: 60] ـ ومعالم الإيمان 2: 55 [2: 87 - 88].
(2) المدارك 2: 10 [4: 361].
(3) معالم الإيمان 3: 29 [3: 30].

الشؤون المهمة التي يعتزمون عليها، مثل تجهيز الغزوات البعيدة بقصد إشراك الشعب فيها، أو لمناسبة اختيار قُضَاةِ الجماعة إلى غير ذلك من الأغراض، ومن ناحية أخرى كان الشعب نفسه يعقد فيه اجتماعاته حين يطرق البلاد حادث جَلَلٌ يمسّ الصالح العام، مثلما حصل عند خروج الثائر البربري الطائر الصيت: مخلد ابن كيداد المنعوت بصاحب الحمار على سلطان بني عبيد، فقد انضمّ إليه أهل السنّة من سكّان القيروان بعد أن تجمهروا أُلُوفاً بالمسجد الجامع وتفاوضوا طويلاً حتى استقرّ قرارهم على تأييد الثائر، والمشاركة في محاربة الفاطميين ـ سنة 333 هـ ـ فمن الجامع الكبير خرج المقاتلون وزحفوا إلى أسوار مدينة المهدية عاصمة بني عبيد.

فيتبين مما تقدم أن المسجد الجامع كان بالقيروان في عصوره الأولى بمثابة (ألأكورا) (l'Agora)، تلك البطائح التي كانت مجتمع الشعب اليونانيّ ومحل مفاوضاته.

ولَعَلَّ من الطريف أن نشير إلى أن طائفة من البطّالين كانوا يتخذون من الجامع مقرًّا لجلساتهم بقصد الأخذ من أعراض الناس وللنصب على المُغَفَّلِين، فقد أفادنا الخشني في طبقاته[1] أنه «كانت بالقيروان طبقة تسمى «الرُّكْنِية» كانوا لا شغل لهم، فكان جلوسُهم ومجتمعهم في رُكنِ الجامع فلزمهم هذا الاسم، وكان الناس يدارونهم ويتّقون ألسنتهم وكان فيهم رجل منهم يعرف بأبي القاسم المَسَاجِديّ كان خاصاً بأبي العباس بن عبدون (قاضي القيروان)، وكان مُقِلاً فكان ابن عبدون يُرفقه ويَصله ويجري عليه ويُحسن إليه، فحسده سائر أصحابه من «الرُّكنيّة» واجتمع منهم أربعة في الإدارة عليه لينقطع ما بينه وبين ابن عبدون قطيعةً لا يكون بعدها وصل أبداً، فأتى أحد الأربعة إلى القاضي ابن عبدون فجلس عنده وحادثه، ثم أخطر من ذكر الصحبة والصداقة وقلّة الوفاء ثم قال له: ما الذي حدث بينك وبين المساجدي؟ فقال ابن عبدون: ما أعلم أنه كان حدث فيما بيني وبينه شيء، فما الخبر؟ فجعل الرجل يحيد له عن أن يخبره بشيء ثم خرج عنه؛ فلما

(1) طبقات الخشني 188.

كان بعد ذلك بيوم أتى الثاني فجلس إلى ابن عبدون وأدار الحديث ثم خرج إلى ذكر المساجدي، فقال: ـ قد كان المساجدي لك صديقاً، وكنت إليه محسناً، ثم كان من أمركما ما كان، فتحرّك ابن عبدون وجعل يستقصيه عن حقيقة هذا الخبر، وذكر أنه لا علم عنده بشيء من ذلك، فانزوى الرجل عنه وانقبض وحلف له ألّا يخبره إجلالاً له وإعظاماً، فلما كان اليوم الثالث أتاه الثالث منهم والرابع فجلسا وتحدّثا، ثم قال له أحدهما: ـ ما ينبغي لأحدٍ أن يثق بأحد، قد كان المساجدي لك وكنت له على أفضل حال، ثم قد خرج فيك إلى ما خرج، فقال له ابن عبدون: ـ قد تكرّر عليّ هذا الخبر من غير إنسان وعلى غير ما لِسان، وما أجد أحداً يخبرني بالحقيقة في ذلك، فأخبرني أنت بذلك فقد ضجرتُ من اكتتام الحقيقة عني في ذلك؛ فقال الرجل: ـ لا والله! لا أفعل ولا أستهين بك هذه الاستهانة، فاستجاب الرابع فقال: ـ لأنك والله ـ لا تحبّ القاضي ولا تنصحه، إن كنتَ أنت لا تخبره، فأنا أخبره، فقال له ابن عبدون: هات! ـ فقال الرجل: ـ يقول المساجدي إنك خنثى، وأن لك فُرعة كفرعة النساء، فتلوّن وجه ابن عبدون وصار يحلف ما له فُرعة. ثم بلغ الخبر إلى المساجدي فأتى متنصّلاً، فوجد في قلب ابن عبدون من التصديق بما قيل له عنه ما لَا يعمل فيه الاعتذار ولا يمحوه التنصّل، فأبعده وأقصاه عن نفسه».

وعقّب الخشني الراوي لهذه الحكاية بكلمة قال فيها: «ولعمري إن هذه الإدارة لَلَطيفة من الفكر وعجيبة من الحِيَل، ولو قرع بمثلها أدهى الناس ما خلص منها، نستعيذ بالله من حِيَل الماكرين، ومن إفك الكاذبين».

سقنا هذه الفكاهة على طولها وغرابتها ليستبين القارىء من خلالها أن المساجد الكبيرة في الإسلام ـ لا سيما في عصره الأول ـ كانت للصلاة في أوقاتها كما كانت دوراً لاجتماع الشعب، ومحلاً للدراسة، وملتقى للعلماء والقصّاص، وملجأً للغرباءِ، وكذا لذوي البطالة والفراغ.

وقد ذكّرتني هذه النادرة ما حصل لأحد صلحاء القيروان الفضلاء وهو إسماعيل بن رباح الجزري، من علماء القرن الثاني ـ فقد حكى عنه محمد بن

لالّـه، قال: ـ كنتُ أخيط ـ وأنـا غلام حـديث السنّ ـ مع شبـاب عند معلّمنـا في المسجـد المعروف «بمسجـد أبي نصر» إذ أقبـل إلينا إسمـاعيل بن ربـاح، فقال لمعلمنا:

ـ يا شيخ! بكم اكتريتَ هذا الحانوت؟.

فقال معلمنا: ـ ليس هذا حانـوت إنما هـو مسجد، فقـال له إسمـاعيل: ـ فالمساجد لم تُبْنَ للصنّاعين ولا للحاكة، إنما بنيت للمصلين».

ثم إن إسماعيل أقبـل علينا فقـال: ـ يا شبـاب، لا تخيطوا في المسجـد، وما زال بنا حتى تنحينا منه».

* * *

أما من الناحية المعمارية لجامع عقبة فإنا نكتفي بـإيراد بعض أراء الأستـاذ (أحمد فكري) ـ أحـد شيوخ الآثـار الإسلاميـة في مصر ـ فيمـا اختصّ به جـامع القيروان من الميزات الفنية والزخارف، وهو من أحسن مـا كتب في هذا الشـأن، قال[1]:

«. . . ولا يقتصر فضل القيروان على التخطيط، فإن هذا المسجـد العظيم يحوي عناصر معمارية ظهرت فيه لأول مرّة في تاريخ العمارة، أو على الأقلّ يبقى فيهـا أقدم الأمثلة التي لاقت من بعـده انتشاراً كبيـراً في بـلاد الشـرق والغـرب، وأصبحت من العناصر المميّزة للعمارة الإسلامية؛ وأذكر من هذه العناصر أقـواس مسجد القيروان».

«ولعلّه من المفيد أن نعيد البحث في القِباب، ولا شكّ أن أول مثل إسلامي للنظام المبتكر للقباب، المرتكزة على أقواس يـظهر أيضـاً في مسجد القيـروان، وسواء أكان الفضل في وضع هذا النظام الجديد يعود إلى الفرس أو إلى الرومان، وسواء أكان الأصل في اشتقاق هذه القِباب يرجع إلى مصر القبطية أم إلى إفريقية البيزنطية. . . وأيًّا كـان الأصل في هـذه القباب فـإنه لا يضعف شـأنَ بنّاءِ

(1) أحمد فكري: «آثار تونس الإسلامية ومصادر الفن الإسلامي، ط. تونس 1949.

القيروان، لأن الفكرة التي تجمّعت لهذا البناء فأخرج منها قبّته كانت فكرة أصيلة لم تُنْقَل عن مرجع سوري أو روماني أو فارسي أو مصري، إذ لم يسبق لبناء من البُنَاة أن أدخل على قبّته تلك العناصر التي تتكوّن منها قبّة جامع القيروان أو أقامها على مثل الأسلوب الذي تقوم هذه عليه.

« . . . وقد عثرتُ في القيروان أخيراً على آثار لموضع الكتابة التي كانت تمتدُّ على واجهة بيت الصلاة المطلّة على البَهْو ـ قبلَ زيادة بلاطاته وإقامة قبّة البهو ـ ولا شكّ أن هذه الكتابة كانت تحمل اسم منشئها وتاريخ تجديد المسجد، وقد ظلّت هذه العادة قائمةً في الآثار التونسية، وانبعثت بعد ذلك في الآثار الإسلامية في جميع البلاد، وأصبحت خير دلالة على اهتمام المسلمين بفنون العمارة، حتى لَيَفخر الرجل العظيم أو الأمير منهم بما يشيد، ويحرص على تسجيله.

«وأخيراً يبقى عليّ أن أَقول كلمة في منبر القيروان، وهو أقدم المنابر المعروفة في الإسلام، وأبعدها شهرة وأكثرها إبداعاً. . . يتكوّن منبر القيروان من مائتين واثنتين وخمسين لوحة خشبية تنحصر كل منها في إطار زخرفي. . وقد نُقشت كل من هذه اللوحات نحتة فنية بزخارف منحوتة، مُخرَّمة، مفرّغة بدقّة فائقة ورقة نادرة ورسم رشيق، وتجمّعت في هذه اللوحات أنواع مختلفة من الزخارف: نباتية وهندسية متفرّعة تارة ومتلاصقة تارة أخرى، متعانقة أحيَاناً أو متشابكة، ممتدة في البعض ملتفّة في البعض الآخر. وفي هذه اللوحات تتبيّن طبيعة الفن الإسلامي وتتجلّى فكرة رجاله فيسمو بهم الخيال إلى أبعد الآفاق، تمتدّ ابتكاراتهم حتى لا تقف عند حدّ، وتتنوّع أمامهم الصوَر فلا تنطبع على شكل واحد، وتتجزأ في أيديهم الوحدة، أو على العكس تتزايد وتتضاعف، ويقف النظر أمام إنشاءاتهم حائراً لا يدري أين بدأت ولا أين تنتهي، يَلْقَى جديداً كلما جال بصره عليها فلا يملّ ولا يضجر!».

ولا يفوتنا أن نلمح هنا إلى أنه يوجد في إحدى حُجُرات هذا الجامع مكتبة أُنشئت في عهد الأغالبة كانت عامرة بالمؤلفات القيّمة دامت العناية بها إلى القرن

الخامس، وقد أَوقف عليها الأمراء والكبراء وسائر الناس في تلك المدة كتباً جليلة عـديدة مـا بين مصاحف مـزخرفـة، وتصانيف من أمهـات الفقه والحـديث واللغة والأدب.

ومن حسن الحظ أن وصل إلينا قسط كبيرٌ من بقايا كتبها المرسومـة، وكلها على الرقّ، وهي الآن مفخرة دائمة من مفاخر إفريقية التونسية بلا نزاع[1].

ومهمـا يكن من أمر فـإن هذا المعهـد المبارك مـا انفك يـدرس فيـه العلم الإسلامِيّ، وقد أخرج رجالاً يباهي بهم القطر التونسي، بل العالم العربيّ بأسره، طـوالَ أربعة قـرون، ابتداءً من القـرن الثاني، يعني فـي مـدة الأمـراء المهـالبة، والدولة الأغلبيـة، والعبيديـة، والصنهاجيـة، إلى أن كانت زحفـة بني هلال على إفريقية في منتصف القرن الخامس، فحينئذٍ توقفت حركة التمدين الإفريقيّ بخراب البلاد وتعطيل المعالم فأضاعت القيروان حضارتَها اللامعة ونضارتها البديعة، ولـم يكن لها أن تتداركها بعدُ.

وانتقلت عقب ذلك بعض وسائل التعليم والرواية والسند إلى مُدن الساحل التـونسي (مثل المهـدية، وسـوسة، وصفـاقس) تَمشَّتْ فيها على مهـل وبُطء إلى أواسط القـرن الســادس، حيث صـارت مـدينـة تـونس عـاصمـة البـلاد وكعبتهـا المقصودة، فانتقلت وقتئذٍ الحركة العلمية إليها، ولله في خلقه شؤون.

2 ـ جامـع الزيتونـة

جامع الزيتونـة ـ والمعهد الثـاني للتعليم في القطر الإفـريقي هو المسجـد الجامع بمدينة تونس، ويعرف من قديم (بالـزيتونـة)، اختطّه لأول الفتـح العربي القـائد الأمـوي الطائـر الصيت (حسّان بن النعمـان الغسّاني) حـوالى سنة 80 هـ

(1) راجع عن بقايا مكتبة جامع عقبة البحث الممتع الذي نشره الأستاذ محمد البهلي النيال في مجلة الندوة، تونس فبراير 1953 ـ وكذا البحث التاريخي عنها للأستاذ إبراهيم شبوح، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة نوفمبر 1956 المجلد الثاني 339 - 372. [ونشر المرحوم محمد البهلي النيال خلاصة أبحاثه عن المكتبةالمذكورة في كتاب عنوانه «المكتبة الأثريـة بالقيروان ـ عرض ودليل» طبع بتونس سنة 1963].

(699 م) وكان تخطيطه هذا في غاية من البساطة على ما جرت به العادة والضرورة في منشآت الغُزاة السابقين إذ كانت هِمَمهم منصرفة بكليتها إلى عمليات الفتح وتمهيد البلاد، لا إلى البناءات وزخرفتها، ثم أعاد بناءه بأحسن من ذي قبل القائد الأموي الآخر (عبيد الله بن الحبحاب) في سنة 116 هـ (734 م) على التحقيق[1] وفي آخر الأمر جدّده من أصله وزخرفه الأمير الأغلبي (أبو إبراهيم أحمد بن محمد) وأتم بنيانه أخوه زيادة الله الثاني في سنة 250 هـ (864 م) حسبما تشير إليه الكتابة ـ الكوفية المرسومة بالحرف الغليظ على دائرة قبة المحراب، ونصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، مما أمر بعمله الإمام المستعين بالله أَمير المؤمنين العباسي، طلب ثواب الله وابتغاء مرضاته على يدي نصير مولاه سنة خمسين ومئتين ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾، صنعه فتح البنا».

وهنا نرى لزاماً علينا أن نرفع التباساً سرى في أذهان التونسيين وغيرهم من أن إعادة بناء جامع الزيتونة على الهيئة التي نعرفها منه اليوم تقريباً هي من أعمال الخليفة (المستعين بالله) العباسي، وذلك لما يقرأ من الكتابة الكوفية المتقدمة.

والواقع أن هذا التجديد الكليّ هو من عمل الأمير الأغلبي أبي إبراهيم أحمد، سادس أمرَاء الأسرة المتولي سنة 242 هـ (856 م) وهو ذلك البنّاء الكبير الذي اشتهر باجتهاده في عمارة البلاد وبولوعه لإنشاء المعالم العمرانية الجليلة كمصانع المياه والحصون وأسوار المدائن وخصوصاً الجوامع، منها جوامع سوسة وصفاقس، وبزيادته المعتبرة في مسجد عقبة بالقيروان وغير ذلك، وكان قبل وفاته بقليل أقبل على جامع الزيتونة ووجّه إليه عناية خاصّة وشاء أن يجعله مثيل جامع القيروان ونظيره في الطراز والزخرف لكن المنية أدركته ـ سنة 249 هـ ـ قبل الانتهاء من البناء والزخرف، فلما تولى أخوه زيادة الله الثاني الإمارة من بعده أتمّ ما بقي من

(1) لا أدري لماذا أرخ أصحاب الأخبار التونسيين قدوم (عبيد الله بن الحبحاب) والياً على إفريقية والمغرب سنة 114، وهو وهم واضح، لأن ابن الحبحاب في ذلك التاريخ ما زال متولياً مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، ولم يفارق أرض الكنانة إلى تونس إلا في خلال سنة 116 هـ بالضبط. راجع فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم [ص 217].

البناء في سنة 250 هـ، وتحاشى من أن ينسبه لنفسه أو أن يرسم اسمه عليه، إجلالاً لعمل أخيه المتوفى، فنسبه إلى (المستعين) العباسي المتولي حينئذٍ ببغداد ووسمه باسمه، على حين أن هذا الخليفة لم يكن له أدنى مشاركة في عمله، وفي رأيي أن الفتى (نصيْر) الواضع اسمه في الكتابة التذكارية هو من أتباع الدولة الأغلبية ومواليها، ولا غرابة البتة من أن يدمج نفسه في جملة فتيان الخلافة العباسية التي كان لها السيادة العلياء على الأسرة الأغلبية كما هو معروف، ولا أدلّ على ذلك من كون طراز الزيتونة الفنّي في وضعه وهندامه هو طراز بقية الجوامع الكبيرة التي أقامها الأمير أبو إبراهيم أحمد في البلاد، ومما يؤيد نظريتنا أيضاً أن كل المصادر التاريخية والجغرافية القديمة ـ كالبكري وغيره ـ إنما أشارت إلى تجديد الزيتونة على يد الأمير أحمد ولم يأتِ في مصدر واحد منها نسبته إلى المستعين بالله، فهذا الالتباس يجدر أن يرفع عنه الستار لتُعلم الحقيقة الواقعة. وكذلك لا أخال المهندس (فتح) الوارد اسمه في آخر الكتابة ألّا من كبار البُنَاة الإفريقيين في دولة أبي إبراهيم أحمد.

أعربنا غير ما مرة عن أسفنا الشديد لعدم وجود من اعتنى من أبناء البلاد بأخبار جامع الزيتونة في تطوراته المعمارية، وفيما قام به في وظيفته التعليمية، فإنّا لا نعلم من تصدّى للكلام عنه بصفة خاصّة سوى بعض الأثريين الأجانب، لكن أملنا وطيد أن يوفق في المستقبل القريب بعض شبابنا المثقف للقيام بهذه المهمة التي يترقّبها كل تونسي بشوق شديد وفراغ صبر.

وها نحن نشير هنا في جملة مختصرة إلى المهم من مميزات جامع الزيوتونة العمرانية وبعض زخارفه الفنيّة قبل أن نذكر ناحية التعليم به:

وربما يعجب القارىء الكريم من أن جامع الزيتونة لم يكن له في أصل وضعه مأذنة ـ صومعة ـ وقد ينتهي استغرابه لما يعلم أن المساجد والجوامع في البلاد المغربية في الثلاثة قرون الأولى للهجرة لم يكن لها مآذن، عدا جامع عقبة بالقيروان، أما جوامع تونس وسوسة وصفاقس ـ وهي المدن الكبيرة في البلاد ـ فإنها كانت خالية منها، وذلك اقتداء بالسُنَّة المحمدية إذ إن المسجد النبوي في

المدينة المنوّرة لم يكن له مأذنة حين تأسيسه، فالأذان للصلاة المفروضة كان يقع من أعلى سطح المسجد أو الجامع وفي مكان معين منه حسبما جرت به العادة من أيام صاحب الشريعة المطهرة، وقد شاع اتخاذ المآذن لأول مرة في الشام في عصر الخلفاء من بني أمية وخصوصاً في مدة عمر بن عبد العزيز، وهو الذي أدخل على المساجد الإسلامية في زمن خلافته تغييراً كبيراً في نظامها الداخلي وفي طرازها المعماري.

أما مأذنة الزيتونة الحالية فإنها شيدت في سنة 1312 هـ (1894 م) على طراز مأذنة القصبة، وقد عوّضت سالفتها الحفصية التي كانت في غاية البساطة.

والجدير بالملاحظة أن الأروقة الأربعة ـ وتسمى المُجَنّبات ـ المحيطة الآن بصحن الجامع لم تكن ـ هي أيضاً ـ من الوضع الأغلبي الأصلي، بل هي من المحدثات التي زيدت فيه في مدة الدولة الصنهاجية كما ستراه بعد، ومما يثبت ذلك أن الكتابة التذكارية البارزة حروفها والتي رسمها الأمير الأغلبي على واجهة بيت الصلاة كانت أولاً تمتدّ على بقية جدران الصحن الأربعة، نظير ما يرى إلى الآن في صحن جامع مدينة سوسة، ومثلما كان يشاهد قديماً بجدران جامع القيروان.

وغير خفي أن الأمراء من بني خراسان ـ ولا سيما عبد العزيز منهم ـ وجّهوا عناية كاملة لإدخال تحسينات معتبرة على الزيتونة، إذ كانت المفخرة الجليلة لعاصمة إمارتهم، ومن ضمن ذلك أنهم زادوا في عدد أبوابها فصيّروا عدّتها اثني عشرة بينما كانت في البناء الأغلبي ستة أبواب فقط، وعلى بعض هذه الزيادات ألواح تذكارية تشير إلى مؤسسها من بني خراسان.

وأمرٌ مهم آخر يحسُن الالتفات إليه وهو أن منبر الزيتونة هو من الصنع الأغلبي يقيناً، وإن كان ظاهره يقتضي نسبته إلى عصر متأخر، غير أن المتأمّل بتدقيق في نقش أخشابه وفي أشكال زخرفه يدرك حالاً أنه في أصله شبيه أخيه منبر جامع القيروان، وإن كان الأول أقل زركشة وإتقاناً من الثاني.

وبالزيتونة ألواح كبيرة من المرمر أو من الحجارة، مختلفة الأحجام ومزخرفة

بأنواع من الزهور البارزة يحيط بها إطار يحمل بعضها كتابة كوفية تدلّ أيضاً على أنها أغلبية الوضع.

ومن المفيد أن نأتي هنا ببعض ما قاله الأستاذ (أحمد فكري) في محاضرته عن مميزات الزيتونة المعمارية والفنية إتماماً لما تقدم من التعريف:

«. . . ونلقى في مسجد الزيتونة مثالاً رائعاً للعناية بالفن المعماري الإسلامي. فهذا المسجد كما قال أحد التونسيين الأفاضل «يحمل كتابه بيمينه». وليس في تاريخ الآثار كلها في جميع البلاد، وفي جميع العصور مثلاً يضاهيه من هذه الناحية. فقد أنشىء، وجدّد، وأصلح، وأضيف إليه، وزيد فيه، وزخرف في عصور مختلفة لو تركتْ لعلماء الآثار ولكتب التاريخ لتضاربت الأقوال فيها وتشعّبت. غير أن كل ذلك مسجل على الحجارة في نقوش المسجد التي تتبيّن منها: سنة خمسين ومائتين، وإحدى وثمانين وثلاثمائة، وخمس وثمانين وثلاثمائة، وسبع وخمسين وأربعمائة، وأربع وسبعين وأربعمائة، وثمانِ وأربعين وستمائة، وست وسبعين وستمائة، وست عشرة وسبعمائة وإحدى وعشرين وسبعمائة، وإحدى وأربعين وثمانمائة، وإحدى وتسعين وتسعمائة، وسبع وأربعين وألف، وسبع وسبعين ومائة وألف، وسبع وتسعين ومائة وألف، واثنتي عشرة وثلاثمائة وألف، وأخيراً سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وألف (1938 م) بل وأكثر من هذا أن التاريخ قد سجل في موضع من هذا المسجد الأعظم مرتين إذ كانت تجري تحت قبّة البهو كتابة نقرأ فيها: «تمّ بعونه وتأييده في سنة إحدى. . . وثلاثمائة» وسقطت حروف الرقم الذي بين الإحدى والثلاثمائة، وبينهما مرحلة تسعين عاماً. وإنما توقّع البناؤون هذا المصير فسجّلوا أسماءهم على سارية تحت هذه القبة، وأعادوا كتابة التاريخ إيضاحاً وذكروا: «كان ابتداء العمل في المجنّبات، والداموس، والقبّة في شهر ربيع الأول من سنة ثمانين وثلاثمائة وتم جمع ذلك في شهر جمادى الأولى من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة» وليس في هذا الأثر الفريد في العالم تاريخ الديار التونسية في مختلف العصور فحسب بل فيه أيضاً تاريخ الخط العربي ونماذج لتطوره مجموعة في أثر واحد منذ منتصف القرن الثالث الهجري أي مدة ألف ومائة سنة».

«. . . لقد أتيحت لي أخيراً فرصة دراسة تيجان السواري عن كثب، فتبيّنتُ سرعة تطورها إذ إن جميع السواري التي تعلو قبّتيْ مسجد الزيتونة إسلامية نحتاً وشكلاً، ويظهر فيها مدى الابتكار الذي تولدت عنه جميع هذه التيجان تعبّر عن زَهرة الاقنتا (Acanthe)[1] ولكن النحّات التونسي وضع وريقات هذه الزهرة على تيجانه بحيث تقف عند النُقط الأساسية من جسد التاج في وسطه وأطرافه، ومع هذا فقد تنوّعت أشكال هذه الزهرة الواحدة، فتارة يكون التاج من صفّ واحد من الورقات وتارة من صفيْن، وبالرغم من تقارب أشكال الورقات واقتصارها على ثلاث فإن التنوّع ظاهر في امتدادها أو التفافها وفي انتعاشها وشموخها.

«هذا الشكل من التيجان الذي نشأ في القيروان ونَمَا في الزيتونة تطوّر تطوراً شَمَلَ بلاد المغرب والأندلس، وقد أثبتَ الأستاذ (هونانـدين) أحد علماء الآثار الإسبانيين أن كثيراً من الكنائس والأديرة المسيحية في أوروبا في العصور الوسطى اشتقتّ أصولها وشكلها من التيجان الإسلامية في الأندلس، ولو أنه شاهد تيجان قِباب الزيتونة لَبَان له الاشتقاق منها وأرجعَ الفضل إليها».

«. . . ويزداد هذا الرأي ثقة بأثر آخر من هذا النوع هو منبر جامع الزيتونة، وإن كان أصغر حجماً وشأناً من منبر القيروان فهو متّصل به، متفرّع منه، يشابهه حلية وصناعةً، يتكون منبر القيروان من مائتين واثنين وخمسين لوحة خشبية تنحصر كل منها في إطار زخرفي، وتبَقّى من منبر الزيتونة أربع وأربعون لوحة . . .».

حاولنا في الفصلين السالفين أن نلخّص للقارىء المهمّ من أخبار الجامعين العظيمين في البلاد التونسية، منذ تأسيسهما، وما طرأ عليهما بعد ذلك من التطورات الكبيرة في عمارتهما وما أدخِل على هيكلهما من الزخارف الفنية، ومتى ابتدأت مزاولة العلوم الإسلامية في أرجائهما، هذا مع اعتقادنا الراسخ أن ما تيسّر لنا جمعه من أحداثهما هو أقل من القليل بالنسبة لمكانة هذين المعلميْن المباركين في الحياة الثقافية الإفريقية، وما أُتيح لهما من التأثير الكبير في نشر المبادىء

(1) الاقنتا (Acanthe) نبت يعرف في المشرق باسم (شوكة اليهودي) و (بالكنكر) له ورقة عريضة جميلة كثيراً ما يمثلها النحاتون القدماء في تيجان السواري لبهاء منظرها.

الإسلامية العليا، وبث اللغة العربية في أنحاء المغرب بأسره.

وأملنا وطيد أن يوفّق في المستقبل القريب بعض شبابنا المتعلم للاهتمام بالبحث المدقق عما يتعلّق بالجامعين، وهي مهمّة جليلة يترقّب إنجازها بشديد رغبة كل تونسي غيور على مفاخر وطنه وماضيه المجيد.

التعليم بالزيتونة

ولنعد الآن بالبحث إلى ما كانت عليه مزاولة العلوم في جامع الزيتونة من أول نشأته إلى أن استقرت حكومة البلاد نهائياً في مدينة تونس في القرن السادس للهجرة.

أقدم أثر عثرتُ عليه يشير إلى أن تداول التعليم بالزيتونة يرجع إلى أوائل القرن الثالث للهجرة في ترجمة أبي البشر زيد بن بشر الأزدي - أحد أبناء مدينة تونس وعلمائها المحدّثين - وكان ممن روى بمصر عن ابن القاسم وأشهب وغيرهما، وبالحجاز عن أصحاب مالك بمثابة ما تمّ لسحنون بن سعيد وغيره من الأعلام الأوّل، وعاد أبو البشر إلى بلده وأقرأ بها زمناً طويلاً.

قال أبو العرب: سمع من أبي البشر الناسُ بتونس ورحل إليه من القيروان خلقٌ كثير يسمعون منه الحديث[1]. والذي يهمنا من أخباره هو ما رواه ابن أخي هشام حيث يقول: «وكان طريق زيد بتونس إلى الجامع على (الخرّازين) - وكأنه سوق صناعة البلغة الآن - فأقبل يوماً سَحَراً مع الطلبة فانقطع شَسْعُ نعله، فوثب إليه شاب من الخرّازين فأعطاه شسعاً جديداً، فكان زيدٌ كلّما مرّ إلى المسجد - ومعه جماعة الطلبة - مال إلى الشاب الخرّاز وسلم عليه وسأله عن حاله شُكْراً للشسع الذي أعطاه»[2].

وتوفي أبو البشر بمدينة تونس 242 هـ.

فهذا الخبر - كما ترى - هو أقدم نَبَأ وقفنا عليه للدلالة على مزاولة العلوم

---

(1) طبقات أبي العرب ص 256.

(2) المدارك 1 - 212 [4: 99 - 100].

الإسلامية بجامع الزيتونة.

ويروى أن سحنون كان عندما يذكر معاصريه من العلماء، يقول: «كان بمدينة تونس علي بن زياد خير أهل إفريقية في الضبط للعلم [يعني الفقه]؛ وكان ابن أشرس أحفظ على رواية الحديث، شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وابن أبي كريمة ولم يكن في ناحيتهما وإنما كان رجل ورع صاحب أحاديث»[1].

وهنا يتبادر للذّهن سؤال، وهو: أين كان قبل ذلك العهد يقرأ حملة العلم في مدينة تونس؟ وهم كثيرون، مثل التابعي الكبير خالد بن أبي عمران المتوفى سنة 125 هـ (743 م) وتلميذه عبد الملك بن أبي كريمة المتوفى سنة 210 هـ (825 م) وقاضي إفريقية أبو كُرَيْب عبد الرحمن بن كُريب، الذي استشهد في سنة 139 هـ (756 م) وأبو مسعود عبد الرحمن بن أشرس الأنصاري المحدث الكبير من تلاميذ مالك بن أنس، وعليّ بن زياد المتوفى سنة 183 هـ تلميذ مالك بن أنس وأول من أدخل أمهات كتب الحديث كالموطأ ـ روايته عن مالك[2] ـ وجامع سفيان الثّوْرِي وغيرهما من الأصول، وقد رواها عنه بمدينة تونس ثلةٌ من الفحول مثل أسد ابن الفرات وخالد بن يزيد الفارسي، وسحنون بن سعيد ومن كان في طبقتهم من علماء القيروان.

إلّا أن الباحث المنقّب يستروح من التراجم المخصصة لهؤلاء الأعلام أَنهم كانوا يُقْرِؤون إمّا في بيوتهم أو في المساجد الصغيرة القريبة منها أو في المسجد الجامع للبلد، وهي سنة متّبعة في سائر أنحاء العالم العربيّ وقتئذٍ، وهذا أمر محقق لا تتطرق إليه الريبة، فإذا ما غفل مؤلفو التراجم عن تعيين المكان الذي كان تدرس فيه علوم الشريعة والعربية فليس من شك أنها كانت تزاول في المسجد الجامع، لا سيما إذا كان عدد التلاميذ كبيراً، فقد لا يسعه منزل خاص أو مسجد صغير كما

(1) أبو العرب ص 247 و 253.

(2) من حسن الحظ أن تحفظ لنا مكتبة جامع عقبة العتيقة جزءاً مفرداً من موطأ مالك برواية علي ابن زياد التونسي ولعله أقدم مجموع للمؤلفين التونسيين [حققه محمد الشاذلي النيفر ونشره أولاً في تونس ضمن منشورات الكلية الزيتونية سنة 1978 م ثم نشر ثانية في بيروت ضمن منشورات دار الغرب الإسلامي في طبعات متعددة، آخرها الطبعة الرابعة سنة 1982].

هو الشأن في القيروان والفسطاط والبصرة والكوفة وواسط، وما سواها.

ومن القرائن القوية جداً على مزاولة التعليم في جامع الزيتونة في القرن الثالث واتصاله بصورة مستمرة من لدن ذلك العهد هو أن أبا العباس عبد الله بن أحمد الإِبِيَّانِي، كان يقرىء فيه الحديثَ ومسائلَ الفقه، فقد ذكر مترجموه(1) أنه كان يأتي في صباح كل يوم على دابته من قرية (إِبِيَّانَة) - الواقعة بفحص مرناق - على مقربة من تونس - فيقضي جانباً كبيراً من النهار في إلقاء دروسه، وإفتاء السائلين فيما يعرض لهم من القضايا، ثم يعود عشيةً إلى قريته، هكذا كان دأبه إلى أن توفاه الله عن سن عالية في خلال سنة 352 هـ (963 م).

والأمانة تفرض التنبيه على أن أصحابَ الطبقاتِ لم ينصّوا بالصراحة على أنه كان يقرىء في جامع الزيتونة، إلا أن دلائل الحال تشهد بأن دروسه وتحليقَ الطلبة عليه - وهم كثيرون جداً - كانت تقع بالزيتونة إذ هو أوسع محلٍّ يوجد في مدينة تونس وأليقُ مكانٍ لرواية الحديث ودراسة الفقه.

ومن المعقول أن يكون الزيتونة معهداً للتعليم الديني كما كان جامع عمرو بالفسطاط ومسجد عقبة بالقيروان، وكلّنا يعلم أن مدينة تونس في القرنين الثاني والثالث للهجرة - كانت قرينة القيروان وقريعتها من بعد الفتح بقليل حتى أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي كان يقول لمن يقدم عليه من إفريقية: «ما حال أحد القَيْرَوَانَيـن» يعني مدينة تونس.

أما بَعْدَ هذا العصر الأول فقد انتظم التعليم في «الزيتونة» بصورة نهائية ومستمرة خصوصاً منذ ظهور الدولة الحفصية - أوائل القرن السابع للهجرة -.

---

(1) المالكي في رياض النفوس [2 :193 ترجمة لقمان بن يوسف] وعياض في المدارك [5 :297. ترجمة لقمان].

IV
العنايـة بالكُتـب وجمعِهـا

لم يعرف التاريخ العام ـ فيما علمنا ـ شعباً من الشعوب الظاهرة على وجه الأرض كان له ما للأمّة العربية من العناية بالكتب العلمية والأدبية، والحرص على اقتنائها ونسخها، والسعي في إيجاد خزائن تحفظها من طوارق الحدثان، بقصد استبقائها والانتفاع بها وإيصالها إلى الأجيال المقبلة كثمرة مجهودهم الثقافي ونتيجة تجاربهم العلمية.

أجل! روى لنا الإخباريون شيئاً غير يسير عما كانت تحويه خزائن بني العباس في بغداد، وسامراء، ومكتبات الفاطميين بالقاهرة، ومجموعة الحكم الثاني الأموي في قرطبة ـ عاصمة الأندلس ـ عدى ما عددوه لنا من نفائس الخزائن الخاصة في الشرق والغرب.

وإنا لنتساءل الآن لماذا أهمل المؤرخون ـ بين عموميين وإقليميين ـ ذكر المكتبات التي تجمّعت في القيروان، والمهدية، وتونس في عصر فيض الحضارة العربية، فهذا فراغ يجب سده، وإغفال يتعيّن تلافيه، ولذا نرى من الواجب المفروض أن نبحث بقدر الاستطاعة عما ورد من الأخبار عن عناية الأفارقة بالكتب وعن تأليف الخزائن العامة والخاصة، وكيف اجتمعت واتسقت، وعما آل إليه أمرها بعد بحسب ما وصل إليه اجتهادنا.

العناية بجمع الكتب ونسخها، وتصحيحها على الأصول، أمر لا يتأتى إلا إذا اطمأنت نفوس الراغبين فيها بتوفر وسائل الراحة، واستتباب الأمن في البلاد وقد مضى قرن كامل ونصف قرن قبل أن يستقر قرار العرب في إفريقية، وما كان للولاة

الذين تداولوا الحكم على المغرب من لدن الدولة الأموية وأول العباسية، ولا لأفراد الأمة على عهدهم، أن يعنوا بجمع الكتب وقد شغلتهم عن ذلك الثورات القائمة في البلاد وكذا الغزوات البعيدة براً وبحراً. فكان اتجاههم منصرفاً كلّه لإقرار سلطان الإسلام وتمهيد أسباب الراحة والدعة.

وجَلِيٌ أن الكتب كانت في تلك الآونة قليلة، وقليلة جداً ـ ما عدى المصاحف ـ إذ كان العصر عصر فتح، وعصر جمع اللغةِ وإحصاءِ كلام العرب من الشعر والنثر، والشروع في نقل علوم الأوائل من لغاتها الأصلية إلى العربية.

ولم يتسن لبلاد إفريقية أن تنال الأمن المنشود إلا بعد ما ملك «بنو الأغلب» ناصيتها، فمهد الأول منهم الأسباب لقمع الثائرين، وقطع جشع الطامعين في الولاية، ثم شغل الأمراء ـ وسائر الشعب معهم ـ أمر الغزوات البحرية، وامتلاك جزائر البحر الأبيض المتوسط، كصقلية، ومالطة، وقوصرة وما إليها، فلم يتيسر لهم الاعتناء بوسائل العلم وجمع الكتب إلا في أواخر دولتهم، أعني في مدة إبراهيم الأصغر وأبنائه من بعده.

لكن إبراهيم الرقيق يفيدنا ـ في سياق كلام له ـ أنه كان يوجد في إحدى قاعات القصر الأبيض بالعباسية خزانة كتب حافلة يطالع فيها أمراء الأغالبة وأهل بيتهم، وكان يشرف عليها بالنظر بعض فتيانهم المقرّبين، فلما ابتنى إبراهيم الأصغر رقادة وحوّل إليها حاشيته ودواوينه نقل تلك الخزانة برمّتها من العباسية إلى مدينته الجديدة، وإنا لا نعلم عن هذه الخزانة شيئاً غير ما قدّمنا.

وأسّس إبراهيم الثاني لأول ولايته مدينة «رقّادة» ـ عام 264 ـ وجهّز في سنتها سفارة إلى عواصم الشرق الكبرى ـ الفسطاط، ودمشق وبغداد ـ ليستوفد منها علماء مختصّين من أطباء، وفلكيين، ومغنيين وغيرهم بنيّة إقرارهم في عاصمته الجديدة التي أراد أن يباهي بها «سَامَرَّاء» باالعراق «والفسطاط» بمصر، فجلب إليه سفراؤه من تلكم العواصم زُمرة علماء أشرنا إلى دخولهم وتأثيرهم في غير هذا المكان، كما جلبوا إليه منها الأعلاق النفيسة على ما جرت به عادة سائر الملوك للتظاهر بالأبهة والتفاخر بشارات البذخ، ومن جملة ما حمل إليه الكتب النادرة

الجميلة الخط، خصوصاً أن هذا الأمير كان مولعاً بعلوم الفلسفة والكلام وبالفلك وفنونه[1] وقد حفظ لنا التاريخ أسماء بعض أولئك السفراء الذين كان يخرجهم من حين لآخر إلى المشرق.

وهكذا تهيأ لإبراهيم الثاني - يتيمة العقد الأغلبي - أن يوشّح «بيت الحكمة» الذي أنشأه في رقادة بنفائس الكتب الفنية - الأصيلة والمترجمة - وبآلات الرصد الفلكي وغيرها، يكفينا شاهداً شغف هذا الأمير وعنايته بالخزانة التي أنشأها فإنه كان يرسل إلى كبار علماء القيروان المبرّزين في النحو واللغة فيجلبهم إلى رقادة ويمسكهم عنده المدة الطويلة لتصحيح مخطوطات مكتبته وشكلها وتفسير مفرداتها، فقد حكى الزبيدي في ترجمة أبي محمد الأموي المكفوف، عميد العربية والأدب في القيروان في عصره، ما يأتي: أبطأ أبو القاسم بن عثمان الوزان النحوي عن زيارة شيخه أبي محمد المكفوف أياماً كثيرة ثم أتاه فلامه على تخلفه عنه وقال له: «يا أبا القاسم نحن كنا سبب ما أنت فيه من العلم، وقد علمتَ كيف كنتُ أخصّك وأوثرك على غيرك فلما صرت إلى هذه الحال قطعتنا، فال له: أصلحك الله، أعذر فقد كان لي شغل، فقال ما هو؟ - قال: اليوم أكثر من شهر أختلف إلى رقادة، إلى قصر الأمير، أشكل له كتباً وأصححها، وأضبطها، فقال المكفوف: سررتني والله، قال: بماذا سررتك؟ - قال: «بما يكون من برّه ومكافأته على اختلافك إليه وتصحيحك لكتبه»[2].

وليس لدينا ما يفيد كيف كان ترتيب الكتب بتلك الخزانة العظيمة لكننا نعلم أن المؤلفات كانت تتركب من جزء أو أجزاء كثيرة، وأن كل واحد منها يسمّى «كتاباً» ويشمل من عشرين إلى أربع وعشرين ورقة من الرق في شكل مربع مستطيل يختلف طوله في الغالب ما بين 22 إلى 30 سنتيمتر، في عرض 15 أو 20 سنتيمتر. وربما وضعت تلك الأجزاء أو الكُتُب، في «رَبْعَة» من خشب مغشّى بالجلد الناعم، كما يوجد أجزاء مجلّدة بأسفار بديعة تدلّ على ما بلغ إليه فنّ

---

(1) طبقات النحاة - للزبيدي [ص 264].

(2) طبقات الزبيدي [ص 258. إلا أن سياق الخبر يفيد أن الحادثة وقعت في زمن زيادة الله الثالث آخر الأمراء الأغالبة وليست في عهد إبراهيم الثاني].

التجليد من إتقان وزخرف. وفي المكتبة العتيقة من جامع عقبة بالقيروان نماذج نفيسة ومتنوّعة من جميع ذلك، ترجع إلى العصر الأغلبي المتكلم عنه[1].

وخلّف إبراهيم في الإمارة ابنه عبدَ الله، وكان مولعاً بالعلوم وأسبابها، جمّاعاً للكتب من ولايته للعهد، غير أن مدة ملكه لم تدم إلّا عاماً واحداً. ثم تولّى ابنه زيادة الله الثالث، خاتمة الأمراء من بني الأغلب.

وبالرغم من الفتن والقلاقل الظاهرة في أيامه بالمملكة الأغلبية فقد كان لهذا الشاب اعتناء خاص «ببيت الحكمة» حتى وصل في مدّته إلى أوج تقدّمه، وقد زوّده بالعلماء من فلاسفة وأطباء وأَرباب فنون، استوردهم من مصر ومن العراق ومن القسطنطينية وحتى من أوروبا. وجلب إليه من نفائس المخطوطات والأدوات العلمية، ما جعل بلاطه نادياً علمياً ثقافياً يفتخر به بين الأمم المعاصرة - وفي بحثنا عن بيت الحكمة القيرواني زيادة إيضاح.

وبكل أسف، لم تدم مدة زيادة الله الأصغر إلا ستة أعوام حيث هاجمه الفاطميون بجيوشهم البربرية، وطردوه من البلاد، وبانقطاعه انقرضت دولة بني الأغلب، وقام مكانها عبيد الله المهدي وخلفاؤه الثلاثة من بعده - والملك لله وحده! .

ولربما يعجب الباحث الآن من ضياع الثروة العلمية الوافرة التي جمعها الأمراء الأغالبة، إذ لم يبقَ منها أدنى أثر علمي يرشدنا - ولو شيئاً ما - إلى قيمة تلك الكنوز التي تعاقبوا على جمعها وتأليفها وأنفقوا في تكوينها أموالاً طائلة، ووقتاً ثميناً.

وفي الحقيقة ليست هناك أية غرابة إذا علمنا أن الفاطميين استحوذوا على مخلفات الأغالبة، وانتفعوا بها ما داموا في إفريقية، ثم نقلوها - برمّتها - حين حوّلوا ملكهم إلى مصر، ذلك المطمح الكبير الذي كانت تسمو إليه نفوسهم من يوم أن احتلوا القيروان ومنها ملكوا بقية المغرب.

---

(1) راجع «الأعلاق القيروانية» بالفرنسية.
(Objets Kairouannais.) Fasc.1; G. Marcais et L. Pomssot.- Tunis 1948.

وبالجملة فقد حصل لتُراث الأغالبة ـ بعد انقراضهم ـ ما حصل لذخائر بني العباس لما استولى «هولاكو» كبير المغول على بغداد، وساق جميعها إلى سمرقند، وكما حصل لتركة المماليك، لما فتح السلطان سليم الأول بلاد مصر وحمل طرائفها ونوادر كتبها إلى إسطنبول، حيث هي الآن محفوظة في الخزائن العامة.

ولا يبعد عندي أن الذي كلّف بنقل المجموعة المخلّفة عن الأغالبة إلى مكتبة العبيديين هو «يعقوب بن كلّس» ذلك الوزير اليهودي الأصل الذي أسلم على يد الفاطميين، وكان في أول أمره يتعاطى الكتابة بدواوين الدولة الأخشيدية، هرب من مصر والتحق بالمعز لدين الله في المنصورية، وأقام في خدمته أعواماً إلى أن تحول معه إلى القاهرة سنة 362 هـ ـ فرتّب يعقوب بن كلّس للخليفة الفاطمي الدواوين، وقرّب إليه العلماء على اختلاف طبقاتهم وأجرى عليهم الأرزاق الطائلة، وحبّب إلى الخليفة ـ العزيز بالله ـ اقتناء الكتب، فجمع منها جانباً كبيراً خصّص لها قاعات في القصر الملكي وسماها «خزانة الكتب» وقد ضاهت خزائن بغداد وقرطبة بل ربما فاقتها جميعاً[1].

وبهذا الاعتبار يكون الأصل في الكتب المتجمّعة للفاطميين في القاهرة المعزية هو ما أخذوه من تُراث الأغالبة «برقادة» مع ما أضيف إلى ذلك مما قدّمه إليهم الكتّاب والحكماء والأدباء من نفائس مؤلفاتهم مدة إقامتهم بإفريقية. علاوة على ما اقتنوه بالشراء والاستنساخ في المغرب والمشرق.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الفاطميين منذ قيامهم بالدعوة لآل البيت في المشرق، كانت لهم عناية خاصة ورغبة في اكتساب الكُتُب ـ لا سيما ما يتعلّق منها بدعوتهم الشيعية وأخبار المذاهب الدينية الأخرى ـ فقد ملكوا منها قسطاً عظيماً اقتناه دُعاتهم في اليمن وفي الشام والحجاز ولا سيما في مدينتي بغداد وسَلَمية. وها هو حاجبهم جعفر بن علي يخبرنا كيف ضاعت الكُتُب التي كانت مصاحبة

(1) ابن خلكان ج 2 ص 336.

لعبيد الله المهدي حين اجتيازه خُفْيةً من مصر إلى بلاد المغرب قبل أن يتسلّم الملك الإفريقي من داعيه الصنعاني.

قال الحاجب جعفر:[1] «ثم جرى على الإمام [المهدي] في طريقه مع القافلة عند خروجه من مصر وعند وصوله إلى [الطاحونة] من البربر، فقد أخذوا بعض رَحْله بعد أن نهبت القافلة وكُتُباً كانت للمهدي فيها علوم كثيرة، فكان أسفه عليها [أي على الكُتُب] أشدَّ من أسفه على غيرها مما ضاع له إلى أن جمعها الله - عزّ وجلّ - وقت خروج [القائم] إلى مصر في السفرة الأولى».

يشير إلى رجوع تلك الكتُب على يد الأمير القائم بن عبيد الله لما خرج من رقّادة إلى أرض برقة سنة 301 هـ. في وجهته الأولى إلى مصر. وقد حارب في طريقه سكّان برقة من البربر، واسترجع منهم الدفاتر المنهوبة من المهدي حين مروره بها مجتازاً إلى المغرب[2] فعادت الكتب إلى خزانة الفاطمي في رقادة. ثم انتقلت تلك الخزانة إلى المهدية بعد إنشائها. ثم منها إلى منصورية القيروان.

فسح الفاطميون مجالاً واسعاً للكتب في المدة التي أقاموها بإفريقية. وقد يفيدنا رُوَاة الأخبار أن إسماعيل المنصور - ثالث ملوكهم - لما أنشأ قصره البديع بالمنصورية - سنة 334 هـ - نقل إليه من جملة ما نقل - خزائن الكتب التي كانت برقادة وبالمهدية ولا يخفى أن المنصور كان مشغوفاً بالعلم والأدب، محباً له، مشهوراً بقوة الخطابة وبسعة الاطلاع ولم تشغله مهامّ السلطنة وأعباء الحكم عن البحث والتأليف ومجالسة العلماء.

ولعل أحسن جملة تنبينا على كبير اهتمام الأمير إسماعيل المنصور بكتب خزانته وبمصنفات الدعوة الإسماعيلية بصفة خاصة هي الرسالة التي كتب بها من قصره بالمنصورية إلى مولاه ومحل ثقته الأستاذ جؤذر الصقلبي، فإنه يقول فيها:

(1) سيرة المهدي الفاطمي، تأليف الحاجب جعفر الكاتب، في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، مجلد 4 - ديسمبر 1936 ص 115.

(2) ابن عذاري «البيان المغرب» ج 1 ص 170.

«بعثتُ إليك كُتبي وكُتبَ الأئمةِ آبائي الطاهرين، وقد ميّزتُها، فاقررها عندك مصونة من كل شيء فقد وصل الماء إلى بعضها فغيّر فيها، وما من الذخائر شيء هو أنفس عندي منها، فأمر محمداً كاتبك ينسخ لك منها ثلاثة كتب، ففيها من العلوم والسِير ما يسرّك الله به»[1].

وعلى هذا الاعتناء بالثقافة رَبى المنصور ابنه وخليفته المعز لدين الله فكانت عناية الابن لا تقلّ عن اهتمام والده بالعلم والكتب والتأليف، يروي لنا القاضي النعمان أنه بلغ من تعلق المعز بمكتبة المنصورية أن كان يعرف مواضيع الكتب فيها، وما يحويه كل جزء منها من الفنون، وحكى أيضاً: «إن المعز أمر يوماً خازن كتبه أن يناوله كتاباً منها، فلما أبطأ الخازن في إحضاره، قام المعز وبحث بنفسه عن الكتاب المطلوب، فلما وجده قرأه وقرأ غيره من الكتب، واستهوته المطالعة، فصرف معظم ليله في القراءة، وهو واقف على قدميه» ولاعجب في ذلك فإنه كان يقول:

«إني لأجد من اللّذة والراحة والمسرّة، في النظر في كتب الحكمة ما لو وجده أهل الدنيا لاطّرحوها لها، ولولا ما أَوجب الله سبحانه عليّ من أمور الدنيا لأهلها وإقامة ظاهرها ومصالحهم فيها لرفضتها بالتلذّذ بالحكمة والنظر في كتبها، والله ما تلذذت شيئاً تلذذي بالعلم والحكمة»[2].

وروى المقريزي[3] قال:

«حمل أبو جعفر مسلم بن عبيد الله إلى المعز لدين الله المصحف الكبير الذي يذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك، وكان اشتراه أبو جعفر مسلم بأربعمائة دينار، فلما رآه المعز قال لمسلم: ـ أراك معجباً به، وهو يستحق الإعجاب، لكن نفاخرك نحن أيضاً، فدعا بمصحف في نصفين ما رُئي أحسن

(1) سيرة الأستاذ جوذر ط. ـ مصر ـ ص 52.

(2) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ـ مخطوط ج 1 ص 91 [ص 94].

(3) كتاب اتعاظ الحنفاء، طبع القدس سنة 1908 ص 99 [1 :148 - 149].

منهما خطاً وإذهاباً وتجليداً، فقال المعز: «هذا خط المنصور وإذهابه وتجليده بيده، فقال له مسلم: ـ فهل ثمَّ مصحف بخط مولانا المعز لدين الله عليه السلام؟ فقال: نعم! وأخرج له نصفين، فقال مسلم: ـ ما رأيت أَصبَحَ من هذا الخط! فقال المعز: ـ بعد مشاهدتك لخط المنصور تقول ما رأيت أصْبَحَ من هذا الخط، ولكنّه أصبحُ من خطّك، ثم ضحك المعز وقال: ـ أردتُ مداعبتك».

وتسامع الكتّاب في الآفاق بإقبال المعز على العلم وولوعه الكبير بجمع المؤلفات الممتازة في الحكمة والفلسفة والتاريخ والأدب وبذله للأموال الطائلة في الإكثار من اقتنائها، فقصدوه من أنحاء العالم العربي بمؤلفاتهم ونتائج أبحاثهم.

فهذا محمد بن عمر اليَمَني من علماء صنعاء يَفِد من بلاده القاصية حاملاً تأليفاً بديعاً وضعه في «مضاهاة كليلة ودمنة» ويقدّمه إليه بالمنصورية سنة 350 هـ ـ فيجازيه المعز عنه جزاءً وافراً[1].

ولو جاز لنا التقدير ـ على بعد الزمان ـ لقلنا إن مكتبة الفاطميين بالمنصورية كانت تعد عشرات الآلاف من المخطوطات إذا قايسناها بما كان في الخزانة الفاطمية التي أنشئت بعد في القاهرة وكانت تحتوي على مئات الآلاف ـ قيل خمسمائة ألف وقيل أكثر[2].

وفيما بلغنا من الخبر عن خزانة المنصورية، أنها كانت تشمل أيضاً آلات الرصد وأدوات الفلك وما يناسب أن يكون في بيت علم وحكمة.

أخبر القاضي النعمان القيرواني عن نفسه: إن الخليفة المعز لما كان

---

(1) توجد نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما من هذا التأليف الذي أراد مؤلفه اليمني أن يثبت فيه أن كل المعاني الحكمية الواردة في كتاب (كليلة ودمنة) الهندي الأصل، موجودة في الأدب العربي الجاهلي منه والمخضرم وأن لا فضل للأعاجم على العرب.

[وهو محمد بن الحسين بن عمر اليمني (ت 400 هـ) قدم كتابه للمعز لدين الله الفاطمي سنة 358 هـ. والكتاب مطبوع ببيروت ونشرته دار الثقافة سنة 1961 بتحقيق محمد يوسف نجم].

(2) الخطط للمقريزي.

بالمنصورية أمره ذات يوم بأن يضع له أَسْطُرلاباً من الفضة الخالصة، فاختار النعمان صانعاً ماهراً أقعده في أحد أركان خزانة الكتب، وأجلس معه ابنه محمداً، فلما تمّ صنع الأسطرلاب على أحسن صفة رفعه إلى المعز فاستحسنه وجازى ابنه محمداً والصانع على عملهما(1).

ومما كان يوجد بالخزانة الشريفة ـ كما كانوا يسمونها ـ «مقطع من الحرير الأزرق التُسْتُري القِرْمزي غريب الصنعة، منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير، كان المعز أمر بعمله في المنصورية، فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومُدنها وأنهارها ومسالكها، شبه جغرافية، وفيه صورة مكة والمدينة مُبيَّنة للنَّاظر، مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق، اسمه بالذهب، أو الفضة أو الحرير وفي آخره ما نصه: «مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً إلى حَرَم الله وإشهاراً لمعالم رسول الله، في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة»(2).

وقس على ذلك ما لم يبلغنا خبره، مع الملاحظة بأنه إن وجد من أرّخ حوادث الدولة الفاطمية ووصف بالتفصيل ما كانت تشمل قصورهم ومنازلهم بعد انتقالهم إلى مصر، فإنا لا نعلم إلا قليلاً عن أخبار حضارتهم ومظاهر بذخهم في عهدهم بإفريقية، أما أخبار الدولة الأغلبية فقد بقيت مجهولة الجانب مهضومة الحق، في حاجة إلى العناية بها عناية خاصّة.

فإذا أعوزتنا الرواية عن خزائن الكُتب التي ملكها بنو الأغلب فإنا لم نحرم تماماً من أنباء الكتب عند الخاصة في العصر الذي نبحث عنه، وإليك ما تيسّر لنا جمعه في شأنها من غضون تراجم العلماء:

هذا أبو الفضل أحمد بن الوزير الأغلبي علي بن حميد التميمي كان ممن تخلى عن المناصب وانقطع للعلم والعناية بجمع الكتب ونسخها وتصحيحها، قال القاضي عياض: (3).

(1) ابن خلكان ج 2 ص 168 [5: 520].

(2) الخطط للمقريزي ج 1 ص 267.

(3) المدارك (مخطوط) ج 2 ص 17 [4: 407 - 408].

«هو من تلاميذ أسد بن الفرات، وسحنون وغيرهما، كان كثير الكُتب واسع الرواية، بيعت كتبه بعد وفاته (سنة 251 هـ) بألف ومائتي دينار، كما وجد له بعد موته آلات كثيرة منها مائدتان من الزجاج أُتِيَ بهما إليه من بغداد فلم تَصِلاَ إليه إلا بمائة وتسعين ديناراً».

وعيسى بن مسكين المتوفى سنة 295 هـ، قال صاحبه الكانشي: أدخلني عيسى بيتاً مملوءً بالكتب وقال لي: «كل هذه الكتب رواية لي، وما فيها كلمة غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهداً من كلام العرب»[1].

ومن هُواة الكُتب في ذلك العصر: محمد بن بسطام بن رجاء الضبي المتوفى سنة 313 هـ. قال المالكي: «كتب كتباً كثيرة بخطه؛ وكان قد اشترى وصيفاً لإصلاح المصباح في حين نسخه بالليل، فكان يتّخذ له القصب الحلو يقطعه له قطائع لطافاً فإذا نعس الوصيف جعل في فمه قطعة ليزيل عنه النعاس متى عرض له»[2].

وهذا حمدون بن مجاهد الكلبي المتوفى سنة 321 هـ من أهل جزيرة شريك ومن أصحاب عيسى بن مسكين المتقدم، له رحلة إلى المشرق، روى فيها الحديث ثم رجع فاستوطن رباط المنستير، ونسخ هناك أكثر دواوين العلم وكان حسن النقل والضبط، قال عياض: «كان لا يكتب إلا عن فهم ويضبط المشكل ويحب نشر العلم وإذاعته»[3].

حكى عنه صاحبه أبو بكر ميسرة بن مسلم قال: قال لي حمدون: «كتبت بيدِي هذه ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب»[4].

وبمناسبة هذا الخبر أقول: إنني كثيراً ما رأيت أَجزاء مخطوطة على الرق

(1) الديباج لابن فرحون: ص 180 [2: 67].
(2) رياض النفوس ج 2 ص 85 (مخطوط) [2: 181].
(3) المدارك ج 2 ص 17 (مخطوط) [5: 147].
(4) رياض النفوس ج 2: 76 [2: 203].

يرجع تاريخها إلى القرن الرابع والخامس مرسوماً تحت عنوانها (حُبُسٌ على جماعة المرابطين بقصر. . . كذا) ويذكر حصن الرباط الموقوف عليه، وأحياناً تكون عبارة التحبيس هكذا «حُبُسٌ على من يسكن حُجْرَتي برباط. . . كذا) وهلم جرا.

وهذا أحمد بن محمد القَصْري المتوفى سنة 322 هـ ـ كان فقيراً جمَّاعاً للكتب ضابطاً لها، كتبَ بيده ما لم يكتبه أحد من أهل عصره حتى إنه كان يقول: منذ أربعين عاماً ما جَفَّ لي قلم» قال المالكي: «وصل مرة إلى سوسة ليزور شيخه يحيى بن عمر فوجده ألّف كتاباً فلم يجد القصري ما يشتري به رقوقاً ينسخه فيها، فمضى إلى السوق وباع قميصه واشترى بثمنه رقاً ونسخ الكتاب وقابله وأتى به القيروان»[1].

وفي مكتبة جامع القيروان العتيقة جانب وافر من الأجزاء على الرق منسوخة بخطه وعليها سماعات له مؤرخة.

وهذا أبو العرب محمد بن أحمد التميمي ـ حامل لواء تاريخ القيروان ـ مات سنة 333 هـ ـ كان كثير الكتب جداً، حسن الخط والتقييد، قال المالكي وعياض وابن ناجي: «يقال إنه كتب بيده أربعة آلاف كتاب»[2] وفيما تقدم بَيَّنَّا أن المقصود بالكتاب قديماً هو الجزء المرسوم على الرق بمثابة الكراس عندنا يبلغ عدد أوراقه العشرين أو نحوها.

وهذا عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي مات سنة 346 هـ ـ من تلاميذ عيسى بن مسكين وغيره، كان من ذوي اليَسَار، حسن التقييد صحيح الكتب، وكانت كتبه كلها بخطه، قيل: إنه كان يُصنع له مطر[3] من الحِبر في كل سنة لكثرة ما يستنسخه، قال القابسي: «كان وزن كتبه سبعة قناطير كلها بخطه حاشا كتابَيْن، فكان لا يحتمل أن يراهما من أجل أنهما ليسا بخط يده» وذكر أنه لما اشتدّ به

(1) المدارك ج 2: 161 [5: 139].

(2) المالكي [رياض النفوس 2: 309، وفيه: «أكثر من ثلاثة آلاف كتاب»].

(3) مكيال للسوائل كان مستعملاً في المغرب قديماً يحمل أربعين ليترة تقريباً.

المرض الذي مات منه ـ ولم يكن له وارث ـ قال لـه أَصحابـه: يُخشَى أن يأخـذ السلطان كتبك ويمنع الناس من الانتفاع بها، فأوقفها على المسلمين ووجهها أثلاثاً في ثلاثة مواضع؛ ففعل ذلك فلما كان من الغد قال لأصحابه: لم أنم البارحة من فقد كتبي، فردّوا الثلثين وتركوا الثلث الـذي كان عنـد تلميذه أبي محمـد بن أبي زيد، فلما وصل الثلثان إليه مات فاستلم السلطان (المعز لدين الله الفاطمي) ذلك ورفعه إلى المنصورية وسَلِمَ الثلث[1].

أَقول: وما زالت بعض الأجزاء من ذلك الثلث الموقوف موجوداً في مكتبـة جامع القيروان وعلى غالبها خط ابن أَبي زيد وغيره.

ومن أَكبـر المكتبات القيـروانية وأجلّهـا في ذلك العصـر مكتبة بني الجـزَّار الأطباء ولا سيما خزانة الأخير منهم: أبي جعفر أحمد، فقد اشتملت على مجموعة ذات قيمة علمية عالية لاهتمام صاحبها بسائر العلوم الريـاضية والـطبية والفلسفيـة والتاريخية وما إليها فما من فنّ من هذه الفنون إلا ولأحمد بن الجزار فيه تأليف أو أكثر كما هو مبيّن في ترجمته خصوصاً وقد كان لهذا الطبيب ثروة لا يستهان بها.

وقال ابن جلجل الأندلسي[2]: «ولما مات وُجد له أربعة وعشرون ألف دينار، وخمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها». وبمراجعة المصادر التي ينقل عنها ابن الجـزار في تآليفـه يمكننا أن نعـرف البعض مما كـانت تحويـه خـزانتـه وهي مصنفات جليلة ومتنوعة، وكانت وفـاة أحمد ابن الجـزّار بالتحقيق سنـة 369 هـ. (980 م) وإني لأعجب من رواة الأخبـار المتقدمين، كيف كـانـوا يقـدّرون الكتب المخلّفة بالوزن لا بعدد الأجزاء، وربما يُفسّر ذلك بـأنّ المدوّنـات كانت مكتـوبة على الرقّ وهو ثقيل الوزن فقدروها بأثقالها.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي الذي وفد

---

(1) المدارك ج 2 ص 164 [5: 331].

(2) عيون الأنباء ج 2 ص 38 [وطبقات الأطباء لابن جلجل ص 90. وعنها قـومنا النّص وأثبتنـاه حرفياً].

على القيروان سنة 329 هـ. وقد جلب في قافلته أحمالاً كثيرة من نفائس المؤلفات الشرقية، ما بين لغوية وأدبية وتاريخية ودواوين شعر الجاهليين والمخضرمين والمولّدين، فباع منها في مدة عام كامل ما شاء أن يبيع لأهل إفريقية ثم تحول بعد ذلك في سنة 330 هـ. إلى الأندلس بما بقي له منها، وإنّا وإن لم نقف على ما فرط منها في إفريقية إذ لم نعلم تسمية ما باعه في القيروان وتونس، فإنا نعلم بالضبط ما حمل إلى قرطبة فإنك تجد تسميته وتعيينه في القائمة الطويلة الذيل التي حفظها لنا أبو بكر بن خير الإشبيلي في فهرست مروياته[1] وكم من تاجر غير هذا البغدادي ورد على البلاد التونسية من المشرق والأندلس بقصد بيع الكتب ولم يصل إلينا خبره.

* * *

انقرضت دولة بني عبيد الفاطميين، وخلفهم بنو زيري الصنهاجيون وقد اشتهر من بين أمرائهم بالعلم والأدب والفنون الجميلة المعز بن باديس واسطة عقدهم.

ازدهرت في مدته العلوم وبلغت الحركة الأدبية ما لم تبلغه في أي عصر من عصور التمدن العربي الإفريقي، وكان بلاط المعز الصنهاجي من أزهر قصور ملوك الإسلام.

بلغت إذ ذاك العناية بالكتب ونسخها وتنسيقها وزخرفتها إلى أوج لم تدركه من قبل كما تشهد به المصاحف المحَبّسة من لدن عمّته (أمّ ملال) وحاضنة أبيه (فاطمة) وأخته (أمّ العلو) وزوجته (زليخاء) فإن هذه المصاحف تُعَدّ بحقٍ آية في جمال الخط ورونق التذهيب والزركشة والتزويق مع كبر الحجم ومتانة الرقوق مما لا يتسنى صنعه وتدبيجه إلا في بلاط بلغ الذروة في الذوق والتفنّن.

ومن حسن الحظ أن حفظت لنا الآثار أسماء بعض الخطّاطين الذين كانوا يتداولون النسخ في بلاط المعز بن باديس، فمنهم: **الحارث بن مروان** ـ وابنه

(1) راجع فهرست مرويات أبي بكر بن خير طبعة سرقسطة بإسبانيا سنة 1892 ص 395 وما بعدها.

يحيى ـ من أبناء القيروان وكان خطهما بقلم النسخ وكذا بالقلم الكوفي في طوالع الكتب من أمتع الخطوط وأوضحها وأمتنها قاعدة، وكانا ينسخان الكتب دَوَاماً للخزانة الأميرية، وآثار قلمهما موجودة بكثرة فيما بقي من الرقوق المحفوظة بمكتبة مسجد القيروان، منها النص الآتي وهو مرقوم على أول صحيفة من كتاب موقوف:

«مما أمر بتحبيسه سيدنا سيف الله عبده المعز لدينه، المؤيد لسنّة نبيه، أطال الله بقاءه، وأدام عزه وعلاه، على المسجد الجامع بمدينة القيروان، طلباً لثواب الله عزّ وجلّ وابتغاء مرضاته، على يد قاضي القضاة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن هاشم سنة أربعة وعشرين وأربعمائة».

وقد تناول النسخ الأب وولده ما يزيد على الأربعين عاماً حسبما يمكن تتبعه من الكُتُب الواصلة إلينا بخطهما.

ومن نسّاخ القصر الصنهاجي المشهورين: **علي بن أحمد الورّاق** وكان يميل بخطه إلى أوضاع الكتابة البغدادية الراقية في عصره مع إتقانه البديع للرسم والتذهيب والتجليد.

وكانت تعاصره وتلازمه في البلاط (دُرّة الكاتبة) وقد وصل إلينا من آثارها ذلك المصحف ـ مصحف الحاضنة ـ العديم النظير وإليك نص ما على الورقة الأولى من كل جزء من أجزائه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، كَتَبَ هذا المصحف وشكله ورسمه وذهّبه وجلّدَه علي بن أحمد الورّاق للحاضنة الجليلة ـ حفظها الله ـ على يدي (دُرّة) الكاتبة سلمها الله، فرحم اللهُ من قرأ فيه ودعا لهما بالرحمة والمغفرة والنجاة من عذاب النار، آمين رب العالمين وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وسلم تسليما» وتاريخ التحبيس شهر رمضان من سنة 410 هـ.

ومن الأفارقة المشهورين بجودة الخط في ذلك العصر:

إبراهيم بن محمد المرادي، وكان من كُتّاب ديوان الرسائل في دولة المعز، اشتهر بالأدب وصوغ الشعر، عَرَّف به معاصره ابن رشيق في كتابه «الأنموذج» بقوله: «أخذ بأطراف العلوم غير أن الغالب عليه [علم] الخطّ وتزويره، كان عنده

من ذلك أمر معجز وقد انفرد في مغربنا بالقلم الرياسي الخافي انفراداً كلّياً لا يداني فيه ولا ينازع»[1].

وهذه الشهادة لها قيمتها الكبيرة خصوصاً من ابن رشيق الكاتب الأديب الذي خدم الملوك والأمراء، وتوفي إبراهيم المرادي في حدود سنة 430 هـ.

ومنهم **عبد العزيز بن محمد القرشي الطارقي** وكان أيضاً من كتّاب ديوان الرسائل، قال ابن رشيق في حقه: «أكثر اشتهاره بالنثر دون النظم، إذ كان فيه فارس الفرسان وواحد الزمان، ما بين تزويق مقامة مبتدعة وتصدير خطبة غير مفترعة، إلى الرسائل السلطانية والمكاتبات الإخوانية وله من الخط البارع حظ المعلّى من قِدَاح المَيْسر»[2].

ويطول بنا التعداد لو أردنا إحصاء الخطاطين والناسخين الذين عرفوا في الدولة الصنهاجية ويكفي شاهداً على كثرتهم أني أحصيت من كان يُلقَّبُ بالورّاق من العلماء والأدباء المترجمين، فبلغ بي العد إلى نحو العشرين وَرَّاقاً في مدة لا تتجاوز الثلاثين سنة، على أن هذا ما عرفناه دون من لم يبلغنا اسمه.

* * *

ومن فضائل المعز بن باديس أنه كان كثير إهداء الكتب النادرة للعلماء الذين يعلم منهم العجز على اقتنائها، مثلما تمّ ذلك لأبي بكر عتيق السوسي وكان من الصالحين المقلّين، حافظاً للحديث والفقه، عالماً بالنحو واللغة مع دين وورع متين، قال الدباغ: «بلغ المعزُّ عنه أنه فقير وأنه لا مسكن له في البلد، فبعث إليه بمال يشتري به داراً فلم يقبله أبو بكر تورعاً منه، فبعث إليه المعز حينئذٍ كتباً جليلةً في الحديث والفقه مثل «المدونة» و«النوادر والزِّيادات» لابن أبي زيد و«الموَّازية» وكُتُباً في اللغة وغيرها مما له قيمة جسيمة. وكان إرسالها على رؤوس الحمالين

(1) الوافي بالوفيات للصفدي (مخطوط) بالزيتونة.

[ترجمته في الأنموذج ص 65 - 68 وعنه صوبنا اسمه وقومنا بقية النص وأكملناه].

(2) المصدر نفسه.

[ترجمته في الأنموذج ص 167 - 169 وعنه صوبنا النص وقومناه. وينظر عن نسبته «الطارقي» تعليقنا رقم 1].

ـ نحو عشرين حمالاً ـ فلما وصل إليه الرسول خاطبه بقوله: يقول لك الأمير المعزّ: «هذه كُتُبٌ في خزائننا ضائعة وبقاؤها عندنا مما يزيدها ضياعاً، وأنت أولى بامتلاكها للانتفاع بها» فأجابه أبو بكر: «اكتبوا على كل جزء منها تحبيسها على طلبة العلم» فكتب ذلك ووقّفت على الجامع الكبير بالقيروان[1].

ولا مراء أن غالب ما بقي من الكتب المحفوظة بالمكتبة العتيقة بجامع عقبة أكثره من مخلفات هذه الهبة، وقد يرى الزائر الآن بقايا تلك المكتبة وعليها نص الوقفية وصيغتها بالحرف:

«مما أمر سيدنا سيف الله وعبده المعزّ لدينه المؤيد لسنّة نبيه أطال الله بقاءه، وأدام عزه وعلاه، توقيفها بالمسجد الجامع طلباً لثواب الله عزّ وجلّ وابتغاء مرضاته على يد قاضي القضاة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن هاشم سنة أربع وعشرين وأربعمائة بمدينة القيروان».

ها نحن جلبنا القدر اليسير من أنباء الكُتُب وخزائنها عند الخاصة والعامة في المجتمع الإفريقي من لدن الدولة الأغلبية إلى العصر الصنهاجي الذهبي، وذلك بقدر ما سمح به البحث وتيسّر استقصاؤه، ولا شك عندنا أن ما فاتنا من أخبار الكتب أكثر بكثير مما أحصينا وتتبعنا، وفوق كل ذي علم عليم.

والآن يحقّ لأبناء إفريقية أن يتساءلوا عن مصير تلك المجموعات وأين ذهبت كل هذه الكتب الوافرة العدد الرفيعة القدر والمختلفة الموضوعات إذ يصعب بادىء بدء التفكير في تلاشيها وخروجها برمّتها من القطر لدرجة أنه لا يوجد اليوم من مصنفات بني الجزار ولا غيرهم من قدماء الأطباء تأليفٌ واحد في البلاد التونسية.

والجواب على ذلك بسيط ـ وبسيط جداً فيما نظن ـ وهو أنه حصل للمؤلفات الإفريقية ما حصل لإخواتها البغدادية والأندلسية، وإني لا أعلم ـ فيما علمت ـ أدوات تنتقل بسرعة ما تنتقل به الكتب من قطر لآخر، عدا ما يتبدّد منها أثناء

(1) المعالم ج 3 ص 224 [3: 181].

الحروب والفتن، وما يفتقد بالإهمال وعدم العناية كالتمزق والحرق وعمل العثّ إلى غير ذلك من المصائب والنوائب.

ولقد رأيت من المخطوطات القيروانية والتونسية ما يرجع تاريخ نسخه إلى ذلك العصر الذهبي في أقاصي البلاد العربية فلقد شاهدت بمتحف دمشق العربي نسخة جليلة[1] من كتاب «الملخّص» للقابسي على الرق مكتوب في القيروان في حياة المؤلف، ورأيت نسخة كاملة من مدوّنة سحنون على الرقّ أيضاً ترجع إلى القرن الخامس وهي على غاية الجمال والضبط جلبها مالكها الحالي من مدينة «تنبكتو» ببلاد الشاد في أواسط السودان.

وهذه مصنفات أَبي حنيفة النعمان بن محمد القيرواني، قاضي قضاة الفاطميين، في فقه الشيعة الإسماعيلية وتاريخ ملوك بني عبيد لا يوجد منها اليوم تأليف واحد في البلاد التونسية وإنما هي - بأجمعها تقريباً - عند جماعة الإسماعيليين في الهند، وقس عليه ما خفي عنك.

انظر إلى ما روى أبو محمد عبد الله الشبيبي - من علماء القرن الثامن - فإنه قال: «إن الوافدين لقراءة العلم بالقيروان من شغفهم بكتاب «المدونة» قد تغالوا في اقتناء نسخها وأكثروا في ثمنها فاشتروا ما بالقيروان حتى عدمت منها. . »[2].

وفوق ذلك كله لا ننسى تلك الكارثة العظيمة المؤلمة: زحفة الأعراب من بني هلال وبني سُليم في آخر عهد المعزّ بن باديس سنة 449 هـ فإنها كانت الكارثة القاضية على تمدن البلاد إذ زعزعت أركان الحضارة العربية بإفريقية، وذهبت برونقها اللامع كأمس الدابر، وحتَّمتْ على السكان الجلاء إلى أطراف الأصقاع ما بين المشرق والمغرب، فأصبح القطر بعد انتقالهم أثراً بعد عين مما جعل أحد أبنائها الأدباء - وهو علي بن محمد الخولاني المعروف بالحدّاد المهدوي - يندب حاله، وقد اضطر لبيع جميع كتبه في مسقط رأسه ليتقوّى بثمنها على مفارقة وطنه

(1) [ما ذكره المؤلف في ترجمة القابسي (الترجمة رقم 51 في هذا الكتاب) أن الموجود في متحف دمشق هو الورقة الأولى فقط].

(2) المعالم ج 3 ص 226 [3: 182].

والهجرة إلى ثغر الإسكندرية، فأنشد قبل السفر:

قالت وأبدتْ صفحةً كالشمس من تحت القِنَاعِ
بعتَ الدفاتِرَ وهي آخر ما يُبَاعُ من المَتَاعِ
فأجبتها ويدي على كبدي، وَهَمَّتْ بانصداع
لا تعجبي مما رأَيْتِ فنحن في زمن الضَّيَاع!

الفصل الثاني

القرآن وعلومه

— 1 —

عكرمة البربري(*)

000 - 105هـ/ 3 - 724

أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله، مولى عبد الله بن العباس. أصله من البربر ووهب لابن عباس وهو على ولاية البصرة فحرص على تعليمه وتأديبه. وقبل موت سيّده ابن عباس استكمل عكرمة عدته وأباح له الجلوس في المسجد والتدريس فيه.

ثم دخل عكرمة المغرب وأقام به. وكان يجلس في مؤخر الجامع بالقيروان غربيّ المنارة في الموضع الذي يسمّى بالركيبية (1). وقد بقي موضع جلوسه معروفاً إلى منتصف القرن الرابع للهجرة.

وقد اتهم الرواة ونقلة الحديث عكرمة. وتجنّب بعضهم الرواية عنه في حين وثّقه آخرون. وهؤلاء وأولائك متفقون على معرفته بابن عباس ودرايته بعلمه. وأكثر اتهام عكرمة جاء من جهة رأيه وانتحاله لرأي الخوارج. قيل: رأي نجدة الخارجي، وقيل رأي الصفرية، وقيل الإباضية، حتى قال ابن بكير: «الخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا»(2).

وتعددت الأقوال في تاريخ وفاته. والمختار منها أنه توفي سنة 105 هـ (3).

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة واكتفى بذكره في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

(1) طبقات أبي العرب ص 9.

(2) تهذيب التهذيب 267:7.

(3) أخذ أكثر الباحثين بهذا الرأي لأنه يجمع بين وفاته ووفاة كثير عزّة.

لــه:

1 ـ **تفسير القرآن**. نسبه له البغدادي في هدية العارفين والمؤلف في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

والمعروف أن عكرمة من رواة التفسير عن ابن عباس وأحد مشاهيرهم.

- مصادر:

ـ الأعلام 244:4.

ـ تاريخ الإسلام للذهبي 156:3 — 162.

ـ التاريخ الكبير للبخاري ج 4 ق 49:1.

ـ تراجم المؤلفين 290:6.

ـ تهذيب الأسماء واللغات 340:1 — 341.

ـ تهذيب التهذيب 263:7.

ـ الجرح والتعديل ج 3 ق 7:2 — 9.

ـ شذرات الذهب 130:1.

ـ صفة الصفوة 105:2 — 107.

ـ طبقات أبي العرب ص 19.

ـ طبقات خليفة بن خياط ص 280،

ـ طبقات الفقهاء ص 70.

ـ الطبقات الكبرى 287:5 — 293.

ـ الكاشف 276:2.

ـ مشاهير علماء الأمصار ص 82.

ـ المعارف لابن قتيبة ص 455.

ـ المعرفة والتاريخ 5:2 — 12.

ـ ميزان الاعتدال 93:3.

ـ هدية العارفين 666:1.

ـ وفيات الأعيان 266:3.

— 2 —

ابن سلام (يحيى)

آل سلام التيميون، بيت قديم من بيوت العلم في القيروان، تداول أفراده الدراسة والتدريس مدة تقرب من مائة وخمسين سنة، وما منهم واحد إلاّ وقد بث العلم في صدور الرجال وألّف كتباً مفيدة نافعة منهم:

يحيى بن سلام[1] بن أبي ثعلبة التيمي ـ تيم ربيعة ـ أبو زكرياء. مولده بالكوفة سنة 124 هـ (741 م). وكان أبوه من أهلها فدرس صغيراً بها. حكى عنه ابنه محمد قال: «قلت لأبي: من أحسن من رأيت، فيمن لقيت من الرجال، خَلْقاً. قال: ابن الجارود الكوفي، وكان عظيم الرأس، أتاه أعرابي فرآه يفتي في العربية والفقه والشعر، ونحن نسمع منه، فقال له ابن الجارود: يا أعرابي ألك حاجة. فقال: نعم. قال: سل عمّا بدا لك، قال الأعرابي: ابنُ مَنْ أنت. قال ابن الجارود: أنا ابن من سجدت له الملائكة، فاتّكأ الأعرابي على يديه وجعل يرجع إلى خلفه ويقول: تالله إنك لتقول ـ يا ذا الرأس ـ قولاً عظيماً. ولم يفهم الأعرابي بأنه أراد بأبيه «آدم» وقد سجدت له الملائكة».

ثم انتقل أبوه سلام إلى سكنى البصرة لغرض مًّا، فأقبل الابن على الدراسة ومزاولة العلم. فتلقّى العربية عن أساتذة الفنّ، والبصرة إذ ذاك مركز الأبحاث اللغوية، ودرس القراءات على أصحاب الحسن البصري، مثل الحسن بن دينار وغيره، ووجّه عنايته للحديث، واعتنى بالرواية، وأخذ يجوب عواصم الثقافة المشهورة فقرأ بالكوفة وبغداد ودمشق ومكة والمدينة. وتحوّل إلى مصر سعياً منه

في التلقّي من أفذاذ أصحاب الحديث حتى امتلأ وطابه، وصار معدوداً في جلّة الرواة وعِلْية الحفّاظ الثقات.

أخبر يحيى عن نفسه، قال:

«أحصيت بقلبي مَن لقيت من العلماء فعددت ثلاثمائة وثلاثة وستين عالماً سوى التابعين. وهم أربعة وعشرون وامرأة تحدث عن عائشة أم المؤمنين».

وممّن روى عنهم ـ ورووا عنه ـ اللّيث بن سعد ومالك بن أنس وعبد الله بن لهيعة وعبد الله بن وهب، وغيرهم.

قال يحيى: كتب عنّي مالك بن أنس ثمانية عشر حديثاً. وكان يحيى يقول: كلّ من رويت عنه العلم فقد روى عني إلاّ القليل منهم.

وحكى ابنه محمد قال: قال لي أبي في طريقنا إلى الحج: يا بني، رويت ستة آلاف حديث لم يسألني عنها أحد ولم أحدث بها أحداً.

وبعد هذا التبحّر في العلم ـ لا سيما في رواية الحديث ـ خرج يحيى بن سلام من مصر يريد إفريقية في حدود سنة 182 هـ (798 م) بنية التجارة، فقصد القيروان ـ وكانت القيروان وقتئذ عاصمة المغرب الكبرى ـ واستقر بها، واتخذ هناك داراً لسكناه إذ كان يصحبه أهله وولده.

ولأول نزوله بالعاصمة الإفريقية شاع في الأوساط ذكره وانتشر خبر علمه وفضله، فأقبل العلماء والطلاّب عليه. ورغبوا منه أن يلقّنهم مروياته وأسانيدَه، فأجابهم. وظلّ يباشر تجارته في أوقات، ويلقي الدروس ويفتي الناس في شؤون دينهم ودنياهم في أوقات أخرى، وقد بلغ في صيته أن قرّبه الأمير إبراهيم بن الأغلب لأول ولايته على إفريقية من نفسه وألحقه بخواص جلاّسه ومستشاريه سيما أن هذا الأمير كان تزود علمه في مصر من المجتهد الكبير اللّيث بن سعد قرين يحيى بن سلاّم.

قال يحيى: سمعت القاضي عبد الله بن غانم الرّعيني في مجلس إبراهيم ابن الأغلب يحدث عن الليث بن سعد أنه قال: أحصيت على مالك بن أنس

سبعين مسألة كلّها مخالفة لسنّة النبي ـ ﷺ ـ ما قال مالك فيها برأيه. قال الليث: ولقد كتبت إليه في ذلك(*).

ومما يثبت مكانة يحيى ووجاهته لدى الأمير أن اتخذه عمران بن مجالد الربعي، الثائر مع الجند العربي على إبراهيم بن الأغلب، سفيراً وشفيعاً للحصول على العفو منه، والأمان لنفسه ولولده وأهله وماله من الأمير، فنال له ـ وللجند جميعاً ـ العهد بالأمان، أوائل سنة 190 هـ (806 م)(**).

ونقل عنه أبو العرب حكاية رواها عن زكرياء بن محمد بن الحكم(**) قال: كان زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب جالساً، وعنده يحيى بن سلام وأسد بن الفرات وأبو محرز القاضي، فأتى زيادة الله بجراب فيه مال من قسطيلية ـ بلاد الجريد الآن ـ ففرّغ بين يديه فإذا فيه خلاخيل وأسورة وحليّ من حلي النساء ودنانير عيناً. فقال زيادة الله للقوم الذين حضروا: والله، ما أعطى هذا أهله وهم طائعون. ثم لما كان بعد ساعة أراد القوم الانصراف فقال زيادة الله ليحيى بن سلّام: هاك. فحفن له في طرف ردائه وقال لأسد بن الفرات. هاك فحفن له في ردائه. وأعطى القوم فأخذوا كلهم. فقال لزكرياء بن الحكم: هاك. فقال زكرياء: أنت تخبرنا أنهم إنما أعطوه غير طائعين. فكيف نأخذه. ولم يأخذ منه شيئاً. ثم خرج زكرياء فلما ولّى راجعاً جعل زيادة الله ينظر إليه وهو يقول: «لله درك. يا ابن الحكم».

وفي نظرنا (2) أن هذه الحكاية المجلوبة لا تصح فيما يخصّ يحيى بن سلّام على الأقل. وذلك أن يحيى توفي قبل ولادة زيادة الله الأكبر بأكثر من سنة. فكيف يجوز حضوره في مجلس الأمير وهو في رمسه منذ زمان(****).

أجل كان يحيى على الجانب الأوفر من المروءة وعلو الهمة ومكارم

(*) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (148:2)·

(**) الحلة السيراء لابن الأبار ص 241(3).

(***) طبقات أبي العرب ص 89.

(****) طبقات أبي العرب ومعالم الإيمان (4).

الأخلاق، فمما يؤثر عن فضله ودينه ما حكاه ابنه محمد. قال: «كنت أمشي مع أبي إلى أن انتهينا إلى «موقف الخيل» بالقيروان فبينما نحن نمشي إذ جذبني جذبة شديدة ثم دخل إلى سقيفة (دهليز) هنالك وأدخلني معه، فقلت لأبي: ما القصة؟ قال: يا بني. رأيت غريماً لي فخفت أن يراني فيرتاع مني. وذكرت قول الله عزّ وجل: ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ فقعدنا ساعة ثم خرجنا فلما مشينا قليلاً التفت إليّ وقال: يا بني. إنه قد جاء في الحديث «من رحم يرحم»(*).

وحكى تلميذه أبو سنان زيد بن سنان. قال: أخذت يوماً بركاب يحيى بن سلام فركب دابته وقال لي: آجرك الله، يا ابن أخي. أما إنه من أخذ بركاب أخيه المؤمن حتى يركب حط الله عنه كبائره. فقلت له: يا أبا زكرياء إن هذا من الأدب الشريف. ولكني أريد أن تخبرني بأفضل ما تقرب العباد به إلى الله عزّ وجلّ. فقال: أخبرني زيد (5) بن حبيش عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لن يتقرب العباد إلى الله تعالى بأفضل من رد كبد جائع»(**).

وامتاز يحيى بحافظة عجيبة. قيل: إنه ما سمع شيئاً قط إلّا حفظه حتى أنه كان إذا مرّ بمن يتغنّى من أهل الملاهي يسد أذنيه لئلا يسمعه فيحفظه(***).

وبالجملة فقد كان يحيى من خيار علماء عصره سمتاً وصلاحاً وشفقة، وكان في الدرجة العالية من الثقة والأمانة، ثبتاً فيما يرويه مع الإدراك التام، ممن يعول عليه في حفظه ونقله.

ولأول مجيئه إلى إفريقية وتصدره للتعليم والرواية رماه قوم من علماء القيروان بالقول بالإرجاء، وَهْماً منهم أو تعصُّباً عليه. فقد روى أبو العرب التميمي ـ مؤرخ إفريقية في عصره ـ قال(****):

(*) طبقات أبي العرب ومعالم الإيمان.
(**) رياض النفوس للمالكي ص 18 قفا (6).
(***) أبو العرب (37).
(****) المصدر المذكور (ص 37).

«حدثني بكر بن حمّاد. قال حدثني أبو الربيع اللّحياني أن رجلاً قال ليحيى بن سلام: يا أبا زكرياء، بعض الناس يرميك بالإرجاء» فضرب يحيى بيده على جدار القبلة وقال: لا، وربّ هذه القبلة. ما عبدت الله على شيء من الإرجاء قط. كيف. . . وقد حدثتكم أنه بدعة».

وحكى أبو العرب أيضاً:

«قال لي سليمان بن سالم ـ من علماء القيروان ـ وإنما نسب إلى يحيى بن سلام الإرجاء أن موسى بن معاوية [الصمادحي] أتاه يوماً وقال له: يا أبا زكرياء، ما أدركت الناس يقولون في الإيمان [في المشرق] فقال له: أدركت مالك بن أنس، وسفيان الثوري وفلاناً يقولون: الإيمان قول، وعمل. وأدركت مالك بن مغْول. وفِطرْ بن خليفة وعمر بن ذرّ، يقولون: الإيمان قول.

قال سليمان: فأخبر موسى الصمادحي سحنونا بما ذكر يحيى بن سلام عن عمر بن ذر وفطر بن خليفة ومالك بن مغول. ولم يذكر له ما قال عن غيرهم فقال سحنون: هذا مرجىء».

ثم زاد أبو العرب بعد ذلك فقال:

«وحدثني سليمان بن سالم عن عون بن يوسف الخزاعي ـ من محدثي القيروان ـ قال: كنّا عند عبد الله بن وهب نسمع منه [بمصر] حتى مرّ في كتبه حديث عن يحيى بن سلام فقال: اطرحوه لأنه بلغني أنه مرجىء. قال عون: فقمت أنا إليه ومعي ثلاثة من طلبة أهل إفريقية فشهدنا عنده أنه بريء من الإرجاء. فقال لي ابن وهب: فرّجت عني فرّج الله عليك. قال عون: فلمّا قدمت القيروان ـ وكان يحيى باقياً بها بعد ـ أتاني مسلّماً علي. وقال لي: يا أبا محمد! قد بلغني محضرك عند ابن وهب فجزاك الله خيراً. والله ما قلت أنت إلّا حقاً. وما دِنْتُ أنا الله به قط».

ومما يؤثر عن تحرّيه واحتياطه العبارة الآتية المنسوبة إليه، وقد نقلها عنه ابن عبد البرّ(*):

(*) جامع بيان العلم وفضله 47:2).

«قال يحيى بن سلّام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي. ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول هذا أحبّ إليّ» وهذا ـ كما ترى ـ هو مذهب الفضلاء الثقات الذين يحتاطون لعلمهم قبل الاطلاع على كلّ الآراء المخالفة للبتّ في مسألة مًا، والجواب عنها.

وفيما أوردنا من الأخبار الواردة كفاية لدفع الشبهة المشينة التي أراد بعض مغرضي معاصريه إلصاقَها به للحطّ من قدره والخدش في عمله. وقد وعد الله الذين أخلصوا في دينهم وعلمهم بأن أمانتهم تعلو بالرغم من سعي الحاسدين.

أما لو أردنا ذكر ثناء العلماء المعاصرين عليه لطال بنا البحث. ويكفي أن نقول: إن قاضي القيروان عيسى بن مسكين ـ وهو من هو ـ سئل عن رأيه في يحيى بن سلّام، فقال: «والله إنه لخير منّا» [7].

ولما عرّف به أبو العرب قال في حقه [8]: «كان ثقة ثبتاً لا يقول إلا الحق». يؤيد هذه الشهادات وعلوّ كعبه في العلم كثرة إقبال أبناء إفريقية للأخذ عنه والرواية عليه. وقد أحصينا نحو الثلاثين ممن اشتهر منهم بعدُ بسعة العلم. وها نذكر البعض ممن روى الحديث عنه من الإفريقيين دون الشرقيين والأندلسيين:

ـ زيد بن سنان الأسدي، أبو سنان. سمع بالمشرق من سفيان بن عيينة وعبد الرحمان بن القاسم. ورأى أبا معمر صاحب أنس بن مالك، وهو يومئذ يختلف إلى الكتّاب، ولم يسمع منه شيئاً لصغر سنه. وكان زيد محدثاً ثقة مأموناً مات بالقيروان سنة 244 هـ (858 م).

ـ أحمد بن موسى بن جرير الأزدي، أبو داود. من بيت علم وفضل ونباهة محدث مشهور. روى عن يحيى بن سلّام وأسد بن الفرات وغيرهما. توفي سنة 244 هـ (858 م) وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

ـ أحمد بن محمد بن قادم. سمع من يحيى بن سلّام وأسد بن الفرات وشهد معه فتح صقلية. معدود في كبار الحفاظ للحديث توفي سنة 247 هـ (861 م).

وممن روى عنه كثيراً واقتفى أثره في هديه وعلمه ابنه الأكبر محمد بن يحيـى بن سلّام، وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في ترجمته وسوى من ذكرنا كثير تراجع تراجمهم في المطولات.

ومهما يكن من أمر فإن يحيـى بن سلام بعد أن قضى جانباً عظيماً من عمره في إفريقية ـ وخاصة في القيروان ـ وبث فيها من العلم بين طبقات المتعلمين ما سبقت الإشارة إليه حنت نفسه [9] إلى زيارة الحجاز وإعادة العمرة فتأهب لذلك وسافر براً من طريق طرابلس، وقد صاحبه ابنه محمد فمرّا بمصر، ودخلا الحجاز وحجّا، وزارا مدينة الرسول. ثم عادا فمرض يحيـى في طريق رجوعه، فما وصلا إلى مصر حتى أدركته المنية بعد أيام من حلوله بالفسطاط في خلال شهر صفر من سنة 200 (سبتمبر 815 م) وانفجع العلماء لوفاته واحتفلوا بتشييع جنازته ودفن بالمقطم إلى جانب قبر عبد الله بن فرّوخ المحدث القيرواني رحمهما الله. وبعد مدة يسيرة من وفاته رجع ابنه محمد وحده إلى إفريقية حيث ترك الأهل والولد والرزق.

وليحيـى من التآليف [10] بحسب ما وصل إليه علمنا:

1 ـ **تفسير القرآن** ويعرف باسمه «**تفسير يحيـى بن سلام**» وهو تفسير بالآثار على طريقة المتقدمين. وربما كان أقدم ما لدينا من نوعه، وكان فيما سلف معروفاً شائعاً كثيراً إلى القرن الخامس للهجرة [11].

قال أبو عمرو الداني في حقه [12]: «وليس لأحد من المتقدمين مثله» ثم قلّ تداوله بظهور التفاسير المطوّلة المحشوّة بمسائل النحو والبلاغة. والمظنون أنه كان في سفرين أو ثلاثة، مقسوماً إلى أجزاء عديدة، كل جزء يشمل تفسير سورة أو بعض السور. والموجود منه الآن متفرق في ثلاث مكتبات:

أ ـ الجانب الكبير ـ وهو غير متتابع ـ محفوظ بمكتبة جامع القيروان [13].

ب ـ ونحو 13 حزباً في سفر قديم على الرق بالعبدلية، مكتبة جامع الزيتونة[14].

ج ـ وفي مكتبتي الخصوصية [15].

وقد عني من قديم جماعة من العلماء بهذا التفسير فأقرأوه. وشرحوه، واختصروه. وقد زاد عليه ابنه محمد ـ بعد وفاة أبيه ـ زيادات مهمة جعلها كالشرح عليه، مما أشرنا إليه في ترجمته.

وممن اختصره محمد بن عبد الله بن عيسى الألبيري المعروف بابن أبي زمنين الأندلسي المتوفّى سنة 399 هـ (1009 م) ويوجد من هذا الاختصار قطعة بالمتحف البريطاني رقم Add 19490 (16).

كما اختصره عبد الرحمان بن مروان الأنصاري المعروف بالقنازعي القرطبي المتوفّى سنة 413 هـ (1022 م) وهو ممن قرأ بالقيروان وأخذ عن علمائها كابن أبي زيد وغيره (الصلة لابن بشكوال ص 316) (17).

2 ـ **كتاب الجامع** (18) ويظهر أنه مجموعة كبيرة في مروياته للحديث والسّنن مبوّبة على أبواب الفقه في العبادات والمعاملات على نمط كتاب «الموطأ» لمالك بن أنس. ويوجد في مكتبة جامع عقبة بالقيروان جزء على الرق مرسوم على الورقة الأولى منه: «الكتاب الثاني والثالث من البيوع عن يحيى بن سلّام البصري» ويرجع تاريخ نسخه إلى القرن الثالث، وعليه تملّك أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم المؤرخ المشهور ولا شك عندي أنه قطعة من «الجامع» المشار إليه. والغالب على الظن أن هذه المجموعة على رأي أهل العراق: أبي حنيفة وأصحابه. ويحيى بن سلّام عراقيّ المولد والمنشأ. فكان هو وأولاده بعده يميلون إلى آراء العراقييـن.

3 ـ **كتاب الأشربة** (19) يوجد منه بعض أوراق على الرق بمكتبة عقبة بالقيروان. وهي بخط المؤرخ أبي العرب. يقول أبو العرب في الورقة الأولى منه: «حدثني به يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام عن أبيه عن جدّه». وبهذه الورقة سماعات بخط أبي العرب بتاريخ سنة 273 و 275 هـ (886 و 888 م).

4 ـ **اختيار في القراءات من طريق الآثار لم يصل إلينا**. وقد تفرّد ابن الجزري بذكر هذا الاختيار (20).

مصادر :

ـ أبو العرب: 37 ـ المالكي: 18 ـ فهرس ابن خير: 56 ـ معالم (239:1).

ـ الحلة السيراء: (2 — 241)ـ طبقات ابن الجزري 373:2 ـ طبقات المفسرين للسيوطي ص 18 طبع ليدن.

ابن سلام (يحيى)

124هـ / 741 م ـ 200 هـ/ 815 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ في رياض النفوس 138:1 ـ حاشية 1، وأصول المعالم 322:1 حاشية 5، وسجل قديم لمكتبة جامع القيروان (مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة 360:2) جاء لقبه: ابن السلام.

2 ـ قارن برياض النفوس 238:1، معالم الإيمان 69:2.

3 ـ ط مونيخ بتحقيق مولّر. وط القاهرة 105:1.

4 ـ لم يرد النصّ في الطبقات. وهو في الرياض 190:1 وعنه نقل صاحب المعالم 324:1.

5 ـ كذا في أصول المعالم 323:1. وصحته: زِرّ ـ بكسر أوله. ينظر رياض النفوس: 324:1.

6 ـ الإشارة هنا إلى مخطوطة باريس. وينظر رياض النفوس 189:1 — 190 ط بيروت.

7 ـ رياض النفوس 190:1.

8 ـ النّص في الطبقات ص 37. وعبارتها: وكان ثقةً ثبتاً. وكان له إدراك.

9 ـ في الحلة السيراء 105:1: أن سبب ذهابه إلى الحجاز كان نتيجة خفر ذمته في وساطته بين عمران بن مجالد وعبد الله بن إبراهيم بن الأغلب.

10 ـ قال أبو العرب (الطبقات ص 37): وله مصنّفات كثيرة في فنون العلم.

11 ـ عن شيوعه في الأندلس خاصة ينظر: تاريخ رواة العلم بالأندلس 357:1، 359، 32:2، 148، 189، 210، جذوة المقتبس ص 363.

12 ـ النقل من غاية النهاية.

13 ـ محفوظة في مكتبة جامع عقبة بن نافع بالقيروان قجر 5، محفظة 27 الملفات 1،

2، 3، 4، 5. ومنها نسخة مصورة على الميكروفيلم محفوظة بالمعهد القومي للآثار بتونس من رقم 333 إلى رقم 809 (النيال: المكتبة العتيقة ص 26، 37). وقد تحدث ج. شاخت عن هذه القطع والأوراق من خلال ميكروفيلم معهد الآثار بتوسع في مقاله «حول بعض مخطوطات القيروان وتونس» المنشور في مجلة «آرابيكا» م 233:14 — 234.

14 ـ نقل إلى دار الكتب الوطنية وهو محفوظ بها تحت عدد 7447 ورقمه في المكتبة العبدلية كان 245.

ومن هذا الجزء والأوراق والقطع المحفوظة في مكتبة جامع القيروان نسخة مصورة بالفوتوستات تقع في ثلاث مجلدات بها 830 لوحة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم 24.791 ب.

15 ـ دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 18.653 (عبد الوهاب 753).

16 ـ ومنه نسخة عتيقة في خزانة جامع القرويين بفاس تحت عدد 34. وعنها أخذت نسخة على الميكروفيلم في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. (م. م. م. ع 233:22 - 234).

17 ـ ط مدريد. وفي ط العطار 310:1.

18 ـ ذكره ابن الجزري في غاية النهاية 375:2. وقارن بما جاء في المكتبة الأثرية ص 40 رقم 2883 — 2885.

19 ـ المعروف أن الكتب القديمة المعنونة بلفظ «الجامع» تشمل عدداً من العناوين الفرعية بعنوان كتاب كذا وكتاب كذا. والسؤال هو: ألا يكون كتاب الأشربة جزءاً من كتاب «الجامع»؟.

20 ـ كذا ورد في الأصل. ونحن نرجح أن «الاختيار» ليس كتاباً بل هو اصطفاء لما هو أرجح وأولى بالقبول مثل «الاختيار» عند الفقهاء. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن المرحوم ح. ح. عبد الوهاب اعتمد نص ابن الجزري. ونحن نجد مثل هذا الإطلاق في ترجمته لورش (غاية 502:1) ونافع (غاية 331:2) وأصرح من هذا وذاك ما جاء في ترجمة الكسائي (غاية 1 :535) «فاختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة».

وينظر عن اختيار يحيى: هند شلبي، القراءات بإفريقية ص 172 — 195.

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

رياض النفوس 1:188 — 192.

ب ـ طبعات جديدة:

الحلة السيراء 1:105.

معالم الإيمان 1:321 — 328.

ج ـ إضافات:

ـ الأعلام 8 :148.

ـ بروكلمان (معرب) 4:10.

ـ تراجم المؤلفين 3:53 — 57.

ـ التفسير ورجاله ص 23 — 28.

ـ الجرح والتعديل، ج 4 ق 2:155.

ـ سجل قديم لمكتبة جامع القيروان (م . م . م . ع بالقاهرة 2:360 — 362).

ـ سزكين: تاريخ التراث العربي 1:65 — 66.

ـ طبقات المفسرين 2:371.

ـ فهرس خزانة جامع القرويين بفاس 1:34.

ـ فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية 1:168.

ـ فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 16.

ـ فهرس مخطوطات المتحف البريطاني 2:371 — 372.

ـ فهرس المكتبة العبدلية 1:44 — 46.

ـ القراءات بإفريقية ص 159 — 182.

ـ لسان الميزان 1:259 — 260.

ـ مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة 22:233 — 234.

ـ معجم المؤلفين 13:200 — 201.

ـ مقدمة كتاب التصاريف ص 67 — 71.

ـ المكتبة الأثرية بالقيروان ص 26، 37، 40.

ـ ميزان الاعتدال 4:380 — 381.

— 3 —

ابن سلام

محمد بن يحيى بن سلام.

ولد بالبصرة سنة 180 هـ (796 م). وفد القيروان صغيراً مع أبيه، وقرأها عليه وعلى غيره من المحدّثين كالبهلول بن راشد، واتجهت عنايته إلى الحديث خاصة فبرع فيه حتى عدّ من جلّة نقلته ورواته، واشتهر بمعرفة رجاله وحملته، وكان ـ رحمه الله ـ حافظاً فاضلاً، ورعاً، مطبوعاً على الأخلاق الكريمة، مبرزاً في المعرفة وفهم الأصول، على هدى واستقامة.

صحب أباه إلى الحج وزار المشرق، ولمّا مات أبوه حصلت له حظوة كبيرة بين العلماء.

وكان محمد بن يحيى يقرىء تفسير القرآن بكِتَاب أبيه في المسجد الجامع بالقيروان، وقد روَاه عنه جماعة من أبناء إفريقية والأندلس[1]، وسنده في الحديث وكذا في التفسير سند عال.

ولم يزل محمد في مقام التعظيم والإجلال من أهل زمانه إلى أن توفي في منتصف ذي القعدة سنة 262 هـ (أغسطس 876 م).

من آثاره الكتابية:

ـ زيادات على تفسير أبيه يحيى بن سلام[2].

منها أجزاء متفرقة قديمة مكتوبة على الرق محفوظة بمكتبة جامع عقبة عليها ساعات كثيرة يرجع تاريخها إلى عصر المؤلف.

مصادر:

أبو العرب ص 38، المعالم 2:95.

محمد بن يحيى بن سلام
180 هـ/ 796 م ـ 262 هـ/ 876 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ ينظر فهرسة ابن خير ص 56 ـ 57 .

2 ـ عن هذه الزيادة ينظر: فهرسة ابن خير ص 57.

II ـ مصـــادر :

أ ـ طبعات جديدة .

ـ معالم الإيمان 145:2 — 150 .

ب ـ إضافات .

فهرسة ابن خير ص 56 — 57.

— 4 —
ابن سلام

يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام، ابن المتقدم.

مولده بالقيروان سنة198 هـ (814 م) وقرأ على والده وعلى غيره، واشتغل كأبيه وجدّه بالحديث والفقه عى مذهب العراقيين، أصحاب أبي حنيفة، وكان أميناً في علمه، ضابطاً لكتبه كثير الحياء.

قال تلميذه أبو العرب التميمي عند التعريف به: «كان صالحاً، ثقة، صحبته سنين طويلة ـ نحواً من سبعين سنة[1] ـ ما رأيته غضب إلا مرة واحدة صاحَ على غلام له، وكان محسناً في علمه متواضعاً فيه، قليل الادعاء والخوض فيما لا يعنيه».

وعنه روى الناس ـ بعد أبيه ـ تفسير جدّه يحيى، وقد أقرأه في جامع عقبة بالقيروان ـ فأخذه عنه القاصي والداني.

وتوفي في سنة 280 (893 م) ودفن بالمقبرة البلوية حِذو أبيه.

له:

كتاب.. التصاريف..:

أبان فيه عن الكلمات الواردة بمعان مختلفة في القرآن الكريم كلفظ الزكاة والسكينة والصلاة، مع ذكر مواردها في الآيات، وهو ما يسمّى بالأشباه والنظائر في علوم القرآن. وأظنه من أقدم ما صُنِّفَ من تفسير القرآن من الناحية اللغوية[2].

منه قطعة صالحة كبيرة، مكتوبة على الرق يرجع تاريخها إلى عصر المؤلف محفوظة بمكتبة جامع عقبة[3].

مصادر :

ـ طبقات أبي العرب ص 38 — 39، معالم الإيمان 2 ,130.

ابن سلام
198 هـ/ 814 م ـ 280/ 893 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ ما بين المطتين لم يرد في الطبقات. وعزاها الدباغ لأبي العرب. وفي المعالم ـ أصل الدباغ ـ ص 162: «سبع سنين» وهو الصحيح. لاستحالة التقدير الأول.

2 ـ أقدم ما عرف من التآليف في هذا الفنّ كتاب «الأشباه والنظائر» لمقاتل بن سليمان المتوفي سنة 150 هـ. طبع بتحقيق عبدالله شحاته. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975/1395.

3 ـ جاء ذكره في سجل قديم لمكتبة القيروان ص 27، ومنها نسخة مصوّرة بالمعهد القومي للآثار (صفحات 404 - 431). ينظر: المكتبة الأثرية ص 40، وأخرى بدار الكتب المصرية رقم 24.795. وقد تولت تحقيقها الباحثة هند شلبي ونشرتها الشركة التونسية للتوزيع سنة 1979 م. ونسبتها ليحيى بن سلام (الجدّ) باستنتاجات غير واضحة ولا نظن البحث العلمي يسلّم بها.

II ـ مصــادر :

أ ـ طبعات جديدة.

ـ معالم الإيمان 195:2 - 196. وتحرّف اسمه في طبعتي المعالم «محمد بن محمد ابن يحيى بن سلام».

ب ـ إضافات.

ـ سجل قديم لمكتبة جامع القيروان ص 27.

ـ فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية 160:1.

ـ معالم الإيمان (أصل الدباغ) ص 162.

ـ المكتبة الأثرية بالقيروان ص 40.

— 5 —
موسى القطان

موسى بن عبد الرحمان بن حبيب ـ وقيل جندب وهو وهْم ـ [1] ويعرف بالقطّان، أبو الأسود. وجدّه حبيب من موالي بني أمية. وأصله من بربر قمودة.

ولد موسى بالقيروان سنة 232 هـ، وصحب محمد بن سحنون، وسمع منه ومن غيره. وروى عنه جماعة منهم أبو العرب التميمي. وأوْلاه الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب قضاء طرابلس أيام قضاء عيسى بن مسكين بالقيروان. فنفذ الأحكام، وأخذ حقّ الضعيف من القوي، فرفع أعيان البلدة شكايات ملفقة إلى الأمير الأغلبي فعزله وحبسه شهوراً في موضع يعرف بالكنيسة قرب مدينة تونس. ثم أطلقه. وكان سبب سراحه من السجن مسألة رجل اشترى حوتاً فوجد في بطنه آخر فاختلف الفقهاء: هل هو للبائع أو للمشتري؟ فأفتى موسى: إن كان الشراء على الوزن فهو للمشتري وإن كان على الجزاف فهو للبائع. فلما بلغت فتواه الأمير أمر بإطلاقه.

وقد ألّف أبو عبد الله الأجدابي في فضائله ومناقبه تأليفاً مستقلاً [2]. وفي مكتبة عقبة بجامع القيروان بعض كتب مخطوطة مرسوم عليها روايته وسماعات عنه، وقفت عليها. وتوفي في ذي القعدة سنة 306.

لـه:

1 ـ أحكام القرآن في اثني عشر جزءاً[3] موضوعه استخراج الأحكام من الكتاب العزيز، وصفه معاصروه بالجودة والإتقان.

مصادر :
ـ الخشني 159 ـ المدارك 79:2 ـ ابن العذاري 184:1 ـ معالم الإيمان 230:2.
ـ الديباج 342. .

موسى القطّان

232 هـ / 6 - 847 م ـ 306 هـ / 919 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ نبّه إلى ذلك الداودي في طبقات المفسرين.

2 ـ هذا خطأ متداول في نسخ المدارك. والصواب أن الأجدابي ألّف مناقب ربيع القطان لا موسى القطان. ينظر المدارك 101:7 (ترجمة الأجدابي).

3 ـ شكّك ابن ناجي في وجود هذا الكتاب.

II ـ مصادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 90:5 — 95.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ البيان المغرب 181:1 (حوادث 306 هـ).
ـ الديباج المذهب 335:2 — 336.
ـ معالم الإيمان 335:2 — 339.

ج ـ إضافات:

ـ الأعلام 324:7.
ـ تراجم المؤلفين 94:4 — 95.
ـ شجرة النور الزكية 81:1.
ـ طبقات الفقهاء للشيرازي ص 159.
ـ طبقات المفسرين للداودي 341:2 — 342.
ـ معجم المؤلفين 41:3.

— 6 —

ابن خيرون [1]

محمد بن عمر بن خيرون المعافري، أبو عبد الله.

من أهل الأندلس وبها ولد، وعِداده في الإفريقيين، خرج من بلاده صغيراً، وقصد العراق فقرأ على محمد بن نصر صاحب يحيى بن معين وغيره. ثم رجع إلى مصر، واعتنى بالقراءات فأخذها عن عبيد بن رجاء وأبي الحسن المزني من أصحاب ورش عن ورش عن نافع، وبرع فيها حتى عُدَّ من فحول أيمتها.

ثم تحوّل إلى القيروان في غرض التجارة فاستقرّ بها واتخذها داراً ـ أواسط القرن الثالث ـ وأقبل على تعاطي تجارته وإقراء العلم بها فاجتمع الناس إليه ورحل إليه أهل القرآن من الآفاق، وامتاز بكونه أوّلَ من أدخل قراءة نافع بن أبي نعيم إلى إفريقية، وكان الغالب على أهل المغرب والأندلس القراءة بحرف حمزة، فشاع حرف نافع من يومئذ بعد أن كان لا يقرأ به إلاّ الخواص واستمر الحال على ذلك إلى يومنا هذا. يؤيده ما رواه القاضي عياض بالنقل عن أبي عمرو الداني: أن عبد الله بن طالب أيام قضائه بالقيروان سنة 267 هـ أمر ابن برغوث كبير القراء بجامع القيروان ألاّ يقرىء الناس إلاّ بحرف نافع. (*).

وذكر أبو عمرو الداني ابن خيرون في طبقاته للقراء فقال: «هو شيخ القراء بالقيروان وإمام في قراءة نافع من رواية ورش عنه، ثقة مأمون».

وقال ابن الفرضي في حقه «كان رجلاً صالحاً، فاضلاً كريم الأخلاق، إماماً

(*) المدارك 275:2[2].

في القرآن مشهوراً بذلك، قدم بقراءة نافع على أهل إفريقية».

واتخذ ابن خيرون لنفسه رباعاً كثيرة بالقيروان منها فنادق لتجارته كانت مجاورة لسجن البلد. وابتنى بها مسجداً جميلاً باقياً إلى الآن معروفاً باسمه، عليه كتابة بالقلم الكوفي نقشاً في الحجارة على واجهة مدخله، ونص الكتابة «بسم الله الرّحمان الرّحيم، لله الأمر من قبل ومن بعد، أمر ببناء هذا المسجد محمد بن خيرون المعافري الأندلسي تقرّباً إلى الله ورجاء مغفرته ورحمته»[3].

وقد أشار ابن عذاري إلى هذا التأسيس حيث قال «وفي سنة 256 بنى محمد بن خيرون [4] المعافري الجامع الشريف بالقيروان المنسوب إليه، بناه بالآجرّ والجصّ والرخام وبنى فيه جِباباً للماء»(**).

ويسمّى هذا المسجد اليوم «بجامع ثلاث بيبان» وفي نفس الحارة يوجد مسجد آخر غير بعيد عن الأول منسوب أيضاً إلى ابن خيرون. وله كذلك ثلاثة أبواب غير متفرقة عن بعضها بينما أبواب الأول متلاصقة في صف واحد.

وتوفّي ابن خيرون بسوسة بعد أن أوطنها، وذلك في 15 شعبان سنة 306 [5] وفي رواية سنة 305 [6].

وأعقب ابن خيرون أبناء نجباء اشتغلوا بعد أبيهم بالتجارة والعلم منهم أبو الحسن علي توفّي سنة 310 هـ. أحمـد ومحمد[7]، وحافده أبو محمد الحسن بن أحمد توفي سنة 347. وما زالت قبورهم ظاهرة حذو مضجع والدهم[8].

لــه:

1 ـ ك **الأداء** [9] وهو ملخص ما رواه عن أصحاب ورش في قراءة نافع بن أبي نعيم، قال ابن الأبّار «وقد أخذ الناس عنه هذا الكتاب بإفريقية وحمل عنه إلى المغرب والأندلس».

2 ـ **الابتداء والتمام** [10] في فن القراءات أيضاً.

(**) البيان المغرب (108:1)[11] أقول: الكتابة المرسومة على واجهة هذا المسجد تجعل تاريخ بنائه في خلال سنة 252 هـ (866 م) لا في سنة 256 كما جاء في ابن العذاري، وأظن ذلك تحريفاً من الناسخ أو الطابع.

3 ـ الألفات واللّامات في رسم المصحف.

مصادر:

- ابن الفرضي 402.
- التكملة لابن الأبّار، ملحق أول ص 191.
- ابن عذاري (170:1).
- ابن الجزري (217:2).
- الاستقصاء للسلاوي (62:1).

ابن خيرون
000 - 306 هـ / 920 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ سبق للمؤلف نشر ترجمة ابن خيرون في مجلة الثريا س 2، ع 5، ص 2 ونظراً للمستجدات التي طرأت على مادة التَرجمة نفيد بأننا حوّرنا الترجمة بما يقتضيه آخر تلك المستجدات. مع العلم أن المؤلف جمع بين أخبار صاحب الترجمة محمد بن عمر بن خيرون وبين أخبار ابنه أبي جعفر محمد بن محمد، باعتبارهما شخصاً واحداً. وقد فصلنا بين الترجمتين فأقررنا أخبار الوالد هنا وأرجأنا أخبار ابنه إلى قسم التاريخ من هذا الكتاب.

2 ـ ترتيب المدارك 313:4.

3 ـ النقائش العربية بالقيروان 62:1.

4 ـ في البيان المغرب «بن حمدون» وهو تحريف.

5 ـ بهذا أرّخ عند أغلب المؤرخين.

6 ـ انفرد به المالكي.

7 ـ هو أبو جعفر محمد مات مقتولاً سنة 301 هـ حسب الذي يأتي في ترجمته.

8 ـ يراجع نسب هذه الأسرة في النقائش العربية بالقيروان 186:1. رياض النفوس 53:2.

9 ـ انفرد ابن الأبّار بذكره.

10 ـ ذكره والذي يليه ابن الجزري في غاية النهاية في ترجمته وترجمة ابنه محمد (245:2) .

11 ـ البيان المغرب 114:1 (ط. كولان) والمذكور فيه هو سنة 252 هـ وليس 256. وحسب ما أثبته جامعو النقائش العربية بالقيروان فإن نقيشته ينقصها التاريخ المذكور (252 هـ) وأكملوه من البيان المغرب.

II ـ مصادر :

أ ـ طبعات جديدة:

ـ الاستقصاء 139:1 .

ـ البيان المغرب 114:1 (حوادث 252 هـ) .

ـ تاريخ رواة العلم رقم 1395 .

ب ـ إضافات :

ـ الإكمال لابن ماكولا 204:3 وتعليق المحقق رقم 3.

ـ بغية الملتمس ص 108، 226 .

ـ تبصير المنتبه 277:1.

ـ تاج العروس (مادة خير) .

ـ تراجم المؤلفين 264:2 — 267 .

ـ تكملة الصلة 227:1 — 228 .

ـ جذوة المقتبس رقم 46 .

ـ رياض النفوس 135:1، 136.

ـ شجرة النور الزكية 81:1.

ـ القراءات بإفريقية ص 284 — 294.

ـ المشتبه للذهبي 277:1.

ـ معجم المؤلفين 214:11 — 215 .

ـ معرفة القراء الكبار 283:1.

— 7 —

ابن زياد الفارسي

أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي، أبو جعفر.

مولده بالقيروان سنة 234 هـ قرأ على محمد بن عبدوس، وسمع من محمد بن يحيى بن سلام تفسير القرآن الذي ألّفه والده، فكان فيه غالياً [1]. وصحب القاضي عيسى بن مسكين وكان يكتب له السجلات والأحكام، وروى عنه أبو العرب وابن حارث الخشني وغيرهما.

قال الخشني: كان عالماً عارفاً بالوثائق فقيهاً نبيلاً. وكان مذهبه النظر في المسائل ونقدِها ولا يرَى التقليد. ويتكلّم في ذلك كلاماً حسناً. وكان بصيراً باللغة وأوضاعها بليغ القلم. وكان من ذوي الجاه والمروآت والنِّعَم. وامتُحِن آخر عمره بمغارم السلطان المحدثة على أهل الضياع في أيام عبيد الله المهدي فانكشف وأكبّ عليه الغرم وتراكمت عليه المطالب فلجأ إلى محمد بن أحمد البغدادي ليتوسل له عند عبيد الله في تخفيف ذلك عنه، فقال له البغدادي: هذا ما يفعله المهدي مع أحد، ولكن أسأله لك صلة تعينك على المغارم، فاستجاز له في ستين مثقالاً ذهباً استعان بها في دفع المغارم.

ودارت عليه دائرة على يد قاضي الشيعة إسحاق بن أبي المنهال وذلك أنه كتب في كتاب صداق شرطاً معمولاً به في القيروان وجرت به العادة من قديم من تمليك الزوجة طلاقها بيدها إن تسرّى عليها الزوج بغيرها. وقد كان بنو عبيد منعوا أهل إفريقية من كتب ذلك في عقود النكاح فلما ارتكب أبو جعفر النهي أرسل إليه القاضي إسحاق المتقدم وحبسه مدة.

وتوفّي ابن زياد سنة 318 هـ فيما روى تلميذه الخشني. وقال عياض وابن عذاري سنة 319. وهو الأصح [2] في نظرنا. ويكون ما جاء في طبقات الخشني تحريفاً من النساخ.

لــه:

1 ـ **الوثائق والشروط** [3] في عشرة أجزاء قيل: إنه أجاد فيها كل الإجادة.

2 ـ **أحكام القرآن** [4] عشرة أجزاء أيضاً.

3 ـ **مواقيت الصلاة** [5].

مصادر:

ـ الخشني 168 ـ المدارك 85/2 ـ البيان 212/1 ـ الديباج 37.

ابن زياد الفارسي
234 هـ / 48 - 849 م ـ 319 هـ / 29 - 930 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ أي شديد الإعجاب به.

2 ـ أرخ عياض وفاته بسنة 319 هـ: وأسند ذلك عن الخشني. . . وأسند عن ابن أبي دليم أنه أرخ وفاته سنة 316، بينما جاء في مطبوعة طبقات الخشني تاريخ وفاته سنة 318. وهـذا ما جعل المؤلف يرجح سنة 319.

3 ـ ذكـره الخشني وعياض وابن عذاري وابن فرحون. ونقل عن أبي العرب قوله في تقريضه: «أجاد فيها».

4 ـ ذُكِر في المصادر المذكورة أعلاه. وسقط من نص ابن عذاري.

5 ـ ذُكِر في المصادر المذكورة. ووصفه الخشني بأنه «كتاب حسن».

II ـ مصــادر:

أ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 112:5 — 114.

ب ـطبعات جديدة :

ـ البيان المغرب 204:1.

ـ الديباج المذهب 169:1 - 170.

ج ـ إضافات :

ـ تراجم المؤلفين 430:2.

ـ شجرة النور الزكية 81:1.

ـ طبقات الخشني 216، 230 - 231.

— 8 —

ابن سفيان

محمد بن سفيان الهوّاري، أبو عبد الله القيرواني، تفقّهه على أبي الحسن القابسي، وقرأ على كردم بن عبد الله وبرع في الحديث والقراءات [1]. ثم رحل إلى مصر فأخذ عن المقرىء الكبير أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون، وذلك قبل سنة 280 هـ. قال أبو عمرو الداني: «وسمع معنا على الشيوخ. وكان ذا فهم وحفظ وعفاف» ولمّا رجع انتصب للتدريس بالقيروان فأخذ عنه خلق لا يُحْصَون من الإفريقيين والأندلسيين كأحمد بن عمّار المهدوي وغيره.

وكان أبو الحسن القابسي يحبّه ويقول «من أراد أن ينظر إلى زهرة من زهرات الدّنيا فلينظر إلى أبي عبد الله بن سفيان».

وخرج لأداء فريضة الحج سنة 413 هـ فحج وأقام بمكة مدة. ثم قصد المدينة فمرض وتوفّي بها أول[2] ليلة من صفر سنة 415[3] ودفن بالبقيع.

وبعد وفاته تصدّر تلميذُه أبو حفص عمر بن النفوسي لإقراء مصنّفات شيخه في مسجده برحبة القمح بالمهدية(*).

لــه:

1 ـ **الهادي في القراءات** [4].

(*) راجع مرويات ابن خير ص 24. وأقول: لعلّ هذه الرحبة هي الموجودة الآن بالمهدية خارج سور البلد من غربيه، وتعرف الآن برحبة النّعمة. والقمح والنّعمة بمعنى واحد. وأما المسجد فهو المعروف اليوم بسيدي مطير.

2 ـ اختلاف قرّاء الأمصار في عدد آي القرآن [5] .
3 ـ التذكرة في القراءات أيضاً [6] .
4 ـ الإرشاد في مذاهب القرّاء.
وله غير ذلك مما لم نقف على تسميته [7] .

مصـــادر :
ـ المدارك 325:2.
ـ مرويات ابن خير 24 و 38.
ـ ابن الجزري (147:2).
ـ الوافي بالوفيات (خط).
ـ الديباج 271 و 314.
ـ معالم الإيمان 196:3.
ـ شذرات الذهب 203:3.
ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ط، دمشق 1345. 65:1.
ـ بروكلمان (ملحق) 718:1.

ابن سفيان
000 - 415 هـ / 1024 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :
1 ـ ذكر عياض عن تلميذه أبي الطيب الخلدوني الفقيه: «كان شيخنا أبو عبد الله بن سفيان إماماً فاضلاً. وكان له اعتناء بعلـم الحساب والهندسة».
2 ـ في الأصل «آخر ليلة» والمثبت من المصادر. ويقارن بما في فهرست ابن خير ص 38 حيث وردت الإجازة عنه في شعبان سنة 415.
3 ـ في المعالم أنه توفي سنة 408.
4 ـ تراجـع طرق روايته وأسانيد العلماء عند ابن خير ص 24 — 25. وابن الجزري (النشر 65:1) ومنه نسخة خطية في مكتبة الفاتح باسطنبول رقم 61. وذكرها بروكلمان

ملحق 718:1 نقلاً عن المستشرق بريتزل: مجلة إسلاميكا 21:6.

5 ـ ذكره ابن خير وأسند روايته له.

6 ـ الكتاب الثالث والرابع لم نقف عليهما في مصادر المؤلف ولا المصادر القديمة المعتمدة ولم نرهما إلا عند الشيخ مخلوف في شجرة النور الزكية.

7 ـ وقفنا له على كتاب في الردّ على أبي الحسن الأنطاكي المقرىء في إنكاره المدَّ لِوَرْش. قال ابن الباذش في الإقناع في القراءات السبع 475:1 وكذلك أبو عبدالله بن سفيان وضع كتاباً على الأنطاكي خاصة، إلاّ أنـه تعدّى فيه الردّ عليه إلى التحامل والجفاء».

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 263:7.

ـ الوافي بالوفيات 114:3.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ الديباج 235:2، 304 (ترجمتان).

ـ معالم الإيمان 156:3 — 157.

ج ـ إضافات:

ـ الأعلام 6 :146.

ـ بروكلمان ملحق 718:1.

ـ تراجم المؤلفين 43:3، 44.

ـ شجرة النور الزكية 105:1 — 106.

ـ كشف الظنون ص 1027.

ـ معرفة القراء الكبار 380:1 — 381.

ـ هدية العارفين 63:2.

— 9 —

ابن عمّار المهدوي

أحمد بن عمار بن أبي العباس أحمد التميمي المهدوي، أبو العباس [1] سمّاه ياقوت أحمد بن محمد بن عمّار بن مهدي بن إبراهيم المهدوي «وهو وَهْم» وكأنه اشتبه عليه باسم جدّه للأم كما سيأتي.

ولد بالمهدية وقرأ على محمد بن سفيان المقرىء وعليه اعتمادُه وعلى جدّه لأمه مهدي بن إبراهيم المهدوي، وأبي الحسن القابسي. ورحل إلى المشرق وحج ولقّن العلم. ولا سيّما روايات القراءة عن أساتذتها. ثم رجع إلى بلده ودرس بها. وشاع صيته في الآفاق. وكان مقدّماً في التفسير، والقراءات والعربية، مشهوراً باللّغة والأدب. وأخذ عنه غيرُ واحد من قرّاء المغرب والأندلس. وانتقل في حدود سنة 430 هـ (أو نحوها) إلى الأندلس، وتقلّب في أرجائها، واستقر آخراً عند الأمير العالم الجليل أبي الجيش مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية. وقدّم إليه بعضَ تآليفه. وهنالك كانت وفاته في منتصف القرن الخامس (بعد 440 هـ).

لــه:

1 ـ **التفصيل، الجامع لعلوم التنزيل** ويعرف أيضاً بتفسير المهدوي، وهو تفسير كبير في عدّة أسفار، يشرح فيه معاني الآيات أوّلاً ثم يذكر القراءات ثم الإعراب وخَتَمه بقواعد عمومية في القراءات[2]، يعتمده المفسرون منه نسخة بالقرويين وبمكتبة باريس وفي غيرهما[3].

2 ـ **التحصيل، لفوائد التفصيل** وهو مختصر الكتاب المتقدم، في جزئين ألّفه باسم الأمير أبي الجيش مجاهد العامري كما يستفاد من مقدمته [4] منه [5] نسخة بالاسكوريال تاريخها 553 هـ. ومنه بدار الكتب المصرية عـدّة نسخ وبالقرويين وفي برلين.

3 ـ **الهداية إلى مذهب القرّاء السبعة** [6] في القراءات. وهو من أهمّ تصانيفه وربما اشتهر به أكثر من بقية تآليفه (النشر لابن الجزري 69:1).

4 ـ **الكفاية في شرح مقاري الهداية** [7] هو شرح لما تقدم، في مكتبة كوبرلّي باسطنبول.

5 ـ **التيسير** في القراءات، وذكر الجعبري أن له تيسيرين كبيراً وصغيراً [8]. ولا أدري إن كانا موجودين.

6 ـ **ري العاطش** [9] في القراءات أيضاً.

7 ـ **البيان عن النطق بحروف المعجم**، وهو جزء مختصر، موجود بمكتبة كمبريـدج [10] وله أبيات نظم فيها الظاءات الواردة في القرآن، نقلها [11] الضبي وياقوت [12].

مصادر:

ـ بغية الملتمس ص 152.
ـ الصلة 89:1.
ـ مرويات ابن خير ص 31، 44.
ـ معجم الأدباء 105:2.
ـ ابن الجزري 92:1.
ـ طبقات المفسرين ص 5.
ـ بغية الوعاة 152.
ـ بروكلمان، ملحق 730:1.

ابن عمّار المهدوي

000 - 440 هـ / 1048 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ كنّاه ياقوت «أبو القاسم».

2 ـ هذا كلّه كلام صاحب كشف الظنون.

3 ـ المذكور ـ في برنامج خزانة القرويين ص 26 رقم 173 عام 133 تفسير ـ جزء واحد من أوله إلى سورة هود.

وفي مكتبة باريس جزء منه تحت عدد 594. ولم يجزم واضع فهرس مكتبة باريس «البارون دو سلان» بأن هذا الجزء من التفصيل، لأن الكتاب مبتور الأول والآخر وإنما استفاد اسمه مما جاء في سفره.

وفي مكتبة فيض الله باسطنبول نسخة تحت رقم 27 أشار إليها بروكلمان ولم نتمكن من تقدير أهميتها ومحتواها.

4 ـ تنظر قصة اختصاره لهذا الكتاب في «الإنباه» للقفطي.

5 ـ بيان مخطوطاته التي وقفنا عليها وأرقامها كالآتي :

ـ فاس، خزانة القرويين رقم 42.

ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 89 ق ـ النصف الأخير.

ـ تافيلالت (المغرب)، الزاوية الحمزية رقم 199 جزء أول.

ـ دمشق، المكتبة الظاهرية رقم 504 و 505.

ـ القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 77 تفسير/ جزء أخير، رقم 78 تفسير (مجلدان)، رقم 79 تفسير/ج 1، رقم 325 تفسير/ جزء أخير.

ـ مدريد، الاسكوريال رقم 1272، جزء منه.

ـ لينينغراد، مكتبة معهد الاستشراق رقم 169 — C 2045 .

ـ بغداد، الكاظمية خزانة الصدر.

6 ـ هو من مرويات ابن خير في الفهرست، والقاضي عياض في الغنية، معتمد عند أهل هذا الفن كما جاء في النشر لابن الجزري.

7 ـ هو من مرويات ابن خير ـ ولعلّ صواب لفظة «مقاري» «معاني»، والموجود في مكتبة كوبرلي شرْح آخر على الهداية ينظر التعليق (12) أسفله.

8 ـ كذا ذكره صاحب كشف الظنون ص 520. وبرجوعنا إلى كنز المعاني في شرح حرز الأماني للشاطبي نجد مؤلفه إبراهيم بن عمر الجعبري يترجم في آخر كتابه لأيمة فنّ القراءات ويذكر منهم «أبا العباس أحمد بن عمّار المهدوي من المهدية مصنف التفسير الكبير والصغير» ومن هنا نتوقع الخطأ الذي وقع فيه مؤلف كشف الظنون الذي يبدو أنه قرأ نسخة صُحِّفَت فيها لفظة التفسير بالتيسير وذلك محتمل.

9 ـ كذا ذكره في كشف الظنون ص 940، والبغدادي في الهديّة في ترجمته. وسمّاه في الذيل (640:1) والهديّة (474:2) «ري العاطش وأنس الواحش» ونسبه لمنصور بن سليم الإسكندراني المتوفّى سنة 673 هـ.

(10) ـ مكتبة جامعة كمبريدج رقم 28 ق (الورقات 23 — 27).

(11) ـ هذه الأبيات في جذوة المقتبس ص 107 وعنه نقلها ياقوت والضبيّ. وهي موجودة في الخزانة العامة بالرباط رقم 235/5.

12 ـ مما وقفنا عليه من مؤلفاته وفات المؤلف الإشارة إليه:ـ

8 ـ **الموضح في تعليل وجوه القراءات** ـ وهو شرح مختصر على كتاب الهداية في القراءات السبع المتقدم في التعليق رقم 3 أعلاه. ذكره القفطي في الإنباه ونوّه به ويسميه «تعليل وجوه القراءات».

مخطوطاته:

الرباط، الخزانة العامة رقم 139 ق.

استانبول، مكتبة كوبرلّي رقم 20.

9 ـ بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات دبلن، مكتبة جستربيتي رقم 3653 (ضمن مجموع الورقات 119 — 122).

10 ـ هجاء مصاحف الأمصار القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 640 قراءات. ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم 98 قراءات. المدينة المنوّرة، مكتبة عارف حكمت. وعن هذه النسخة نشرها محي الدين عبد الرحمان رمضان في مجلة معهد المخطوطات مجلّد 19 (من ص 53 إلى ص 141).

II ـ مصـادر :

أ ـ طبعات جديدة :

ـ الصلة (ط العطار) 88:1 .

ـ طبقات المفسرين للسيوطي (ط القاهرة) ص 6 .

ـ معجم الأدباء (ط الرفاعي) 39:5 — 41 .

ب ـ إضافات :

ـ **الأعلام** 1 :184 - 185 .

ـ اقتباس الأنوار للرشاطي ورقة 90 و ـ ظ .

ـ انباه الرواة 91:1 — 92 .

ـ برنامج الكتب العربية بخزانة جامع القرويين ص 26.

ـ بروكلمان 411:1 .

ـ البلغة في ذكر أئمة اللغة ص 27.

ـ تراجم المؤلفين 397:4 — 401 .

ـ جذوة المقتبس ص 106 — 107 .

ـ شجرة النور الزكية 108:1 .

ـ طبقات المفسرين للداودي 56:1.

ـ الغنية ص 61 .

ـ فهرس ابن خير ص 43.

ـ فهرس الكتبخانة الخديوية 136:1 — 137 .

ـ فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 36:1.

ـ فهرس مخطوطات الأسكوريال 6:3 .

ـ فهرس مخطوطات خزانة القرويين 85:1 — 86 .

ـ فهرس المخطوطات العربية المصورة (القاهرة) 96:1.

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن) ص 169 — 170 .

ـ فهرس مخطوطات مكتبة كوبرلي 20:1 — 21 .

ـ فهرس المكتبة الوطنية بباريس (دوسلان) ص 138 .

ـ قائمة لنوادر المخطوطات المعروضة بمكتبة جامع القرويين ص 7 .

ـ كشف الظنون 459، 462، 520، 940، 2040.

ـ **مجلّة** م. م. ع. 240:4، 53:19 - 141، 183:22، 207.

- معجم المؤلفين 2:27.
- معرفة القرّاء الكبار 1:399.
- مفتاح السعادة 2:84 — 85.
- المكتبة الحمزية، مجلة تطوان [1963] ص 113.
- المورد م 2 عدد 2:198، م 5 عدد 2:226.
- نماذج من الكتاب المغربي المخطوط ص 8.
- هدية العارفين 1:75.
- الوافي بالوفيات 7:257.

— 10 —

مكي بن أبي طالب

مكّي بن أبي طالب حمّوش ـ رطانة في اسم محمـد[1] ـ بن محمد بن مختار القيسي أبو محمد، عالم من أهل التبحّر في علوم القرآن والعربية.

مولده بالقيروان عند طلوع الشمس من يوم 23 شعبان سنة 355، وقيل سنة 354. وحفظ القرآن ببلده. ثم سافر مع والده إلى مصر، وعمره 13 عاماً، وقرأ على مؤدبيها حتى أحسن فنّ القراءة وعلم الحساب. ثم رجع إلى القيروان سنة 374 هـ وأخذ علوم الدين عن أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وغيرهما. ثم نهض إلى مصر ثانية بعد أن أكمل القراءات بالقيروان فحج في تلك السنة 377 هـ حجة الفريضة. ورجع إلى مصر. وابتدأ تناول القراءة بمختلف الروايات على شيخ المقرئين أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبي. وحصل ما لم يحصل عليه غيره. ثم عاد إلى القيروان سنة 379، وأقام بها مدة يزاول الفقه والعربية. ثم رجع إلى مصر للمرة الثالثـة (382)، واستكمل ما بقي عليه من القراءات. وعاد إلى القيروان سنة 383، وأقام يقرىء الناس بها إلى سنة 387 هـ. ثم خرج إلى الحجاز وحج أربع حجج متوالية نوافل ومنها رجع إلى القيروان سنة 391. وبعد أن استراح بها مدة قصد الأندلس في رجب 393 ونزل أول قدومه قرطبة في مسجد النخيلة في الزقاقين عند باب العطارين. ثم جلس للإقراء بمسجد قرطبة الجامع فانتفع به خلق، وتخرّج على يديه جماعات، ورحل الناس إليه من كل صقع من أصقاع الأندلس، وقد عظم اسمه وظهر علمه في البلاد وجلّ فيها قدره، فنقله الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر إلى جامع المدينة «الزاهرة»

التي أحدثها حذو قرطبة فأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر، فنقله حينئذ الأمير محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الجامع بقرطبة فاستأنف فيه دروسه مدة الفتنة كلّها إلى أن قلّده أبو الحزم بن جهور الصلاة والخطبة. وبقي إماماً وخطيباً به إلى أن أدركته الوفاة. وممن أخذ عنه أبو عبد الله بن عتّاب، وأبو الوليد الباجي وغيرهما.

عرفه صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي مقرىء الأندلس بقوله «كان ـ رحمه الله ـ حسن الفهم والخلق، جيّد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً لذلك مجوّداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها.

وقال ابن بشكوال: «كان خيّراً فاضلاً متواضعاً متديناً مشهوراً بالصلاح» وتوفي بقرطبة يوم السبت ودفن بمقبرة الربض ضحى يوم الأحد الثاني من المحرم سنة 437 وصلّى عليه ابنه أبو طالب محمد.

وحصل لأبنائه من بعده في الأندلس حظوة وجاه، منهم حفيده الوزير الأديب أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي، المتوفى بقرطبة سنة 535 هـ وكان يروي عن طريق أبيه محمد جميع مصنّفات جده. وكانت عنده بخطه.

مصادر:

- بغية الملتمس ص 455.
- الصلة 532:2.
- ابن خلّكان 12:2.
- فهرس ابن خير ص 28 و40 و41 و43 و51 و67 و76 و429 و444.
- معجم الأدباء 173:7.
- الديباج ص 346.
- نزهة الألباء لابن الأنباري ص 421.
- معالم الإيمان 213:3.
- ابن الجزري 309:2.
- بغية الوعاة ص 396.
- شذرات الذهب 260:3.

ـ نفح الطيب 135:2.
ـ عقود الجوهر ص 297.
ـ بروكلمان 406:1.

لـه:

ولمكي تآليف عديدة نورد منها ـ فيما يلي ـ أسماء ما بلغنا منها [2].

1 ـ **الهداية إلى بلوغ النّهاية** [3] في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه. وهو من أشهر مصنّفاته، في أجزاء متعددة[4] موجود البعض منه في المكتبة البدليانية[5].

2 ـ **منتخب الحجة لأبي علي الفارسي** [6] 30 جزءاً.

3 ـ **التبصرة في القراءات السبع** [7]. وهو من أجود مصنّفاته. ألّفه بالقيروان سنة 392 هـ. منه نسخة في مكتبة سليم آغا باسطنبول وفي مكتبة برلين وغيرهما[8].

4 ـ **الموجز في القراءات**. ألّفه في قرطبة سنة 394 [9] 2 أجزاء.

5 ـ **المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره** [10].

6 ـ **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة** [11]، موجود في مكتبة خالص أفندي، ومكتبة عاطف أفندي باسطنبول وبمكتبة الأزهر بمصر وغيرها.

7 ـ **اختصار أحكام القرآن** [12] 4 أجزاء.

8 ـ **الكشف** [13] ـ وقيل: **البيان ـ عن وجوه القراءات السبع وعللها** وحججها ومقاييس النحو فيها.

ألّفه سنة 424 هـ في الأندلس، موجود بالأسكوريال وبرلين [14].

9 ـ **الإيضاح لناسخ القرآن** [15] **ومنسوخه** [16] 3 أجزاء.

10 ـ الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه، جزء.

منه نسخة بمكتبتي الخصوصية[17] تاريخ نسخها 997 هـ وهو في غاية الإفادة في فنّه على صغر حجمه. قال في آخره: وهذه الجملة كافية.

11 ـ **الزاهي في اللّمع الدالة على أصول مستعملات** [18] **الإعراب**، 4 أجزاء.

12 ـ **التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه** [19].

13 ـ **الانتصاف** [20] **في الرد على أبي بكر الأدفوي** [21] **فيما زعم من تغليطه** في كتاب «الإمالة» [22]، 3 أجزاء.

14 ـ **الرسالة** [23] إلى أصحاب الأنطاكي [24] **في تصحيح المدّ لورش**، 2 أجزاء.

15 ـ **الإبـانة في معـاني القراءات** [25]. مـوجودد بـالمكتبة الحميـدية باسطنبول، جزء.

16 ـ **انتخاب** [26] **كتاب الجرجاني في نظم القرآن** [27] وإصلاح غلطه، 4 أجزاء.

17 ـ **شرح «كلا» و«بلى» و«نعم»** [28] والوقف على كل واحدة منهن [29] وذكر معانيها وعللها. موجود في مكتبة غوطا [30].

18 ـ **الاختلاف في عدد الأعشـار**[31]، جزء.

19 ـ **الاختلاف بين قالون وأبي عمرو** [32]، جزء.

20 ـ **الاختلاف بين قالون وابن كثير**، جزء.

21 ـ **الاختلاف بين قالون وابن عامر**، جزء.

22 ـ **الاختلاف بين قالون وعاصم**، جزء.

23 ـ **الاختلاف بين قالون وحمزة** [33]، جزء.

24 ـ **الاختلاف بين قالون والكسائي**، جزء.

25 ـ **التبيان في اختلاف قالون وورش** [34]، جزء.

26 ـ **شرح رواية الأعشى عن أبي بكـر**[35] **عن عاصم**، جزء.

27 ـ **شرح الإدغام الكبير في المخـارج**[36]، جزء.

28 ـ **اختصار الألفات**[37]، جزء.

29 ـ شرح الفرق لحمزة وهشام، جزء.

30 ـ بيان الصغائر والكبائر [38]، جزءان.

31 ـ شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: ﴿ وما يعلم تأويله إلاّ الله ﴾ (آل عمران: 7)، جزء.

32 ـ الاستيفاء في قوله عز وجل: ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ (هود: 107) جزء.

33 ـ الاختلاف في الذبيح من هو [39]، جزء.

34 ـ الاختلاف في الرسم من «هؤلاء» والحجة لكل فريق، جزء.

35 ـ دخول حروف الجر بعضها مكان بعض، جزء.

36 ـ تنزيه الملائكة من[40] الذنوب وفضلهم على بني آدم، جزء.

37 ـ الياءات المشددة في القرآن والكلام[41]، جزء.

38 ـ بيان إعجاز القرآن[42]، جزء.

39 ـ بيان اختلاف العلماء في النفس والروح[43]، جزء.

40 ـ شرح إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب مالك والحجة في ذلك[44]، جزء.

41 ـ شرح اختلاف العلماء في الوقف على قوله تعالى: ﴿ ويدعو لمن ضره أقرب من نفعه لكم ﴾ (الحج 23)، جزء [45].

42 ـ شرح قوله تعالى: ﴿ وما خلقت الإنس والجنّ إلاّ ليعبدوني ﴾ (الذاريات: 65)، جزء.

43 ـ شرح قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنّم﴾ (الأعراف: 179)، 2 أجزاء.

44 ـ مسائل الإخبار بالذي وبالألف واللام.

45 ـ أصول الظاء في القرآن والكلام وذكر مواضعها في القرآن، جزء.

46 ـ الوصول إلى تذكرة كتاب «الأصول لابن السرّاج» في النحو، جزء.

47 ـ التذكرة لأصول العربية ومعرفة العوامل، جزء.

48 ـ الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة، جزء.

49 ـ اختصار الإدغام الكبير على: ألف با، تا، ثا، جزء.

50 ـ شرح مشكل غريب القرآن[46]، 3 أجزاء. وهو غير مشكل إعراب القرآن الآتي، ألّفه بمكة سنة 389 هـ.

51 ـ شرح الرّاءات على قراءة ورش وغيره، جزء[47].

52 ـ اتفاق القراء.

53 ـ المدخل إلى علم الفرائض، جزء.

54 ـ اختلاف القرّاء في ياءات الإضافة وفي الزوائد، جزء.

55 ـ اختصار الوقف على «كلا» و «بلى» و «نعم»[48]، جزء.

56 ـ منع الوقف على قوله تعالى: ﴿ وإن أردنا إلا الحسنى ﴾ (التوبة: 107)، جزء.

57 ـ شرح الاختلاف في قوله تعالى: ﴿ وما جعل الله من بحيرة ﴾ (المائدة: 103)، جزء.

58 ـ شرح معنى الوقف على: ﴿ لا يحزنك قولهم ﴾ (يونس: 65).

59 ـ الرد على الأئمة فيما يقع في الصلاة من الخطأ واللحن في شهر رمضان وغيره، جزء.

60 ـ بيان العمل في الحج من أول الإحرام إلى زيارة قبر النبي ﷺ[49].

61 ـ فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً[50].

62 ـ التذكرة لاختلاف القراء السبعة[51].

63 ـ قسمة الأحزاب[52].

64 ـ منتخب «كتاب الأخوان لابن وكيع»[53].

65 ـ التهجد في القرآن[54].

66 ـ [. . . . . .][55] قوله تعالى: ﴿من نسائكم اللاّتي﴾ النساء: 23)، جزء.

67 ـ دعاء ختم القرآن [56].

68 ـ شرح حاجة وحوائج وأصلها.

69 ـ إصلاح ما أغفله ابن مسرّة[57] في قراءات شاذة.
70 ـ شرح العارية والعرية.
71 ـ الاختلاف في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ (فاطر: 32).
72 ـ شرح قوله تعالى: ﴿شهادة بينكم﴾ الآيات الثلاثة (المائدة: 106).
73 ـ وجوه كشف اللبس التي لبّس بها أصحاب الأنطاكي في (إنكار) المدّ لورش.
74 ـ شرح قوله تعالى: ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ (الشعراء: 61).
75 ـ فرش الحروف المدغمة[58].
76 ـ شرح التمام والوقف[59].
77 ـ تفسير مشكل المعاني والتفسير[60].
78 ـ علل هجاء المصاحف[61]، 2 أجزاء.
79 ـ ما أغفله القاضي منذر ووهم فيه[62] في «كتاب الأحكام»[63]، 2 أجزاء.
80 ـ الرياض، مجموع[64]، 5 أجزاء.
81 ـ المنتقى في الأخبار، 4 أجزاء.
82 ـ الترغيب في النوافل[65]، جزء.
83 ـ الترغيب في الصيام.
84 ـ منتقى الجوهر في الدعاء.
84 ـ الموعظة المنبهة.
86 ـ معاني السنين القحطية والأيام، جزء.
87 ـ إسلام الصحابة، مختصر.
88 ـ المبالغة في الذكر.
89 ـ تحميد القرآن وتهليله وتسبيحه.
90 ـ الهداية في الفقه[66].
91 ـ الإمالة[67]، 3 أجزاء.

92 ـ الهداية في الوقف على كلًّا وبلى ونعم[68].

93 ـ **برناحج شيوخه ومروياته. ويسمى أيضاً: فهرسة شيوخه**[69].

94 ـ **شرح قوله تعالى: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾** [70] (القمر: 49).

95 ـ **شرح قوله تعالى: ﴿ يرونهم مثليهم ﴾**[71] (آل عمران: 13).

96 ـ **شرح قوله تعالى: ﴿ أن يأتوا ﴾**[72] (المائدة: 108).

97 ـ **شرح قوله تعالى: ﴿ أو أن نعمل في أموالنا ما نشاء ﴾** [73] (هود: 87).

98 ـ **المسترضى، في قوله تعالى: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾** [74] (الضحى: 5).

99 ـ **العمدة في غريب القرآن**[75].

100 ـ مشكل إعراب القرآن. ويسمى أيضاً «تفسير مشكلات القرآن»[76] ألّفه في بيت المقدس سنة 391 هـ[77] ـ موجود في القرويين. وفي دار الكتب المصرية وبمكتبة شيخ الإسلام عارف بالمدينة، وببرلين، وفي مكتبتي الخصوصية نسخة ترجع إلى القرن الثامن تخرج في نحو 225 صحيفة. وهو من تآليفه المشهورة[78].

101 ـ **تمكين المدّ في آمن، وآتى، وآدم، وأُوتي**. وشبهه. لا يعرف مدى علاقة هذه الرسالة بالكتاب رقم 14 المتقدم الذكر. ومنه المخطوطات التالية:

ـ القاهرة، الخزانة التيمورية رقم 207/3 تفسير.

ـ استانبول، مكتبة مدينة رقم 116 (23)، منه فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقمه 36 قراءات.

102 ـ **الوافي**[79] **في الفرائض**[80].

مكي بن أبي طالب

355 هـ / 966 م ـ 437 هـ / 5 - 1056 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ كان رأي المؤلف ـ رحمه الله ـ أن «حمّوش» تصغير «محمد». وهو الذي نقله عنه الزركلي في الأعلام. ويبدو أن المؤلف تراجع عن هذا الرأي إلى ما هو مثبت هنا حيث شطب عبارة «تصغير محمد» وكتب فوقها بخطه باللّون الأحمر العبارة التي أثبتناها في النص.

2 ـ لم يذكر المؤلف من مصنّفات بن أبي طالب إلا أربعة وأربعين عنواناً جامعاً ومنسقاً بين روايات وفيات الأعيان ومعجم الأدباء، مضيفاً إليها ما جاء في فهرست ابن خير، مرتّباً لها على العناوين الآتية: التفسير، القراءات، الفقه، النحو واللغة، علوم مختلفة.

وبعد ظهور كتاب «إنباه الرواة»، للقفطي وإيراده ثبتَ مصنّفات مكي بن طالب ـ وهو أوفى ما بلغنا من أسماء مصنفاته ـ حوّرنا قائمة المؤلف بزيادة ما جاء في ثبت القفطي متخذين منه أصلاً مع إضافة ما ألحقه المؤلف ببعض العناوين من بيانات وتوضيحات. ثم تولّينا التعليق عليها مما هو محرر في الحواشي أسفله.

3 ـ ورد اسمه في عيون التواريخ: البداية إلى بلوغ النهاية. نوّه به ابن سعيد في تكملته لرسالة ابن حزم في فضل الأندلس (نفح الطيب 179:3). أما السكوني فقد حذّر مما في بعض آرائه من التشبيه (لحن العوام ص 111 / حوليات الجامعة التونسية [1975] عدد 12).

4 ـ في المصادر: أنه في سبعين جزءاً. وذكر ابن سعيد أنه في عشرة أسفار.

5 ـ ما أشار المؤلف إلى وجوده في المكتبة البدليانية (أي مكتبة بدليانا بأسكفورد) الظاهر أنه اعتمد فيه ما ذكره بروكلمان 406:1 رقم 1 إلاّ أن إشارته تنطبق على كتاب «الرعاية» ينظر رقم 6.

مخطوطاته

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 10439 (496 أحمدية) الجزء الأول.

ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 217 ق الجزء الأول. ورقم 18 ق الجزء الأخير

(م. م. م. ع) 210:22، ورقم 337 الجزء الثالث. مكتوب على الرق تاريخ نسخه 485 هـ. (المنوني: المخطوطات التونسية بالمغرب ص 8).

وفي مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة 182:5، أن الجزء الأول والثاني من هذه النسخة يوجدان بالخزانة العامة بالرباط ضمن المجموعة الكتانية.

ـ مدريد، المكتبة الوطنية رقم 4945، الجزء الأول (أخبار التراث العربي عدد 26 (1392/7/7 هـ / 1972/8/15).

اختصره عبد العزيز بن أحمد الدميري المعروف بالديريني المتوفّى سنة 694 ـ وسمّاه «الكفاية من كتاب الهداية». منه نسخة مخطوطة في خزانة جامع القرويين رقم 934.

6 ـ مذكور عند أغلب مترجميه. و«الحجة في تعليل القراءات السبع» لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (288 هـ ـ 377 هـ) ينظر عنه وعن مخطوطاته: بروكلمان (الترجمة العربية) 192:2 — 193.

7 ـ هو من أهم مصادر ابن الجزري في كتابه «النشر في القراءات العشر». ينظر مثلاً 70:1 — 71.

8 ـ مخطوطاته:

ـ استانبول، سليم آغة رقم 21558 (عن بروكلمان).

ـ الرياض، مكتبة جامعة الملك سعود رقم 2898، كتبت سنة 500 هـ.

ـ الرياض، مكتبة خير الدين الزركلي (الأعلام ط 2) 286:10.

ـ بغداد، مكتبة الأوقاف العامة رقم 2420.

ـ صنعاء، مكتبة الجامع الكبير رقم 59 تجويد. ومنها فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة (م. م. م. ع) 8:22.

ـ برلين، مكتبة الدولة رقم 577. ونشره معهد المخطوطات العربية بالكويت بتحقيق محي الدين رمضان.

9 ـ كذا قال المؤلف. والصواب سنة 385 هـ كما جاء في مقدمة التبصرة. ينظر: الورد: فهرست مخطوطات الدولة ببرلين 219:1 — 220.

10 ـ ورد ذكره أيضاً عند ياقوت وابن خلكان وعياض.

11 ـ هو من أشهر مصنّفاته. ومخطوطاته كثيرة منها:

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 3560، 3647، 14.399 (627 أحمدية)، 20315 (62 النورية).

ـ القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 94 طلعت، قراءات.
ـ دمشق، المكتبة الظاهرية رقم 5731.
ـ تعز، مكتبة مشرف بن عبد الكريم الخاصة، ومنها فلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (م. م. م. ع. 70:22).
ـ تريم، مكتبة الأحقاف (اليمن الجنوبي). ومنها فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة (قائمة مرقونة ص 20 رقم 139).
ـ حيدر آباد، مكتبة رضا امباور رقم M. 8123.

وأشار بروكلمان إلى وجود نسخ منه في المكتبات التالية:

ـ استانبول، عمومية رقم 165/6، خالص أفندي رقم 1، عاطف افندي رقم 23.
ـ القاهرة، المكتبة الأزهرية رقم 7، 77، مكتبة قولة: 10.
ـ دبلن، مكتبة جستربيتي رقم 3453/2، 3653/12.
ـ المدينة المنورة، المكتبة العامة رقم 89/4.
ـ مكة المكرمة، مكتبة الحرم المكي رقم 2 القدسي، قراءات.
ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 956 ق. وعن هذه النسخ الثلاثة الأخيرة نشره أحمد حسن فرحات، دمشق 1393 هـ / 1973.

12 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان إلا أنهم لم يذكروا الأصل الذي اختصره مكي. والمشهور عند المالكية خاصة هو «أحكام القرآن» لإسماعيل ابن إسحاق القاضي. ينظر عنه فهرست ابن خير ص 51 - 52.

13 ـ في مطبوعة الإنباه: الكشوف.

14 ـ هذه رواية ياقوت وابن الأنباري. وعند هذا الأخير حصل تشويش أو نقص في تسميته.
ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 19037 (36 النورية).
ـ برلين، مكتبة الدولة رقم 578/1، وعنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 19982 ب.
ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 2689 ك، النصف الثاني مكتوب على الرق (م. م. م. ع 176:5)، رقم 268.
ـ مدريد، مكتبة الأسكوريال رقم 1325. وعنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 19671 ب وأخرى بمعهد المخطوطات رقم 66 قراءات. ونشره محي الدين رمضان عن مخطوطات برلين ومدريد والرباط. وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1394 هـ / 1974 م في مجلدين.

15 ـ وصفه عياض بأنه «كتاب حسن» ولم يوضح ابن خير أيهما روى من كتابي مكي في الناسخ والمنسوخ؟.

16 ـ مخطوطاته:

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 10195 (561 أحمدية).

ـ فاس، خزانة جامع القرويين رقم 939 (كتبت سنة 510هـ).

ـ القاهرة، مكتبة الأزهر رقم 362. ومنه فلم بمكتبة مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى رقم 45 تفسير. نشر بتحقيق أحمد حسن فرحات، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1396 هـ / ، 1976 م.

17 ـ لم نعثر عليه في مخلفاته، ولا ذكر له في فهارس مكتبته. والكتاب مذكور عند بقية مترجميه: ياقوت، ابن خلكان، عياض.

18 ـ عند ياقوت: على مشتملات الإعراب. وعند ابن خلكان: على مستعملات الإعراب. واكتفى عياض بتسميته: اللمع في الإعراب. بينما خلط ابن شاكر في عيون التواريخ بينه وبين اسم الكتاب الذي يليه، فأصبح اسم الكتاب «الزاهي في اللمع الدال على قراءة نافع».

19 ـ ذكره ياقوت، وابن خلّكان، وابن خير. وأشار إليه مكي في كتابه الرعاية ص 165.

20 ـ ذكره ياقوت، وابن خلّكان، وابن شاكر. وقد أخذنا برواية ياقوت. أما القفطي وابن خلكان فقد سمياه «الانتصاف فيما رده على أبي بكر الأدفوي» وزعم أنه غلط فيه في كتاب «الإمالة» (في مطبوعة الإنباه: «الإبانة») وكعادته حاول ابن شاكر المزج بين أجزاء من اسم هذا الكتاب وأجزاء من اسم الكتاب الذي يليه فأصبح «الانتصاف من الأنطاكي فيما رده على أبي بكر الأدفوي».

21 ـ أبو بكر بن محمد الأدفوي من شيوخ مكي ومن جلّة علماء القراءات والتفسير. توفي سنة 388 هـ. ينظر عنه: معرفة القراء الكبار 353:1 — 354.

22 ـ كتاب الإمالة لمكي ينظر تحت رقم 91.

23 ـ ذكر هذه الرسالة ياقوت وابن خلّكان. وأشار إليها ابن الباذش (الإقناع في القراءات السبع 475:1) أما ابن الجزري فقد وقف على الرسالة نفسها. وعبارته ـ كما في النشر (339:1) ـ «وقفت له ـ أي مكي ـ على مؤلف انتصر فيه للمدّ في ذلك، وردّ على من ردّه. أحسن في ذلك وبالغ». وللمؤلف كتاب في نفس الموضوع. ينظر رقم 73.

24 ـ أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي، مقرىء شامي انتقل إلى الأندلس وأقام بها إلى أن توفي سنة 377 هـ. معْرفة القراء الكبار 342:1 — 344.

25 ـ منه مخطوطات في المكتبات التالية:

ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 2689.

ـ برلين، مكتبة الدولة رقم 578/2 ملحقة بكتاب «الكشف على وجوه القراءات» ومنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 19664 ب، وفلم بمعهد المخطوطاتّ بالقاهرة رقم 1 قراءات، وآخر بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم 1 قراءات.

ـ استانبول، الحميدية 2، 18 عن (بوكلمان).

وعن مصوّرة دار الكتب المصرية نشره عبد الفتاح إسماعيل شلبي في القاهرة، دار النهضة مصر، ط أولى سنة 1964 م وط ثانية سنة 1978 م.

ونشره ثانية في دمشق محي الدين رمضان عن مخطوطتي الرباط وبرلين، دار المأمون للتراث سنة 1399 هـ / 1979 م.

26 ـ لم يرد ذكره عند ياقوت وابن خلّكان. وجاء في فهرست ابن خير والمدارك «انتخاب نظم القرآن للجرجاني».

27 ـ لعلّ المراد بهذا الكتاب «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني. وهو مشهور.

28 ـ هكذا نقل المؤلف اسمه عن بروكلمان. وفي المصادر (القفطي، ياقوت، ابن خلكان): «الوقف على كلاّ وبَلَى».

29 ـ مخطوطاته كثيرة منها:

ـ استانبول، مكتبة مدينة رقم 116/3. ومنها فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقم 45 قراءات.

ـ القاهرة، المكتبة التيمورية رقم 207 تفسير.

ـ بغداد، مكتبة المتحف العراقي.

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 8769/6 (2011/6 عبدلية) وهي ناقصة مقدار النصف من الأول. بدايتها الحديث عن «بَلَى».

نشره أولاً حسين نصار في مجلة كلية الشريعة ببغداد عدد 3 سنة 1967 عن نسخة المتحف العراقي.

ونشره ثانية أحمد حسن فرحات عن مخطوطة التيمورية رقم 207 تفسير وعن مطبوعة نصار البغدادية، دمشق، دار المأمون للتراث 1404 هـ / 1983 م.

30 ـ ذكر بروكلمان أن رقمه في مكتبة غوطا 548.

31 ـ كذا جاء اسمه عند ياقوت وابن خلّكان. وسماه ابن شاكر «الاختلاف في أعشار القرآن».

32 ـ من رقم 19 إلى رقم 22 انفرد بذكرها القفطي.

33 ـ من رقم 23 إلى رقم 26 ورد ذكرها أيضاً عند ابن شاكر.

34 ـ منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط رقمها 283 (م. م. م. ع 190:22).

35 ـ هذا الأعشى هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة الكوفي من جلّة الطبقة الخامسة من قراء أهل الكوفة. توفي في حدود سنة 200 هـ. معرفة القراء الكبار 159:1. أما أبو بكر فهو ابن عياش بن سالم الأسدي الكوفي من أئمة الحديث والقراءات، توفي سنة 193 هـ. معرفة القراء الكبار 134:1 — 135.

36 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياوقوت. وسماه «الإدغام الكبير» وكذلك عند ابن خلّكان وأسقط لفظة «شرح» من أوله.

37 ـ العناوين المرقمة (28، 29، 31، 32، 34) انفرد القفطي بذكرها إلا أن رقم 29 أشار إليه مكي في «الكشف 111:1». وقد كنا ألّفنا كتاباً مفرداً في تخفيف الهمزة المتطرفة لحمزة وهشام وعلّلناه وبسطناه. . .» ورقم (31، 32) أشار إليهما مكي في «الكشف» 150:1، 814:2.

38 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان.

39 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان وابن خير. وسمّاه هذا الأخير «مسألة الذبيح».

40 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان. ورواية هذا الأخير: عن.

41 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان. ورواية الأول بحذف عبارة «والكلام».
منه نسخة في دار الكتب الوطنية رقمها 8769/3 (2011/3 عبدلية) حيث سمّي «الياءات المشددة في القرآن وكلام العرب».

42 ـ انفرد القفطي بذكره.

43 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان. ومن غير كلمة «بيان» عند الثاني.

44 ـ ذكره ـ أيضاً ـ ياقوت وابن خلّكان دون لفظة «شرح» ورواية الأول للشطر الثاني: «في مذهب مالك والحجة على ذلك».

45 ـ من رقم (41 إلى رقم 49) انفرد القفطي بذكرها إلا أن رقم 41 أشار إليه مكي في المشكل 488:2.

46 ـ ورد ذكره عند ياقوت وابن خلّكان دون لفظ «شرح» وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق مخطوط لمكي اسمه «تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار». رقمه 8993، فهل يكون هو المذكور هنا؟.

47 ـ من رقم (51 إلى رقم 59) انفرد القفطي بذكرها.

48ـ منه نسخة خطية في دار الكتب الوطنية بتونس رقمها 8769/2 (2011/2 عبدلية). ونشره أحمد حسن فرحات في مجلة عالم الكتب الصادرة في الرياض م 1 ع 2 ص 178 — 184.

49 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان. وذكره ياقوت ثانية باسم «مناسك الحج».

50 ـ ذكره ياقوت وابن خلّكان.

51 ـ ذكره ياقوت وابن خلّكان بإسقاط لفظة «السبعة».

52 ـ ذكره ياقوت وابن خلّكان باسم «تسمية الأحزاب» وذكره ابن خير وسمّاه «تعديل التجزئة بين الأئمة في شهر رمضان في قراءة القرآن».

53 ـ ورد ذكره عند ياقوت وابن خلكان. ولا ذكر لكتاب «الأخوان» في فهارس الكتب.

54 ـ من رقم (65 إلى رقم 74) انفرد القفطي بذكرها.

55 ـ لم ينتبه محقق الإنباه إلى ما يبدو في عنوان هذا الكتاب من نقص كلمة أو كلمتين نحو (شرح. . .) أو (الاختلاف في. . .) وغيرهما.

56 ـ في مطبوعة الإنباه: خاتمة.

57 ـ اشتهر بهذا اللقب عالمان أندلسيان هما محمد بن عبدالله بن مسرّة (تاريخ رواة العلم 411:2 - 412) ت 319 هـ. والثاني وهب بن مسرّة توفي سنة 346 هـ. ولم تذكر مصادرهما أنهما ألفا في القراءات. وغاية ما ذكره صاحب المدارك 164:6 - 165 عن وهب بن مسرّة: أن له كتاباً في السنّة وإثبات القدر والرؤية في القرآن.

58 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان. وأسقطا من أوله لفظة «فرش» ولذلك اعتبره حاتم الضامن كتابين حيث رسم الأول في الحاء المهملة ورسم الثاني في الفاء.

59 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان.

60 ـ ذكره ابن خلّكان باسم «مشكل المعاني والتفسير» كما ذكره ياقوت باسم «مشكل معاني القرآن». ويرى عبد الفتاح شلبي: أنه هو نفسه «مشكل إعراب القرآن». يراجع تقديمه لكتاب «الإبانة» ص 16 هامش 2.

61 ـ ورد ذكره ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلّكان. وأسقطا لفظة «علل».

62 ـ انفرد القفطي بذكره.

63 ـ كتاب «أحكام القرآن» للقاضي منذر بن سعيد البلّوطي (ت 355 هـ) ذكره مترجموه: تاريخ رواة العلم 142:2 - 143، جذوة المقتبس ص 326 وهو من مرويات ابن خير في فهرسته ص 54.

64 ـ رقم (80، 81) ورد ذكرهما ـ أيضاً ـ عند ياقوت وابن خلكان.

65 ـ من رقم (82 إلى 89) انفرد القفطي بذكرها.

66 ـ ذكره ياقوت كما ذكره ابن ناجي في معالم الإيمان.

67 ـ ذكره ياقوت فقط. وينظر رقم 13.

68 ـ ذكره ياقوت، وأشار إليه مكي في مقدمة كتابه «اختصار القول في الوقف على كلاّ وبَلَى ونعم» وفي مكتبة الدولة ببرلين نسخة منه ضمن المجموع رقم 569.

69 ـ ذكره ابن خير بالاسمين ص 363، 429.

70 ـ ذكره مكي في «مشكل إعراب القرآن».

71 ـ ذكره مكي في المشكل 150:1.

72 ـ ذكره مكي في المشكل 243:1.

73 ـ ذكره مكي في المشكل 373:1.

74 ـ منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية رقمها 539 تفسير، ومنها فلم في معهد المخطوطات بالقاهرة رقم 239 قراءات.

75 ـ منه نسخة خطية في دار الكتب بالظاهرية بدمشق رقم 6707/1. وحققه يوسف مرعشلي ونشرته مؤسسة الرسالة، بيروت ط 1(1401/1981) وط 2(1404/1984).

76 ـ تراجع مختلف تسمياته في مقدمة حاتم الضامن لتحقيقه «مشكل إعراب القرآن».

77 ـ الغريب أن تخلو قائمة القفطي منه رغم أنه ذكر فيها أسماء مؤلفات كُتِبَتْ بعده بكثير.

78 ـ مخطوطاته تزيد على العشرين اعتمد منها حاتم الضامن عشر مخطوطات في تحقيقه للكتاب. تنظر مقدمة التحقيق. وما فاته نذكره فيما يلي:

ـ تونس، مكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18266.

ـ فاس، خزانة جامع القرويين رقم 927، 929.

ـ تافيلالت، مكتبة الزاوية الحمزية رقم 432.

ـ القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 209 تفسير، 256 لغة.

ـ بغداد، مكتبة الأوقاف العامة رقم 23188/1 مجاميع.

ـ المدينة المنورة، مكتبة عارف حكمت رقم 6 تفسير (منها فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة، م. م. م. ع 237:21).

ـ الأحساء، مكتبة محمد عبد الله آل عبد القادر الخاصة بالمبرز (منها فلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، م. م. م. ع 14:23).

ـ استانبول، مكتبة مدينة رقم 193 (منها نسخة بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقم 241 تفسير).

ـ طهران، مكتبة ملك رقم 2983 (م. م. م. ع 71:6).

ـ مشهد، دار الكتب الرضوية (م. م. م. ع 288:3).

ـ برلين، مكتبة الدولة رقم 703.

ـ دبلن، جستر بيتي رقم 3560 (النصف الثاني).

ـ حيدر آباد، الخزانة الآصفية (عن تذكرة النوادر).

حققه حاتم الضامن ونشرته وزارة الإعلام العراقية. بغداد 1395 هـ / 1975 م مجلدان. وحققه أيضاً ياسين محمد الرواس ونشرته دار المأمون للتراث. دمشق في مجلدين دون تاريخ (الطبعة التي بين أيدينا رسم عليها الطبعة الثانية).

79 ـ نسبه له عياض في المدارك وابن شاكر في عيون التواريخ وسمّاه هذا الأخير: الواعي.

80 ـ نسب له صاحب إيضاح المكنون كتابين في تعبير الرؤيا: «الإشارة» و«الممتع» وتابعه على ذلك محي الدين رمضان وحاتم الضامن. والصحيح أنهما لعلي بن أبي طالب العابر القيرواني (تنظر ترجمته في هذا الكتاب).

II ـ مصادر :

أ ـ طبعات جديدة :

ـ إرشاد الأريب 167:19 — 171 .

ـ بغية الوعاة 298:2 .

ـ الديباج 343:2 — 344 .

ـ الصلة 597:2 — 599 .

ـ معالم الإيمان 171:3 — 172 .

ـ نزهة الألبّاء ص 238 — 239 .

ـ نفح الطيب 179:3 .

ب ـ إضافات :

ـ إنباه الرواة 313:3 - 319 .

ـ الأعلام 286:7 .

ـ إرشاد الأريب 248:11 .

ـ إيضاح المكنون 470:2 - 471 .

ـ بروكلمان (ملحق) 718:1 - 719 .

ـ البلغة في تاريخ أئمّة اللغة ص 263 - 264 .

ـ تذكرة النوادر من المخطوطات العربية ص 21 - 22 .

ـ تراجم المؤلفين 274:3 - 277 .

ـ ترتيب المدارك 13:8 - 14 .

ـ جذوة المقتبس ص 29 .

ـ الحياة الأدبية في إفريقية الصنهاجية (فرنسي) ص 129 - 130 .

ـ دول الإسلام 258:1 .

ـ ذخائر التراث العربي في مكتبة جستربيتي (المورد) م 1 ع 1، 169:2. م 2 ع 2: 192، 98. .

ـ سير أعلام النبلاء 591:17 - 592 .

ـ شجرة النور الزكية : 107:1 - 108 .

ـ طبقات المفسرين 331:2 — 332، 337 — 338 .

ـ العبر للذهبي 187:3 .

ـ عنوان الأريب 40:1 — 41 .

- فهرس التفسير وعلوم القرآن بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ص 45، 101، 217، 238.
- فهرس الخزانة التيمورية 138:1.
- فهرس خزانة جامع القرويين 31:3 — 34، 43 — 53.
- فهرس الكتبخانة الخديوية 211:1.
- فهرس مكتبة الدولة ببرلين 216:1، 219، 223، 278.
- فهرس مخطوطات ح. ح. عبد الوهاب ص 325 — 326.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن ص 347 — 348، 377).
- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية 5:1، 62، 123، 271 — 272.
- فهرس المخطوطات المصورة (م. م. ع) 6:1، 9 — 10، 11، 13، 45.
- فهرس مكتبة الأسكوريال 43:3
- فهرس مكتبة رضا رامباور 130:1.
- فهرس مكتبة الزاوية الحمزية (مجلة تطوان 112:8).
- القراءات بإفريقية ص 332 — 348.
- كشف الظنون: 2، 20، 33، 121، 174، 206، 210، 339، 393، 404، 459، 495، 660، 908 — 909، 938، 1387، 1388، 1432، 1448، 1470، 1491، 1695، 1851، 1899، 1920، 2024، 2041، 2048.
- مجلة معهد المخطوطات العربية 228:3، 66:5، 176، 182، 71:6، 408:19، 8:22، 70، 190، 210، 216، 237، 14:23.
- مرآة الجنان 57:3 — 58.
- معجم المخطوطات المطبوعة 143:4، 119:5.
- معجم المؤلفين 3:13.
- معرفة القراء الكبار 394:1 — 396.
- مفتاح السعادة 419:1.
- النجوم الزاهرة 41:5.
- نماذج من المخطوطات التونسية بالمغرب ص 8.
- نوادر المخطوطات المعروضة بمناسبة ألفية القرويين ص 11.
- وفيات ابن القنفذ ص 242 — 243.
- هدية العارفين 470:2 - 471.

— 11 —

ابن بَلِّيمهْ [1]

الحسن بن خلف بن عبدالله بن بلّيمهْ، أبو علي الهوّاري القيراوني. ولد سنة 427 (1035 م) وقيل التي بعدها. وعني بالقراءات فأخذ بالقيروان على أبي بكر القصري إمام جامع عقبة وغيره [2]. ثم رحل إلى المشرق فقرأ بمكة وبمصر على أحمد بن نفيس برواية ورش ـ وهي رواية أهل المغرب ـ وتصدّر للإقراء مدّة بالإسكندرية وبها كانـت وفاتُه في 13 رجب 514 (1120 م).

في بعض الكتب ورد رسم اسمه «ثليمة» وهو تحريف.

تآليفه:

1 ـ **«تلخيص العبارات بلطيف الإشارات»** [3] في القراءات السبع، **قال** الصفدي «سمعت من لفظ شيخنا أبي حيّان (محمد بن يوسف بن حيّان) كتاب «تلخيص العبارات» لابن بليمة[*].

مصادر:

ـ ابن الجزري 211:1.

ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ط دمشق 71:1.

ـ حسن المحاضرة 282.

ـ شذرات 41:4.

ـ كشف الظنون 323:1.

(*) نكت الهميان ص 281.

ابن بَلِّيمهْ

427 هـ/ 1035 م ـ 514 هـ/ 1120 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ ضبطه الصفدي في الوافي بفتح الباء الموحدة، وكسر اللاّم المشددة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ميم مفتوحة وهاء.

2 ـ ذكر ابن الجزري قائمة شيوخه، وهي طويلة. وكان من بينهم أبو علي حسن البلوي وعلي بن غالب، وهما من أيمة القراءات بإفريقية.

3 ـ ذكره ابن الجزري ضمن مصادره ومروياته في طيبة النشر 71:1. وقال في ترجمته في غاية النهاية «وذكرت الخلف بينه وبين الشاطبي في كتاب الفوائد المجمّعة».

II ـ مصـادر :

أ ـ طبعات جديدة:

- ـ حسن المحاضرة 494:1 — 495.
- ـ كشف الظنون ص 473، 479.

ب ـ إضافات:

- ـ تذكرة الحفاظ 1254:4.
- ـ تراجم المؤلفين 167:1 — 168.
- ـ العبر للذهبي 32:4.
- ـ مرآة الجنان 210:3.
- ـ معجم المؤلفين 222:3.
- ـ معرفة القرّاء الكبار 469:1 — 470.
- ـ الوافي بالوفيات 430:11.

— 12 —

ابن الحدّاد

عبد الرحمان بن إسماعيل بن أحمد ـ وقيل ابن عبد الرّحمان [1] بن إسماعيل المعروف بابن الحدّاد، أبو القاسم [2] الأزدي التونسي، مولده بعد الخمسين وخمسمائة. أخذ عن علماء بلاده. ثم رحل إلى المشرق ولقي بمكة أبا حفص الميانشي، وبمصر أبا القاسم بن فِيرُّه الشاطبي، ثم تحول إلى الأندلس وسكن إشبيلية وقتاً. وتصدّر لإقراء العربية والقراءات [3] وانتقل آخر عمره إلى مراكش. وبها كانت وفاته في سنة 625 [4] وقيل 26.

لـــه:

1 ـ **شرح على الشاطبية في القراءات**، وهو أول شروحها [5].

مصادر:

ـ التكملة 593:2.

ـ الوافي بالوفيات للصّفدي ج 16 (خط)،

- ابن الجزري 366:1.

ـ بغية الوعاة: 297.

ـ عنوان الدراية (عرضاً) ص 131.

ابن الحدّاد

ق 6 هـ/ 12 م ـ 625 هـ/ 1228 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ هذه رواية الصّفدي. وتمام اسمه ونسبه اعتمد فيه المؤلف عنوان الدراية كما جاء في

بعض أصوله الخطية (ط بونار ص 195 هـ 2) وهو مدعم برواية الوادياشي في برنامجه.

2 ـ كنيته في عنوان الدراية «أبو زيد».

3 ـ عبارة ابن الأبّار أكثر تفصيلاً ونصّها «. . . وصدر من رحلته فقصد المغرب واستقرّ بسبتة ودخل الأندلس، وتردّد في بلادها الغربية وسكن إشبيلية وقتاً. وولي قضاء شلب، من أعمالها، وأقرأ العربية، وهي كانت بضاعتَه، مع المعرفة بالقراءات».

4 ـ اختاره الصفدي وصحّحه. وفي التكملة «في نحو الأربعين وستمائة».

5 ـ نسبه له الصفدي وابن الجزري. وأضاف هذا الأخير «قلت ويحتمل أن يكون هو أول من شرحها».

II ـ مصادر:

أ ـ طبعات جديدة:

- بغية الوعاة 78:2.
- عنوان الدّراية ص 195 (عرضاً) هامش 2.

ب ـ إضافات:

- برنامج الوادياشي ص 56 (عرضاً).
- تراجم المؤلفين 117:2.
- صلة الصلة (تراجم ملحقة بالذيل والتكملة 540:8 - 541).
- الوافي بالوفيات 104:16.

— 13 —

المرجاني(*)

637 هـ/ 39، 1240 م ـ 699 هـ/ 99، 1300 م

عبد الله بن محمد المرجاني، أبو محمد. متصوّف. له معرفة بالفقه، ودراية بالتفسير على طريقة المتصوّفة. اشتهر بمواعظه مع حلو عبارته، ولطيف إشارته. قدم مصر والاسكندرية ووعظ بهما. قال عنه الذهبي ـ وهو معاصره ـ: لم يصنّف شيئاً ولا كان أحد يقدر أن يعيد ما يقوله لكثرة ما يقول على الآية. مولده سنة 637 هـ. وتوفي سنة 699 هـ.

لــه (1):

1 ـ **الفتوحات الربّانية في المواعظ المرجانية**. وهي دروس تفسير 26 سورة جمعها أحد تلاميذه ومريديه يعرف بابن السكّري (2) مما كان يلقيه في دروسه ومواعظه.

(*) لم يترجم له المؤلف واكتفى بذكره في فهرسي المؤلفين والمصنفات.

(1) نسب له صاحب هدية العارفين ـ زيادة على «الفتوحات الربّانية» ـ كتابين هما «شرح زايرجة المراكشي» و«بهجة النفوس والأسرار في هجرة النبي المختار». وسمّاه «عبدالله بن محمد بن عبد الملك بن عبدالله بن محمد البكري التونسي المرجاني» وتابعه على ذلك أصحاب الأعلام ومعجم المؤلفين. وجاء في هامش الأعلام (125:4) باحتراز: (أن في مخطوطات الرياض عن المدينة ق 29:1 أنه عبدالله بن عبد الملك القرشي البكري المرجاني، أبو محمد ووفاته سنة 751؟) ويبدو أن صاحب هدية العارفين جمع بين مترجمنا (عبدالله بن محمد، الكشف ص 1237) وبين عبدالله بن عبد الملك (الكشف ص 259، 949).

(2) هو علي بن عبد العزيز بن الرحمان يعرف بابن السكّري. كان حيّاً سنة 688 هـ كما هو مذكور بآخر نسخة كتاب «الفتوحات الربانية» فهرس الخزانة التيمورية 140:3.

منه نسخة خطيـة في مجلد بالمكتبة التيمورية رقم 261 تفسير. وأخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم 1442 (تصوّف 124).

مصادر:

- الأعلام 125:4.
- تاريخ الإسلام للذهبي (عن محقق الوافي 595:17).
- تاريخ الدولتين ص 53، 54.
- تراجم المؤلفين 300:4 — 301.
- تذكرة الحفاظ ص 1489.
- الحقيقة التاريخية للتصوّف الإسلامي 264 — 265.
- شجرة النور الزكية 193:1.
- شذرات الذهب 451:5 (حوادث 699).
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية 223:1.
- الطبقات الكبرى للشعراني 172:2.
- العبر للذهبي 408:5.
- الفارسية ص 152.
- فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الظاهرية بدمشق (تصوّف 363:2 — 364).
- فهرس المكتبة التيمورية 48:1، 276:3.
- كشف الظنون ص 1237.
- مرآة الجنان 232:4 — 234.
- معالم الوحيد ص 291.
- معجم المؤلفين 130:6.
- هدية العارفين 463:1.
- الوافي بالوفيات 595:17.

— 14 —

البطرني (*)

حوالي 637 هـ/ 1239 م ـ 710 هـ/ 1310 م

أحمد بن موسى بن عيسى ابن أبي الفتح الأنصاري البطرني، أبو العباس. أصله من بطرنة ـ بفتح الباء وسكون الراء ـ حصن من أعمال مرسية في الأندلس. وبها مولده (حوالي سنة 637) (1). ثم انتقل إلى إفريقية واستقرّ بها وأخذ عن علمائها وعمّن استقر بها من جالية الأندلس مثل ابن برطلة وابن الشقـر. ومن التونسيين أمثال ابن الشباط وابن البراء التنوخي، وتضلع في القراءات. واتسعت روايته في الحديث مع دراية بالفقه. وكان عفّ اللسان، سمح الخلق، بارّاً بإخوانه.

أخذ عنه عامة طلبة العلم بتونس ـ في وقته ـ ومن قصدها من الطلبة والرحالين أشهرهم ابن جابر الوادي آشي، والرحالة العبدري، والمحدث ابن رشيد.

توفي البطرني يوم السبت العشرين من ربيع الآخر عام 1310/710 م (2).

لــه:

1 ـ نظم قراءة يعقوب من طريق الداني. وصفه ابن الجزري بأنه «نظم حسن».

(*) لم يفرده المؤلف بترجمة. واكتفى بذكره في فهرسي المؤلفين والمصنفات.

(1) ملء العيبة 172:2 هامش 200.

(2) اختلفت نسختا برنامج الوادي آشي في تاريخ وفاته: في واحدة سنة 703 وفي الأخرى 710. وبهذه أخذنا استئناساً بما ورد في تاريخ الدولتين الذي يورد التواريخ مسلسلة.

مصادر :

- برنامج الوادياشي ص 66 — 67 .
- تاج المفرق 172:1 — 175 .
- تاريخ الدولتين ص 60 (حوادث 710 هـ) .
- تراجم المؤلفين 144:1 — 145 .
- الحلل السندسية 252:1، 579، 616، 617، 810 .
- درة الحجال 13:1 رقم 10، 39، 40 رقم 45 .
- الدرر الكامنة 343:1 رقم 811 .
- رحلة العبدري ص 69، 275 .
- شجرة النور الزكية 205:1 .
- غاية النهاية 142:1 — 143 رقم 665 .
- فهرست الرصاع ص 90 — 91 هامش 2 .
- ملء العيبة 169:2 — 172 .

— 15 —

ابن جميل الربعي(*)

639 هـ/ 1241، 42 م ـ 1315/715 م

محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن عبد الله بن جميل الربعي.

مولده بتونس 639 هـ ونشأ بها وأخذ الحديث عن علمائها. وبرع في الفقه والتفسير والأصول.

انتقل إلى القاهرة في حدود سنة 672 هـ. وأخذ عن علمائها من أمثال الحافظ اليغموري وغيره فاشتهر امره، وعرف مكانه فولّي الخطط النبيهة من نيابة الحكم بالحسينية بالقاهرة إلى قضاء الإسكندرية. ثم عزل ورجع إلى القاهرة فأقام يشتغل بالتدريس في مدارسها.

وصفه ابن فرحون بقوله: كان إماماً مفتياً، مفسراً، بارعاً في فنونه، أصولياً، عالماً، ذا سكون وفقه وديانة، سريع الدمعة.

توفي بالقاهرة في صفر سنة 715 ودفن بالقرافة.

لـــه:

1 ـ **التنوير مختصر التفسير**. اختصر فيه التفسير الكبير للفخر الرازي. نسبه له ابن حَجر في ترجمته. ومنه جزء مختلط به 253 ورقة، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 213. وجاء في الورقة 8 ظ ما يلي.

«... تم الجزء السادس من التنوير بمختصر التفسير لمحمد بن أبي

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة. واكتفى بذكره في فهرس المؤلفين. ولم يذكر من مصنفاته إلا الأول.

القاسم بن عبد السلام بن عبد الله الربعي، عرف بابن جميل التونسي المالكي. وكان الفراغ من نسخه عصر الأحد إحدى عشر (. . . . . . .) يوماً بقين من شعبان المكرم عام أربع وسبع (مائة) يتلوه في السابع. . .».

وقد نقلنا عبارة الختم بنصها لندلل على قدم هذه الأوراق، وأنها تعود إلى عهد المؤلف ثم إلى ضخامة الكتاب وكبر حجمه فهو يزيد على سبعة أجزاء.

ـ القاهرة، المكتبة الأزهرية رقم 13، جزء منه أوله تفسير سورة الأنفال وآخره تفسير سورة يس. ومنه ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقمه 177.

2 ـ **مختصر الفروق للقرافي** ويسميه ابن حجر: مختصر قواعد القرافي، تونس دار الكتب الوطنية رقم 14946 (أحمدية 6856).

3 ـ **السهل البديع في اختصار التفريع**:

فاس، خزانة جامع القرويين رقم 1138.

مدريد، مكتبة الاسكوريال رقم 1238.

مصادر:

ـ تراجم المؤلفين 338:2 — 339.

ـ الدرر الكامنة 266:4.

ـ الديباج المذهب 317:2.

ـ شذرات الذهب 37:6 — 38.

ـ ذيل العبر ص 84.

ـ طبقات المفسرين 231:2.

ـ الغزيري: فهرس مخطوطات مكتبة الاسكوريال 482:1.

ـ فهرس مخطوطات خزانة جامع القرويين 229:3.

ـ فهرس المخطوطات بمركز البحث العلمي في جامعة أم القرى: التفسير وعلوم القرآن ص 64 — 65.

ـ معجم المؤلفين 141:11.

— 16 —

ابن جماعة التنوخي(*)

. . . ـ كان حيّاً بين سنتي 725 و 729 هـ

محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن جماعة التنوخي المهدوي، أبو عبد الله.

مقرىء، متفنّن في علمه. أصله من المهدية وأقام ودرّس بتونس. لقيه بها ابن شقرال الأندلسي وأخذ عنه كتابه الآتي وذلك بين سنتي 725 و 729[1].

لــه:

1 ـ تحصيل الكفاية من الاختلاف الواقع بين التيسير والتبصرة والكافي والهداية[2].

مصادر:

ـ درة الحجال 2:75.

(*) هذه الترجمة من ملحقاتنا. واكتفى المؤلف بذكره وكتابه في فهرسي المؤلفين والمصنفات.

(1) أرخ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب وفاته في فهرس التراجم سنة 800 هـ = 1397 م ولم نهتد إلى المصدر الذي استقى منه ذلك خاصة ونحن نعلم أنه كان منتصباً للتدريس والإفادة بين سنتي 725 - 729.

(2) التيسير لأبي عمرو الداني، والتبصرة لمكي بن أبي طالب، والكافي لأبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني، والهداية لأحمد بن عمار المهدوي. وكلها في القراءات السبع.

— 17 —

ابن الدّروال (1)

عبد العزيز بن أبي القاسم أحمد بن حسن الرّبعي، ويعرف بابن الدِّروال (2) التونسي(3)، أبو فارس(4).

فقيه أصولي من تلاميذ ابن زيتون. كان فاضلاً متفنّناً في العلوم مع ميل إلى التصوف. وقصد مصر للقراءة فأقام بهامدة، وبه تخرج الأخوان برهان الدين إبراهيم وشمس الدين محمد ابنا محمد بن إبراهيم الصفاقسيان. ومِمّن أخذ عنه مباشرةً ابن مرزوق الجَدّ.

وتوفّي في سنة 733 هـ (5).

لـــه:

1 ـ **تفسير القرآن** (6)، قال ابن مرزوق: «هو من أعجب ما صنّف».

وقال ابن فرحون: **«وله تآليف لم أقف على تعيينها»**.

مصادر:

ـ الديباج ص 158 و 306.

ـ سند الثعالبي (خط).

ـ درّة الحجال ص 371.

ابن الدِّروال

000 - 733 هـ/ 2 - 1333 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ ضبطه ابن فرحون بكسر الدال المهملة وسكون الراء وذكره في ترجمته (بالدِّروال)

بينما أثبت «ابن الدِّروال» في ترجمة ابن مرزوق الجدّ.

2 ـ حاول المؤلف الجمع في سلسلة نسبه بين رواية الديباج وبقية المصادر الناقلة عنه «عبد العزيز بن أبي القاسم بن حسن الربعي المعروف بالدروال» ورواية فهرست الثعالبي «عبد العزيز بن أحمد التونسي المعروف بابن الدروال».

3 ـ لقبه في الديباج «ركن الدين».

4 ـ كنّاه في الأصل «أبو أوس» اعتماداً على ما جاء في الطبعة الأولى من الديباج ص 306 وأخذنا بما في الطبعة الثانية (292:2) مدعمة بما في نفح الطيب (394:5) وهو المعتاد في تكنية اسم عبد العزيز في ذلك العصر.

5 ـ ذكره الونشريسي في وفيات 732 هـ. وعبارة الديباج ليست دقيقة «توفي في حدود سنة 733».

6 ـ ذكره الثعالبي في فهرسته «غنية الوافد» وعبارته: «وحدثني ابن مرزوق عن جدّه أنه سمع على عبد العزيز بن أحمد التونسي المعروف بابن الدّروال بعض التفسير له، الذي لم يكمل. وإنه لمن أعجب ما صنف، **وبعض تقييداته**».

II ـ مصادر:

أ ـ طبعات جديدة:

- درة الحجال 117:3 — 118.
- الديباج المذهب 24:2، 292.

ب ـ إضافات:

- تراجم المؤلفين 305:2.
- شجرة النور الزكية 207:1.
- فهرست الثعالبي (غنية الوافد) ورقة 9 و.
- لقط الفرائد (ألف سنة من الوفيات ص 187).
- معجم المؤلفين 245:5.
- نفح الطيب 394:5 (عرضاً، وجاء لقبه محرفاً: الزروالي).
- وفيات الونشريسي (ألف سنة من الوفيات ص 107).

— 18 —

العشاب

أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي شهر العشّاب، أبو العباس، الدين.

أصله من بيت أندلسي انتقل أوائله من قرطبة إلى تونس وبها ولد أحمد ـ حدود سنة 650 هـ [1] وتربى في حجر والده وكان أبوه من رجالات الدولة الحفصية، وتقلّب في الوظائف المخزنية من ولاية الأعمال إلى خطة الحجابة.

وقرأ ابنه أحمد على أساتذة ذلك العصر كأبي القاسم بن البراء وأحمد بن الغماز وعبد الحميد بن أبي الدنيا وأبي القاسم بن زيتون. وبرع في العلوم لا سيما في الحديث الشريف. ثم نحا مسلك أبيه في الانخراط في الوظائف فتولّى خطة الكتابة فرئاسة ديوان الانشاء على عهد الأمير أبي بكر المتوكّل على الله [2] ولم يزل بهذا المنصب الرفيع إلى أن تغيّر عليه الأمير لأسباب نجهلها فخرج من تونس إلى الحج وتجوّل في الأقطار الشرقية. ثم عاد إلى المغرب وقصد الأندلس ونزل بغرناطة ضيفاً مكرّماً على ملوكها من بني نصر. وقد تلقاه وزيرهم الشهير لسان الديـن بن الخطيب بحفاوة زائدة وآنس غربته في تلك المدة.

ترجمه ابن الخطيب في كتابه الإكليل فقال في حقه:

«جواد لا يتعاطى طلقه، وصبح فضل لا يماثل فلقه، نشأ مقضيّ الديون مفدّى بالأنفس والعيون، والدهر ذو ألوان، ومارق حرب عوان، والأيام كرات تتلقف، وأحوال لا تتوقف، فأولى بهم الدهر وأنحى، وأغام جوّهم بعقب ما أصحى،

فشملهم الاعتقال، وتعاورتهم النوب الثقال، واستقرت بالمشرق ركابه، وحطت به أقتابه، فحج واعتمر واستوطن تلك المعاهد وعمر، وعكف على كتاب الله تعالى فجوّد الحروف وقرأ المعروف، وقيد وأسند، وتكرر إلى دور الحديث وتردد، وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل. ولما استقر به قراره، واشتمل على جفنه غراره، بادرت إلى مؤانسته وثابرت على مجالسته فاجتليت للسر شخصاً وطالعت ديوان الوفاء مستقصى، وشعره ليس بحائد عن الإحسان، ولا غفل عن النكت الحسان».

وعاد أحمد بعد ذلك إلى تونس ولكن لم يُقم فيها إلّا يسيراً. وسافر منها إلى المشرق ثانية واستقر آخراً بمدينة الاسكندرية. وأقبل على تدريس العلوم لا سيما التفسير والحديث. وقد أخذ عنه جماعة منهم ابن مرزوق الخطيب. وذكره في فهرست شيوخه وقال في شأنه: هو من أعظم من لقيت بثغر الاسكندرية وأكثرهم تحصيلاً قرأت عليه بعض موطأ الإمام وكتاب الشفا....

ومن شعره في كتاب الشفاء:

قرأتُ كتابَ الشفا ... وما هو إلّا الشفَا
فبورِك فيه لِمَا ... قد حوَى من حُلَى المصطفَا
كتاب علا قدرُه ... على صنفه شَرَفَا
كفاني عكوفي على ... فوائدَ فيه كفَى

وكانت وفاته بالاسكندرية في خلال سنة 736 هـ[3].

لـه[4]:

1 ـ «تفسير القرآن» جمع بين تفسيري ابن عطية والكشاف للزمخشري[5].

2 ـ ديوان شعر.

مصادر:

ـ نفح الطيب 43:4.

ـ أزهار الرياض للمقري ـ خط بمكتبتي ـ ورقة 211.

ـ شذرات الذهب 112:6.

العشاب

649 هـ / . . . ـ 736 هـ /

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ في الوافي والدرر الكامنة: مولده سنة 649.

2 ـ في الوافي والدرر الكامنة: أنه وزر قبل ذلك لزكرياء بن أحمد اللحياني (تولّى بين سنتي 711 — 717).

3 ـ في شذرات الذهب أنه توفي سنة 737.

4 ـ نسب له صاحب غاية النهاية:

3 ـ كتاب في المعاني والبيان.

5 ـ ذكر ابن الجزري أنه تفسير صغير. والموجود منه نسخة في عشرة أجزاء ينقصها الجزء الثالث وبعض السادس. مخطوطة بدار الكتب المصرية رقمها 147 تفسير. ومنها فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقمه 81 — 89 تفسير.

II ـ مصادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ أزهار الرياض 279:4.

ب ـ طبعات جديدة :

ـ نفح الطيب 239:6 — 240.

ج ـ إضافات :

ـ الأعلام 223:1.

ـ برنامج الوادياشي ص 109.

ـ الدرر الكامنة 256:1.

ـ ذيل العبر ص 191.

ـ طبقات القراء 106:1.

ـ طبقات المفسرين 66:1.

ـ فهرس الكتبخانة الخديوية 148:1.

ـ فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 40:1.

ـ فهرس المخطوطات المصورة 27:1 — 28.

ـ معجم المؤلفين 62:2.

ـ الوافي بالوفيات 319:7 — 320.

— 19 —

الصفاقسي (برهان الدين)

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي الصفاقسي، برهان الدّين أبو إسحاق.

وُلِدَ بصفاقس في حدود سنة 697 هـ [1] وقرأ ببلده. ثم رحل في طلب العلم إلى تونس مع أخيه الآتي، فقرأ بها على الحافظ عبد العزيز ابن الدِّروال، ثم قصدا بجاية فتفقّها على ناصر الدّين المشذّالي، ثم حجّا معاً واستقرَّ إبراهيم بالقاهرة ولازم شيخ العربية أبا حيّان. وبعد حين سافر إلى الشام وسمع بدمشق من كبار رواة الحديث مثل المزي والفاضلة زينب بنت الكمال وغيرهما. ومهر إبراهيم في العلوم وتخصّص في العربية والأصول، وبلغ فيهما شأواً بعيداً. وتصدّر لتدريس العربية فأخذ عنه جماعة لا يحصَوْن.

قال تلميذه الخطيب ابن مرزوق [2]: «من شيوخي برهان الدّين أحد أئمة القاهرة، قرأتُ عليه وأجازني وأحمل عنه مصنفاته «وقال ابن عرفة [3]: برهان الدّين عالم كبير بالأصول» وناهيك بشهادة الإمام ابن عرفة في ذلك».

ثم رجع صحبة أخيه إلى إفريقية واجتمع بأعيان العلماء التونسيين وقد أكرموا وفادتهما. حكى بدر الدين الدماميني، قال[4]: «أخبرني بعض الثقاة أن الأخوين الصفاقسيين كان أحدهما حافظاً لفروع المالكية والآخر متفنّناً في الأصول والعلوم اللسانية فكانا إذا حضرا في مجلس يجتمع فيهما عالم كامل. فاتفق أن حضرا بتونس مجلس ابن عبد الرّفيع قاضي الجماعة، فسألهما عن مسألة، فأجابا عنها بنقل ذكراه عن ابن رشد وتكلّما عليها بكلام استحسنه الحاضرون».

نقلنا هذه الحكاية للدلالة على ما كان بين الشقيقين من الوفاق والالتحام والعمل المشترك في العلـم.

ويظهر أن أصغر الأخوين ـ وهو محمد ـ رجع بعد إلى المشرق واستقرّ بالشام، كما سيأتي، أما إبراهيم فإنه أقام بوطنه إفريقية وبها توفّي يوم 18 ذي القعدة سنة 742. وقيل في التي بعدها [5] والأول أرجح. ولم يذكر أصحاب التراجم مكان وفاته. والظنّ الغالب أنه مدفون برباط المنستير ويعرف قبره الآن بسيدي إبراهيم الصفاقسي.

لـــه:

1 ـ المجيد في إعراب القرآن المجيد اشترك في تأليفه معه أخوه محمد[6] وإن كانت نسبته إلى إبراهيم أشهر[7]. ويقال: إنهما لخّصاه من التفسير المسمّى بالبحر المحيط تصنيف شيخهما أثير الدين ابن حيّان وإياه يعنيان بلفظ الشيخ في كتابهما. وكثيـراً ما يتعقبان بالبحث والنقد عباراته ومدلولاته. قال أحمد بابا: كان أبو عبد الله ابن آجرّوم يثني على فهم الصفاقسي ويراه مصيباً في أكثر تعقّباته وانتقاداته لأبي حيان» ومهما يكن فإن هذا الكتاب من أجلّ ما دوّن في إعراب القرآن وأغزره فائدة يوجد منه [8] نسخ في الزيتونة في 4 أجزاء وبالقرويين، وبالمدرسة العليا بالرباط وبدار الكتب المصرية، وبمكتبة كوبرلّي وبالأسكوريال، وفي المتحف البريطاني، وفي مكتبة برلين، وفي كثير من الخزائن الخصوصية [9]. وقد اختصره عبد الكريم بن محمد بن عبد العزيز الحمروني [10] وسمّاه «اختصار إعراب القرآن» موجود بالزيتونة، كما اختصره أيضاً شمس الدين محمد الصرخدي المتوفّى سنة 792 هـ وله غير ذلك من الاختصارات.

ولإبراهيم من المؤلفات المستقلّة.

2 ـ **شرح على مختصر ابن الحاجب الفقهي** [11].

3 ـ **نوازل الفروع** وهو مجموع كبير في مسائل فقهية على المذهب المالكي[12].

4 ـ **الروض الأريج، في مسألة الصهريج** وهو جواب مستفيض عن سؤال ورد عليه في أرض اشتراها رجل فوجد فيها صهريجاً مغطّى هل هو للبائع أو

للمشتري؟ [13] قال القرافي[14]: وقد أبدع في جوابه وخالف كثيراً من أقوال المالكية.

5 ـ إسماع المؤذنين خلف الإمام [15] جزء لطيف [16].

مصادر:

ـ الديباج 92.
ـ سند مرويات الثعالبي ـ خط ـ.
ـ بغية الوعاة 176.
ـ أحمد بابا 39.
ـ ابن القاضي 322.
ـ بروكلمان 2:249.

الصفاقسي (برهان الدّين)
697 هـ/ 7 - 1298 م 742 خـ/ 1342 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ هذه رواية ابن حجر. وفي رواية الذهبي ـ كما نقله عنه ابن حجر ـ سنة 698 هـ.
2 ـ هو الجدّ كما في فهرست الثعالبي ونيل الابتهاج. وعنهما نقل المؤلف الشاهد مع شيء من التصرف.
3 ـ النّص في نيل الابتهاج. وأسنده عن البسيلي عن ابن عرفة.
4 ـ النقل عن نيل الابتهاج مع اختصار وتصرّف.
5 ـ هذه رواية الديباج. والأولى رواية ابن حجر. وقارن برواية الصّفدي.
6 ـ هذا كلام ابن فرحون في الديباج. وردّه أحمد بابا في النيل ونفاه بحجج قاطعة.
7 ـ ذكر الثعالبي في فهرسته عن ابن مرزوق الجدّ قال: «وسمعت من لفظه (أي الصفاقسي) كتابَه الذي أعرب فيه وأغرب في إعراب القرآن العظيم».
8 هـذه أهم مخطوطاته التي وقفنا عليها:

تونس، دار الكتب الوطنية مفصّلة كما في الجدول التالي:

جزء	الرقم الجديد	الرقم القديم	ملاحظـات
ج 1	5774	337	من المكتبة العبدلية نسخة تامة في أربعة مجلدات
ج 2	5775	338	من المكتبة العبدلية
ج 3	5776	339	من المكتبة العبدلية
ج 4	5777	440	من المكتبة العبدلية
ج 2	6985	341	من المكتبة العبدلية جزء مفرد
ج 2	6424	342	من المكتبة العبدلية النصف الأخير
جزء	7263	343	من المكتبة العبدلية جزء أخير
ج 2	6692	10227	من المكتبة العبدلية جزء مفرد
ج 1	10841	531	من المكتبة الأحمدية نسختان تامتان كل منهما في مجلدين
ج 2	10842	532	من المكتبة الأحمدية
ج 1	10798	533	من المكتبة الأحمدية
ج 2	10799	534	من المكتبة الأحمدية

- المدينة المنوّرة، المكتبة المحمودية رقم 9 تفسير.
- القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 222 و316 تفسير. نسختان كلّ منهما في مجلد والجزء الأول من نسخة أخرى برقم 736 تفسير.
- القاهرة، الخزانة التيمورية رقم 466 تفسير ج 1.
- برلين، مكتبة الدولة رقم 881 مجلدان.
- دمشق، الظاهرية رقم 530 نسخة تامة في مجلّد واحد.
- غوطا، رقم 533 (عن بروكلمان، الملحق).
- مدريد، الأسكوريال رقم 1320، مجلد واحد.
- فاس، خزانة القرويين رقم 41 و922 و945.
- الرباط، الخزانة العامة رقم 431، 441، ثلاثة مجلدات.
- استانبول، سليم آغا رقم 144 (عن ملحق بروكلمان).

ـ لندن، المتحف البريطاني رقم 3863.

9 ـ منها مكتبة المؤلف ح. ح. عبد الوهاب رقم 18478.

10 ـ سيترجم له المؤلف فيما بعد.

11 ـ ذكر الثعالبي في فهرسته عن ابن مرزوق الجدّ أنه «قرأ عليه أكثره، قال: وتركته لم يكمل. وشهد له فيه بالتقدم والإجادة أهل الديار المصرية».

12 ـ هذا ليس كتاباً. وقد استقاه المؤلف من عبارة ابن مرزوق الجدّ كما جاءت في فهرست الثعالبي: «وقرأت عليه بعض تواليفه في نوازل الفروع التي سئل عنها، منها: الروض الأريج في مسألة الصهريج... والجزء الذي ألفه في إسماع المؤذنين.

13 ـ جميع ما ذكر عن هذا الكتاب من فهرست الثعالبي عن ابن مرزوق الجدّ ونقله عنه صاحب نيل الابتهاج.

14 ـ بل هو قول ابن مرزوق الجدّ كما جاء في فهرست الثعالبي.

15 ـ ذكره الثعالبي وعنه صاحب نيل الابتهاج.

I6 ـ جاء في فهرس خزانة جامع القرويين 29:3 رقم 923 «تفسير الصفاقسي». وعقب على ذلك العابد الفاسي بقوله: لا نعلم للصفاقسي تفسيراً.

II ـ مصـادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ بغية الوعاة 425:1.

ـ درّة الحجال 178:1 — 179.

ـ الديباج 279:1 — 280.

ب ـ إضافات:

ـ الأعلام 63:1.

ـ برنامج المكتبة العبدلية 112.1 - 115.

ـ بروكلمان، ملحق 350:2.

ـ تراجم المؤلفين 132:4 — 135.

ـ الدرر الكامنة 57:1.

ـ رحلة ابن بطوطة ص 46.

ـ شجرة النّور الزكية 209:1.

- فهرس الثعالبي ورقة 9.
- فهرس الخزانة التيمورية 138:1.
- فهرس المكتبة الظاهرية (علوم قرآن) 393.
- فهرس الخزانة العامة بالرباط ق 1:1 — 2.
- فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 61:1.
- فهرس مخطوطات الأسكوريال 25:3.
- فهرس مخطوطات المتحف البريطاني ملحق 69:1.
- فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 18.
- فهرس المكتبة الخديوية 207:1 — 208.
- فهرس مكتبة الدولة ببرلين 348:1.
- كشف الظنون ص 122، 1477، 1607.
- معجم المؤلفين 82:1.
- مفتاح السعادة 106:2، 418.
- النجوم الزاهرة 98:10.
- نزهة الأنظار 146:2.
- هدية العارفين 15:1.
- الوافي بالوفيات 138:6 — 139.

— 20 —

اللبيب

أبو بكر ـ وهو اسمه لا كنيته ـ بن أبي محمد عبد الغني، ويعرف باللَّبيب، أبو عبد الله (1).

من أبناء مدينة تونس. وبها قرأ على جماعةٍ منهم الحاج يوسف القادسي الأندلسي، والشيخ أبو محمد اللّقي، وبرع في العربية وعلوم القرآن.

لم نقف له على ترجمة، وإنما استفدنا شيئاً من أخباره في نفس تأليفه الآتي.

نعلم أنه سافر إلى مصر والشام، وتعرَّف بأعيان من العلماء، حكى عن نفسه قال: «دخلت في جامع بني أمية بدمشق موضعاً يقال له «مسجد علي بن أبي طالب» فرأيت فيه مصحفاً بخطّ كوفي يقال: إنه بخط علي، رضي الله عنه».

والذي يظهر لنا أنه كان يعيش في آخر القرن الثامن إلى أوائل التاسع. وقد سافر إلى المشرق كما تقدّم. ولا ندري هل عاد من سفره هذا أو أنه مات هناك، والرّاجح أنه توفّي في القرن الثامن إذ إنه ينقل عن شرح متقدّمه علي بن محمد السخاوي المتوفّى سنة 643 هـ. وقد أشار في مقدمة شرحه أنه حرره في آخر عمره وهو في سنٍ عالية (3).

لــه (4):

1 ـ الدرّة الصقيلة، في شرح أبيات العقلية» يعني المنظومة المسمّاة «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد» لابن فِيرُّه الشاطبي في رسم المصاحف

واختلاف رواياتها، وهو شرح غزير الفائدة في فنّه على غاية ما يرام من الانسجام والضبط. منه [5] نسخة بمكتبة ليسيك بألمانيا، ومنه قطعة بمكتبة جامع عقبة بالقيروان، ونسخة جميلة الخط بمكتبتي الخصوصية بتاريخ رمضان عام 947 هـ.

مصادر:

ـ بروكلمان، ملحق 727:1. ولم يذكر اسم الشرح بالتحقيق. وكأنه جعل تاريخ كتابة نسخة ليبسيك أي سنة 1108 هـ (1696 م) تاريخاً لحياة الشارح فليصَحَّح.

اللَّبيب
ق 8 هـ/ 14 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليـق:

1 ـ جاءت كنيته على ظهر نسخة عتيقة من كتابه «الدرّة الصقيلة»: أبو يحيى (مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس رقم 3653).

2 ـ يفهم من تحليته الواردة على ظهر النسخة العتيقة المشار إليها «تأليف الأستاذ المقرىء المقدس المرحوم أبي يحيى أبي بكر بن أبي محمد عبد الغني» أن وفاته كانت قبل عام ستة وثلاثين وسبعمائة إذ كان تاريخ النسخ هو «السابع لشوال المبارك عام ستة وثلاثين وسبعمائة» وبذلك يكون ممن عاش في النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن.

3 ـ الثابت أنه ألّفه قبل سنة 798 هـ. وهي السّنة التي أنهى فيها أحمد بن محمد الكازروني الشيرازي شرحه على العقيلة (كشف الظنون ص 1159) وقد اعتمد فيه على شرح مترجمنا. وعبارته «... أما بعد فإني رأيت القصيدة المسمّاة بعقيلة... وكثر الانتفاع بها في المشرق والمغرب. وكان قبلُ [شرحها] المقرىء علم الدين علي بن محمد السخاوي. وشرحها في زماننا المقرىء أبو بكر بن عبد الغني المشتهر باللّبيب». شرح العقيلة ورقة 1 ظ، مخطوطة المكتبة الوطنية بتونس رقم 10447 (أصلها من الأحمدية رقم 634).

4 ـ له أيضاً:

2 ـ رسالة «مختصر في ألفات المحذوفات والثابتات والياءات المحذوفات

والثابتات. والموصول وما كتب من هاء التأنيث بالياء»، مخطوطة ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 9676 (أصلها من العبدلية رقم 7251).

5 ـ مخطوطاته التي وقفنا عليها:

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 1404 و 3653. وهذه الأخيرة هي أقدم النسخ تم نسخها في 7 شوال سنة 736 بالإسكندرية.

ـ تونس، مكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18510.

ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 399 و 2226/2 د.

ـ ليبسيك رقم 72 (عن ملحق بروكلمان 727:1).

II ـ مصادر:

أ ـ إضافات:

ـ فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة بالرباط قسم 3 ج 1 ص 4.

ـ فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 10.

— 21 —

البسيلي

أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي، أبو العباس.

من كبار تلاميذ ابن عرفة، ابتدأ القراءة سنة 785 هـ[1]. وكان يقيّد ما يملي شيخه من الأبحاث العلمية أثناء دروسه، وأخذ أيضاً عن أبي الحسن البطرني وعن ولي الدين بن خلدون. وكانت له صحبة في زمان الدراسة بالأمير العالم الحسين الحفصي.

وتوفي خلال سنة 848 هـ. وقال في كشف الظنون سنة 830 هـ وعنه نقل بروكلمان ـ وهو غلط ـ ودفن بالزلاج.

لـــه:

1 ـ **تفسيران على القرآن الكريم**: كبير [2] وصغير، جمعه من إملاءات استاذه ابن عرفة كما ذكر، ولخص منه تفسيره الصغير.

وحصلت له بسببه قصة مع رفيقه في العلم الأمير الحسين، وذلك أن الأمير لما سمع بهذا التفسير أراد الوقوف عليه فطلبه منه فامتنع المؤلف وماطله فألح عليه في الطلب وأرسل له أعوانه، فلما رأى البسيلي الجد أخذ من كتابه من سورة الرعد إلى الكهف وأرسل إليه الباقي، وبقي التفسير عند الأمير إلى أن قتل سنة 839 هـ وبيع في تركته. وسافر به مشتريه إلى بلاد السودان، وهناك أخذت منه نسخ وانتشر في البلاد على ما فيه من النقص.

وكان البسيلي لما طولب بإعارة تأليفه اختصر منه تقييداً صغيراً. وهو الموجود بيد الناس[3]. منه نسخ في كثير من خزائن تونس، وفي مكتبة الجزائر[4] وغيرها[5].

مصادر :

ـ الضوء اللامع 261:2.

ـ أحمد بابا 77 — 78.

ـ كشف الظنون 304:1.

ـ بروكلمان 249:2.

البسيلي

حيى سنة 783 هـ ـ 848/ 4 - 1445

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليـق :

1 ـ ذكر الأستاذ سعد غراب أنه وقف في ثنايا تقييد البسيلي على نصّ بالتلقّي على ابن عرفة وحضور مجلسه سنة 783 هـ.

2 ـ هذا تفصيل ما هو موجود من تقييده الكبير في المكتبات حسبما توصلنـا إليه :

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 10972.

ـ الجزائر: المكتبة الوطنية رقم 349.

ـ الرباط: الخزانة العامة رقم 611 ق، 34 ج، 2113 ك.

ـ الرباط: الخزانة الملكية رقم 98 و 679.

ـ فاس: خزانة جامع القرويين رقم 53.

ـ تافيلالت، مكتبة الزاوية الحمزية رقم 93. ومنه قطعة تحت رقم 2862.

ـ استانبول، خزانة فيض الله أفندي رقم 64.

3 ـ منه نسختان خطيّتان في الرباط، الخزانة العامة رقم 271 ق ورقم 1743/2 د.

4 ـ الموجود في تونس والجزائر هو من التقييد الكبير ينظر تعليقنا أعلاه.

5 ـ ذكر الرصاع أن له تآليف عديدة ومصنّفات حسنة، ثم ذكر منها:

2 ـ شرح على المدونة.

3 ـ شرح على الخزرجية في العروض.

4 ـ شرح على جمح الخونجي (في المنطق).

II ـ مصـادر :

أ ـ طبعات جديدة:

ـ كشف الظنون ص 438 — 439.

ب ـ إضافات:

ـ الأعلام 227:1.

ـ تراجم المؤلفين 91:1 — 92.

ـ تعريف الخلف 73:2.

ـ توشيح الديباج ص 58.

ـ الحلل السندسية 633:1.

ـ سعد الغراب (مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي) ملتقى الإمام ابن عرفة [1976] ص 397 — 406.

ـ شجرة النور الزكية 251:1.

ـ الضوء اللامع 190:11 (الأنساب).

ـ فهرس الخزانة العامة بالرباط ق 3، ج 26:1 — 27.

ـ فهرس خزانة القرويين 91:1 — 92.

ـ فهرس الرصاع ص 275 — 277.

ـ فهرس المكتبة الوطنية بالجزائر ص 37.

ـ معجم أعلام الجزائر ص 37.

ـ معجم المؤلفين 85:2.

ـ مكتبة الزاوية الحمزية (مجلة تطوان 1963/8 ص 111).

ـ منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية بالرباط ص 73 — 74.

ـ المنوني: دعوة الحق، ذي القعدة (1393 هـ) ص 155.

ـ المورد (مجلة) م 7 عدد 2 :314.

— 22 —

ابن سلامة

محمد بن سلامة، أبو عبد الله.

ولا نعلم من اسمه أكثر من ذلك، فقيه، واعظ، تولى إمامة جامع الزيتونة والخطابة به سنة 992[1] ولم يدم بها إلاّ عاماً واحداً حيث توفي في جمادى الثانية 993.

لــه:

1 ـ **تفسير القرآن**، مشهور باسمه [2].

مصادر:

ـ درّة الحجال 259:1.

ـ مسامرات الظريف 109.

ابن سلامة

000 - 993 هـ/ 1585 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ في شجرة النور: إنه تولّى الإمامة سنة 990 هـ وهو خلاف ما في المصادر.

2 ـ لم يرد له ذكر في مصادر المؤلف ولا المصادر التي فاتته.

II ـ مصـادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ درّة الحجال 227:2.

ـ مسامرات الظريف ص 105.

ب ـ إضافات:

ـ لقط الدرر (ألف سنة من الوفيات) ص 320.

ـ شجرة النور الزكية 282:1.

— 23 —
إبراهيم الجمل

إبراهيم بن محمد الجمل [1] وبه عرف.

من أبناء صفاقس وقرأ بها على الشيخ علي النوري. ثم قدم الحاضرة فقرأ على الشيخ ساسي الجبالي ومحمد فتاتة وصرف همته إلى علم القراءات فبرع فيها. وكان مع ذلك فاقدَ البصر من الولادة، وتصدّى لتدريس القراءات بالزيتونة والحديث بمسجد سوق الفلقة. وتخرج عليه جماعة كبيرة من العلماء والأدباء مثل الشيخ محمد زيتونة ومحمد الخضراوي والمؤرخ الأديب محمد الوزير السراج.

وتوفي بتونس في سنة 1107 هـ.

حكى تلميذه محمد الوزير السراج قال: «كان شيخي يسألني عن حروف الكتابة وصورها فصورتها له من الشمع بنقطها مفردة ومركبة فصارت عنده مقام المشاهدة» وقال في مكان آخر من ترجمته: «وصورت له جدولاً من الشمع يدرك باللَّمس حتى اطلع الشيخ على مسير الفرس المعلوم على خرقة الشطرنج. وتوصل بذلك الأسلوب إلى مسير الشطرنج بجميع مفرداته».

أقول لله درُّ المؤرخ الوزير السراج التونسي فإنه بصنعه هذا تقدم مخترع حروف العمي البارزة بمائة وخمسين سنة على الأقل.

لـــه:

1 ـ **جامعة الشتات، في عدّ الفواصل والآيات منظومة في ألف وثلاثمائة بيت.**

2 ـ **الوقف في القراءة.**

3 ـ **كلا والوقف عليها** رسالة أجاب بها من سأله عن ذلك.

4 ـ **نظم النشر في القراءات العشر لابن الجزري بلغ فيه ثلاثة آلاف بيت**[2].

5 ـ **شرح الخزرجية** وبقي عليه شيء منها لم يتممه.

6 ـ **تخاميس عديدة على بردة البوصيري**، وكذا تثمينها[3].

7 ـ **قوم عاد الأولى** وهي رسالة تاريخية في قوم عاد.

مصادر:

ـ البشائر 96.

ـ الحلل السندسية ج 2 (خط).

الجمل

...- 1107 هـ / 5-1696 م

استدراكات وإضافات

1 ـ التعاليق:

1 ـ سمّاه صاحب الحلل: إبراهيم بن أبي عبد الله محمد الصفاقسي.

2 ـ استوعب فيها أوجه القراءات للثلث الأول من القرآن الكريم حسب الذي جاء في الحلل السندسية.

3 ـ عبارة السرّاج: وخمّس البردة بخمسة تخاميس وثمنها أيضاً. والتزم في مبتدأ كل تثمين باسم الجلالة.

II ـ مصـادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ الحلل السندسية 582:2 — 588.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ ذيل بشائر أهل الإيمان 190:1 — 191.

ج ـ إضافات:

ـ الأعلام 1 :68.

ـ تراجم المؤلفين 54:1 — 55.

ـ شجرة النور الزكية 318:1 — 319.

ـ معجم المؤلفين 90:1.

ـ نزهة الأنظار 168:2.

— 24 —

عليّ النّوري(*)

1053 هـ / 1643 م ـ 1118 هـ / 1706 م

علي بن سالم بن محمد بن أحمد بن سعيد[1] النوري[2] ، أبو الحسن وأبو محمد والكنية الأولى أعرف وأكثر شهرة.

أصله من مدينة صفاقس وبها ولد سنة 1053 هـ / 1643 م. أخذ العلم عن مشيختها منهم علي الكرّاي الصوفي والمربّي المعروف. ثم التحق بتونس للتفقّه في العلم والاستزادة منه رغم ضعف ذات يده وممانعة والده.

ولما حطّ رحاله في تونس تردد في إقامته بين مدرستين من أشهر مدارسها: المدرسة المنتصرية والمدرسة الشمّاعية. ومن أشهر شيوخه بتونس: الشيخ عاشور القسنطيني والشيخ سليمان الأندلسي. ورغم ضيق ذات اليد فقد أقبل على حلقات الدروس بهمة كبيرة ونفس شريفة جلبتا له تقدير أهل الخير وعطفَهم فكفوه لقمة العيش.

وبعد استكمال دراسته بتونس توجه إلى القاهرة ولقي هنالك جلّة من علماء الأزهر أمثال الخرشي والشبراخيتي وإبراهيم المأموني، كما اتصل في رحاب الأزهر بطائفة من العلماء المغاربة المهاجرين أمثال الشيخ الشاوي الجزائري، والشيخ الأفراني المغربي. وفي الجامع الأزهر ملأ وطابه من مختلف العلوم التي تدرس آنذاك في رحابه وأروقته من قراءات وتفسير وحديث ومنطق وتوحيد وفقه وميقات الخ. ثم عاد إلى مسقط رأسه صفاقس وأخذ ينشر ما عنده من علوم ومعرفة

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة واكتفى بذكره وذكر بعض مصنفاته في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

متخذاً من بيته مدرسة للعلم والتعليم، وزاوية لإيواء طلبة العلم فكان مركز إشعاع فقصده الطلّاب، وأحيى ما كاد يندرس من العلوم القرآنية والحديثية بهذا الوطن.

ولم يقتصر عمل الشيخ علي النوري على المجال العلمي والتربوي بل تعدّاه إلى مجال الجهاد وصدّ هجمات القراصنة على السواحل التونسية لا سيّما من فرسان مالطة، فأسس أسطولاً بحرياً جهزه بالرجال والعتاد، وأنفق عليه أموالاً طائلة ذوداً عن الوطن، وتصدّياً للأعداء.

وجرّ عليه عمله هذا المحن والآلام عندما وشى به حاسدوه إلى أمير البلاد في وقته، وخوفوه مغبة شأن هذا الرجل الذي يهدّد كرسي الإمارة نفسها، فناله العسف واضطر إلى الاختفاء خشية الإيقاع به. لكنّ نفعه ظلّ يعمّ من يتصل به ويقترب منه إلى أن لبّى داعي مولاه يوم الجمعة 12 ربيع الأول سنة 1118 هـ[3] جوان 1706 م.

لـه:

1 ـ **غيث النفع في القراءات السبع**. وهو أشهر مصنفاته وعمدة أهل الفن ومرجعهم في عهده ومن أتى بعده.

مخطوطاته كثيرة نذكر منها:

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 729، 2861، 3919، 7269/2 (422/2 عبدلية) 12606 (5809 أحمدية)، 11912 (6330 أحمدية).

ـ القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 303، 329، قراءات.

ـ دمشق، المكتبة الظاهرية رقم 5830.

ـ لندن المتحف البريطاني رقم Ad.d 6000/3.

وطبع بمصر عدة طبعات على هامش «سراج القارىء المبتدىء وتذكرة المقرىء المنتهي» لابن القاصح، أولاها بمطبعة بولاق سنة 1293 هـ. ثم بالمطبعة الشرفية سنة 1304 هـ وبمطبعة عبد الرزاق سنة 1304 هـ، وبمطبعة شركة التمدن الصناعية سنة 1330 هـ، وبمطبعة السعادة سنة 1346 هـ / 1927 م، وطبع ونشر بمكتبة مصطفى البابي الحلبي سنة 1375 هـ / 1955 م، وطبع بأسفل الكتاب

السالف الذكر في مطبعة الاستقامة، ونشرته المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة 1352 هـ / 1934 م.

2 ـ **تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ خلال تلاوتهم لكتاب الله المبين.**

تونس، دار الكتب الوطنية رقم 2729، 3078/1، 4067، 4248/1، 7068/2 (411/2 عبدلية) 8948/1 (6128/1 عبدليـة)، 9673/4 (7251/4 عبدلية).

ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 541 د. وطبع بتونس سنة 1974 بتحقيق محمد الشاذلي النيفر. وعن هذه الطبعة طبع ببيروت، مؤسسة الكتب الثقافية 1407 هـ / 1987 م مع حذف اسم المحقق.

3 ـ **العقيدة النورية في معتقد السادة الأشعرية**، اتمها في ربيع الأول سنة 1099 هـ.

تونس، دار الكتب الوطنية رقم 13958/1 (2126/1 أحمدية) وشرحها جماعة من معاصريه وتلاميذه.

أ ـ أبو الحسن علي الحريشي الفاسي ثم المدني (ت 1143 هـ) وسمّاها «**المواهب الربانية على العقيدة النورية**». ألّفها بطلب من أحد تلاميذ المؤلف أثناء لقائه به في موسم الحج من عام 1089 هـ.

تونس، دار الكتب الوطنية رقم 20161 (النورية 539)، 20163 (أوراق منه).

ب ـ أحمد بن أحمد الفيومي الغرقاوي المصري (ت 1101 هـ) وسمّاه: «**الخلع البهية على العقيدة النورية**».

تونس، دار الكتب الوطنية رقم 19.959 (النورية 539).

ـ القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 223 مجاميع مصطفى كامل.

ج ـ علي الزواوي الشريف أحد علماء المغرب. لم نقف على هذا الشرح إلا من خلال إشارة الغرقاوي حيث ذكر أن الشيخ النوري، مؤلف العقيدة، كتب إليه يخبره بذلك.

د ـ علي المؤخر الصفاقسي تلميذ المؤلف. تراجع ترجمته.

هـ ـ أحمد العصفوري التونسي، أحد أحباب العائلة النورية، تراجع ترجمته.

4 ـ **معين السائلين من فضل رب العالمين**. وهو في الأدعية.

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 7866/6 (1140/6 عبدلية).

5 ـ **مقدمة في الفقه**:

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 9026/2 (2195/2 عبدلية) شرحها أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (ت 1125 هـ) ومخطوطاته كثيرة منها:

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 6181/5 (عبدلية 10323/5)، 9160/1 (9964/1 عبدلية) 12.994 (6023 أحمدية)، 15.206 (3058 أحمدية).

ـ القاهرة، المكتبة الأزهرية، رقم 504 (4213).

6 ـ **مناسك الحج**:

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 2243 تاريخ نسخها سنة 1095 هـ، 4202، 15.207/1، (3065/1 أحمدية).

ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 2150 د.

وقفنا لها على شرحين:

أ ـ **شرح محمد بن يوسف الكافي** (ت 1380 هـ) وسمّى شرحه: (هبة الناسك على تأليف الشيخ علي النوري في المناسك)، طبع بمصر 1330 هـ / 1912 م.

ب ـ **شرح محمد ماضور** (تراجع ترجمته في هذا الكتاب).

7 ـ **المنقذ من الوحلة في معرفة السنين وما فيها من الأوقات والقبلة**.

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 473/1، 630، 1367، 2594، 3866.

وطبعت بتونس سنة 1331 هـ.

8 ـ **الكلام في مسألتين تتعلقان بالسماع وقع الاختلاف فيهما بين فقهاء طرابلس.**

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 9964/2 (10100/2 عبدلية).

ـ تونس، مكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18078/3.

وطبع في بيروت، دار الغرب الإسلامي 1406 هـ / 1986 م بتحقيق محمد محفوظ.

9 ـ **فهرست مروياته.** وهي فهرست حافلة بناها على إجازته لتلميذه أحمد العجمي المكني. وذكر الشيخ عبد الحي الكتاني أنه ظفر بنسخة منها ووصفها بأنها في كراريس، واستنسخ منها نسخة. كما يفهم مما ورد في شجرة النور الزكية (457:1) أنه اطلع على نسخة منها.

10 ـ **إجازة ووصية** كتبها إلى تلميذه عبد الحفيظ بن محمد الطيب يوم الأحد 19 صفر 1111.

ـ القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 490 مجاميع.

11 ـ **وله فتاوى مشهورة** مثل فتواه في تحريم الدخان وغيرها.

مصادر:

ـ الأعلام 14:5.
ـ برنامج المكتبة العبدلية 155:1، 169، 80:3، 171، 245، 387:4.
ـ بروكلمان 461:2، (ملحق) 698:2.
ـ تراجم المؤلفين 49:5 — 62.
ـ الحلل السندسية 122:3 — 125.
ـ ذيل بشاير أهل الإيمان ص 127 — 129.
ـ شجرة النور الزكية 321:1 — 322، 457.
ـ فهرس الخزانة التيمورية 284:1.
ـ فهرس الخزانة العامة بالرباط ق 2 ج 14:1، ق 3 ج 171:1.
ـ فهرس الفهارس ص 673 — 675.

- فهرس الكتبخانة الخديوية 1:99.
- فهرس الكتب العربية المطبوعة (ج. م. ع 1926 — 1940) ص 94.
- فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 1:15.
- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية المجلد الأول / مصطلح الحديث: 83-84.
- فهرس مخطوطات مكتبة المتحف البريطاني 1:66.
- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية (علوم القرآن 110).
- فهرس المكتبة الأزهرية 2:369.
- محفوظ (محمد) علي النوري حياته وآثاره (ملتقى علي النوري لعلوم البحار نوفمبر 1976) ص 137 — 175.
- محفوظ (محمد) نفائس المكتبة النورية / مجلة الفكر س 7 ع 4 ص 339 — 340.
- معجم المطبوعات العربية ص 1873.
- معجم المؤلفين 7:201.
- نزهة الأنظار 2:163.

---

1 ـ هكذا حقق الأستاذ محمد محفوظ سلسلة نسبه مما وقف عليه من كتابات بخطه (ملتقى علي النوري ص 138).

2 ـ هذا لقبه الذي اشتهر به. وكان في أول أمره يتلقَّبُ أيضاً بـ «شطورو». ثم تخلّى عنه واكتفى بـ «النّوري».

3 ـ هكذا أرّخه صاحب «ذيل بشائر أهل الإيمان» وشجرة النور الزكية وفهرس الفهارس. أما مقديش ومصنفو فهارس المكتبة العبدلية فقد أرخوا بسنة 1117 هـ. وبالتاريخ الأول أخذ محفوظ والنيفر.

— 25 —
الشيخ زيتونة

محمد بن أحمد[1] زيتونة.

ولد بالمنستير سنة 1081 هـ. وبها نشأ وحفظ القرآن وأتي على بصره في صغره، وقيل: إن سبب فقده لبصره أنه ركب من تونس في مركب موسوق بالملح. وكان ذلك في شدة الشتاء فأثر في بصره فعمي، وقصد القيروان في أوليته وقرأ على شيوخها منهم محمد عظّوم. ثم قدم مدينة تونس فأخذ عن محمد الحجيّج الأندلسي ومحمد فُتاتة وعبد القادر الجبالي. وتصدّر بعدها للتدريس بالزيتونة فانتفع به جمع من الأعيان، قال الوزير ابن أبي الضياف «وكان للباي حسين بن علي الأول فيه محبّة كبيرة واعتقاد. وإذا دهمه أمر يبعث إليه ويستشيره، فكان إذا أتاه إلى باردو يخرج لتلقّيه ويأخذ بيده ويقوده ويجلس حذوه ولا يحضر معهما ثالث في الغالب».

وخرج للحج مرّة أولى سنة 1114 هـ فاجتمع بمصر بمحمد الزرقاني. ثم عاد وتولّى التدريس بالمرادية[2] وحجّ ثانياً سنة 1124 هـ فالتقى بسليمان الشبرخيتي وجاور بالمدينة المنوّرة وأقرأ بها التفسير. ثم رجع إلى تونس ولازم التدريس إلى آخر حياته.

قال ابن أبي الضياف: «كان يحفظ من سماع واحد، وله في ذلك حكايات عجيبة، كان يملي مصنّفاته على تلاميذه وهم يكتبونها تلقّياً من لفظه، فكان يملي ما يعجزهم كتابته».

ولم يزل طيّب الخبر حميد الأثر إلى أن توفّي يوم 5 ـ وقيل 6 ـ شوال عام 1138. ودفن بالزلاج قرب ضريح القاضي ابن عبد السلام.

لــه:

1 ـ **مطالـع السعود وفتح الودود على تفسير أبي السعـود محمد العمادي** شيخ الإسلام باسطنبول، وهي حاشية ضافيـة في 16 جزءاً[3] توسع فيها وأفاض الكلام في جميع العلوم التي لها تعلّق بالموضوع من نحو ولغة وبلاغة وتوحيد وأصول وفروع وإشارات إلى غير ذلك حتى أسرار الحروف، ابتدأها سنة 1110 هـ ـ وأتمها في ربيع الأول[4] 1127.

رأيت منها نسخة كاملة من نسخ المؤلف في 16 جزءاً بيعت بالكتبيين بثمن وافر، ومنها جزءان بالمكتبة العمومية[5] بالجزائر، والأول بالزيتونة[6] رقم 169، والأول أيضاً بمكتبتي الخصوصيـة[7] بآخر المقدمة، وبأوله تقريض أدبي من تحرير الشيخ محمد الخضّار. وهو من نسخ المؤلف تاريخه عام 1131 هـ بخط تونسي جميل محلّى برسوم وطوالع مزخرفة.

أظن أن بالخزانة الأحمدية بجامع الزيتونة[8] عدة أجزاء منه[9].

2 ـ **لمعـان السراج في إبداء بعض لطائف المعـراج**[10] أوله: سبحان الذي أسرى بعبده.. الخ. يخرج في 100 صحيفة تقريباً، رأيته عند بعض الكتبيين.

3 ـ **حاشية على الوسطى**، في جزئين موجودة[11].

4 ـ **شرح على السلم في المنطق.**

5 ـ **شرح على البيقونية.**

6 ـ **شرح على خطبة المطول.** منه نسخة بمكتبة صديقنا الفريق محمد بلخوجة بتونس[12].

7 ـ شرح على خطبة المختصر لسعد الدين التفتزاني[13].

مصادر:

ـ البشائر 132.

ـ ابن أبي الضياف 28:3.

ـ فهرس الزيتونة 115:1.

ـ عنوان الأريب 9:2.

الشيخ زيتونة

1081 هـ / 69 — 1670 م ـ 1138 هـ / 1726 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ لم تذكر المصادر اسم أبيه عدا ما جاء عند واضعي برنامج المكتبة العبدلية 155:1، وهو موافق لِمَا هنا. بينما سمّي في إيضاح المكنون وهدية العارفين «عبد الله» وتابعهما عليه جماعة من الباحثين مثل صاحبي معجم المؤلفين وتراجم المؤلفين، وكذا فهرست مكتبة ح. ح. عبد الوهاب.

2 ـ فات المؤلف أن يشير إلى الطريقة التي نال بها خطة التدريس بالمرادية حيث كان ذلك بعد فوزه على منافسه الشيخ محمد الخضراوي في مناظرة مشهودة بجامع الزيتونة.

كما فاته الإشارة إلى تولّيه بعد ذلك خطة الخطابة بجامع باب البحر وإحداثه كرسيًّا للوعظ به.

3 ـ في ترجمته عند واضعي برنامج المكتبة العبدلية 116:1 أنها في عشرين جزءاً، وفي ذيل البشائر: «جاوز نصفه (أي تفسير أبي السعود) في ستة عشر جزءاً في القالب الكبير، وتكمل إن شاء الله تعالى».

وبآخر الجزء الأول من الحاشية المذكورة (مخطوطة دار الكتب الوطنية رقم 7227) كتابة من المؤلف ذكر فيها ما اعترضه من عوائق الزمان عن إتمامه حتى أخذ بيده أمير تونس (حسين بن علي) سنة 1127 هـ وحمله على إتمامه بما نشطه به.

4 ـ لعلّ الصواب ربيع الثاني كما في برنامج المكتبة العبدلية. وهذا هو تاريخ بداية تبييض الحاشية بتشجيع الأمير حسين بن علي.

5 ـ الجزائر، المكتبة الوطنية رقم 354 و355.

6 ـ المكتبة العبدلية ورقمه بدار الكتب الوطنية 7227.

7 ـ دار الكتب الوطنية بتونس رقم 18017.

8 ـ يوجد منه بالمكتبة الأحمدية نسختان.

الأولى في 16 جزءاً أرقامها من 288 إلى 303 (دار الكتب الوطنية بتونس من رقم 10160 إلى رقم 10175).

والثانية منها تسعة أجزاء غير متتالية أرقامها من 304 إلى 312 (دار الكتب الوطنية

بتونس من 10176 إلى 10184).

9 ـ لها مختصر منه جزء مفرد في المكتبة الأحمدية بتونس رقمه 313 (دار الكتب الوطنية 10794).

10 ـ منه نسخة مبتورة الآخر بدار الكتب الوطنية بتونس رقمها 8372 (المكتبة العبدلية 5116).

11 ـ منه نسخة في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب رقم 29 (دار الكتب الوطنية بتونس 17929) وهو جزء مبتور الآخر.

12 ـ ينظر معالم التوحيد ص 301 هامش 1. وفيه يقول: «ويلوح أنه لم يتممه لأن النسخة الموجودة منه بمكتبتنا بها نقص من آخرها. وهكذا نسخة مكتبة جامع الزيتونة».

13 ـ فات المؤلف الإشارة إلى كتابين نسبهما له حسين خوجة في ذيل بشائر أهل الإيمان وهما:

8 ـ كتابة على ألفية ابن مالك. لم يكمل.

9 ـ أختام على عدة أبواب متفرقة من صحيح مسلم.

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ إتحاف أهل الزمان 104:2 — 105.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ بشائر أهل الإيمان ص 224 — 230.

ج ـ إضافات:

ـ الاعلام 132:6.

ـ إيضاح المكنون 498:2.

ـ بروكلمان (ملحق) 366:2.

ـ تاريخ معالم التوحيد ص 125، 301، 302.

ـ تراجم المؤلفين 437:2 — 442.

ـ شجرة النور الزكية 324:1، 325.

ـ عثمان الكعاك (مقال جريدة العمل 10/27 و 1963/11/3، محمد زيتونة المنستيري).

ـ فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 18، 44، 183.

ـ معجم المؤلفين 215:10.

ـ هدية العارفين 312:2.

— 26 —

قاره باطاق

محمد بن مصطفى[1] ويعرف بقاره باطاق[2].

من أبناء الجند التركي، نشأ في طلب العلم وتخصص في فنّ القرآن حتى برع واشتهر به، وأقرأ بالزيتونة مدة ثم رتبه الأمير حسين باي الأول بجامع محمد باي المرادي فأخذ عنه علم القراءات والتجويد خلق كثير. وتوفي أواسط القرن الثاني عشر[3].

لـه:

1 ـ **تحفة البررة، بقراءة الثلاثة المتممين للعشرة**[4].

2 ـ **الجواهر النضرة، والرياض العطرة، في متواتر القراءات العشرة**[5] كلاهما في علم القراءات.

مصادر:

ـ البشائر 177.

قاره باطاق
بعد سنة 1192 هـ / 1778 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ في هدية العارفين: محمد بن عبد الله.

2 ـ حلاه في هدية العارفين بـ «القاضي».

3 ـ ولي قضاء الحنفية سنة 1190 هـ وعزل عنه يوم السبت 24 ربيع الأول سنة 1192.

4 ـ منه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس رقم 13.948 (أحمدية: 588).

5 ـ منه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس رقم 14.393 (أحمديـة: 608) وعليها تعليقات وتقاريظ لجماعة من مشايخ العلم بتونس كالشيخ زيتونة والشيخ الخضراوي وغيرهما.

II ـ مصادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ ذيل بشائر أهل الإيمان ص 265 — 266.

ب ـ إضافات:

ـ الإتحاف 159:7 (ترجمة بيرم الثاني).

ـ إيضاح المكنون 244:1، 381.

ـ تراجم المؤلفين 51:4.

ـ صفحات من تاريخ تونس ص 192.

ـ معجم المؤلفين 135:11.

ـ هدية العارفين 344:2.

— 27 —

الحمروني (*)

قرن هـ 11 — 12 / قرن م 17 — 18

عبد الكريم بن محمد بن عبد العزيز الحمروني.

كان رجلاً صالحاً زاهداً. معنيّاً بالعلم وتحقيقه، منعوتاً بالولاية. وكان والده معروفاً بالصلاح كذلك.

والمرجّح أنه من علماء تونس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر[1].

لـــه:

1 ـ **اختصار كتاب المجيد، في إعراب القرآن المجيد** للبرهان الصفاقسي. منه نسخة في دار الكتب الوطنية رقمها 4930 (العبدلية 77).

مصادر:

ـ برنامج المكتبة العبدلية 19:1.
ـ بروكلمان (ملحق) 360:2.
ـ تراجم المؤلفين 173:2.

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة واكتفى بذكره وذكر كتابه الوحيد في الفهرسين.

(1) ذكر بروكلمان أنه من علماء القرن الثالث عشر. وما جاء في خاتمة النسخة من أنها «تمّ نسخها ومقابلتها بالمسودة سنة 1148 هـ»، وكذلك تاريخ تحبيسها سنة 1188 هـ يبعدُ ما ذكره بروكلمان.

— 28 —

ابن المقدّم

عبد الرحيم بن عمر بن المقدّم [1] الشريف. ولد بنفطة في بيت علم توارث وظيفة القضاء ببلدهم مدة طويلة، ولم يزل لهم عقب بها يعرفون بعشيرة المقدميين.

وتولّى هو خطة القضاء كسلفه منتصف القرن الثاني عشر. ولم نقف على تاريخ وفاته.

لــه:

1 ـ **الجوهر اليتيم في تفسير القرآن العظيم**، [2] يقع في أربعة أجزاء. قيل لي إنه موجود بخط يده في بعض الخزائن الخاصة بنفطة.

2 ـ **التنقيح من كتاب الله الصحيح** بحث مستوفى في بلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه، في جزء كبير، منه نسخة ـ وأظنها الوحيدة ـ بخط يد مؤلفه في مكتبتي الخصوصية[3].

ابن المقدّم

. . . ـ ق 12 هـ / 17 - 18 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ في إيضاح المكنون وتراجم المؤلفين: المقدمي.

2 ـ ذكره في إيضاح المكنون ولم يذكر مستنده.
3 ـ مخطوطة مكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18606.

II ـ مصادر:

أ ـ إضافات:

- إيضاح المكنون 385:1.
- تراجم المؤلفين 356:4.
- فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 163.

— 29 —

القُبّي الشريف
حي 1230 هـ / 1815 م

محمد بن عمر القبّي الشريف.

كان من عدول الحاضرة أواسط القرن الثالث عشر، ولبيته عقب معروف بتونس.

له:

1 ـ **الكنز المكنون في طريق أبي نشيط من رواية قالون** انتهى من تحريره سنة 1230 هـ أوله «الحمد لمن منَّ علينا بكتابه العزيز» ـ وهو يخرج في نحو مائة ورقة، رأيته عند بعض الكتبيين.

— 30 —

عزوز

محمد بن محمود عزوز[1].

من ذرية الشيخ الولي علي عزوز، ولد بزغوان حيث مسكن أوائله وقرأ بالزيتونة في تونس ثم تولى إمامة جامع بلده وقضائه، وكانت وفاته في سنة 1250[2] أو في التي بعدها، ودفن بزاوية جدّه[3].

لـه:

ـ **تفسير المعوذتين**، فرغ منه عام 1245 هـ، وهو يقع في بضع كراريس رأيته بخطه في خزانة الشيخ الصادق النيفر[4].

عزوز
000 ـ 1250 هـ/ 1835 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ ينظر تمام نسبه في الاتحاف 29:8.

2 ـ حدد صاحب الاتحاف وفاته في 14 رمضان سنة 1250 (14 جانفي 1835).

3 ـ ذكر صاحب الاتحاف أنه دفن في خلوة جدّه بتونس.

4 ـ لم يرد ذكرها في فهرست هذه المكتبة. وهي مخطوطة بخط اليد تحتفظ الخزانة العامة بالرباط بنسخة منها تحت رقم 2417. ك.

II ـ مصادر:

ـ إتحاف أهل الزمان 29:8.

— 31 —

الشقانصي

أحمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر القرشي الشقانصي[1] نسبةً إلى شقانص[*]، موضع بضواحي بلد المنستير.

ولد بالقيروان، وتعاطى تعليم القرآن بها. ومهر في القراءات، وباشر خطة الإشهاد العام. وتوفّي ما بين 28 و1235 هـ. وله عقب بمدينة تونس.

لـه:

1 ـ **الأجوبة المدقّقة على الأسئلة المحقّقة** جمع فيه من مسائل القراءات وعلوم القرآن جملةً وافرة وضعها في صورة أسئلة وأجوبة تبلغ 505 سؤال في ثلاثة أجزاء، يوجد منها بالزيتونة الأول والثاني بخطّ المؤلف[2].

2 ـ **عمدة القارىء والمقرئين** ألّفه سنة 1180 هـ في الردّ على من نازعه الجمعَ بين قراءات مختلفة في ختمة واحدة. موجود بالقيروان[3].

3 ـ **نصرة أهل الإيمان والإسلام**[4].

4 ـ **الثواقب** (؟)[5].

5 ـ **السيوف الهندية**[6].

وله غير ذلك مما لم تبلغنا تسميته[7].

مصادر:

ـ فهرس المكتبة الزيتونية132:1.
ـ مورد الظمآن 284:1.

(*) شقانص ـ وينطق بها أهل الجهة الآن «سقانص» ويرسمها البكري «صقانص». موضع حذو المنستير كان به قديماً قصر كبير محرس رباط. البكري ص 84.

الشقانصي
000 ـ نصف أول ق 3 هـ/ 19 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ كنيته أبو العباس كما جاء في فهرس المكتبة العبدلية.

2 ـ مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت عدد 6126 و 6127 وأصلهما من العبدلية تحت عدد 381، 382.

3 ـ منه نسخة ختمها بتذييل في دار الكتب الوطنية بتونس رقم 10200. وأصلها من المكتبة الأحمدية تحت رقم 618 وأخرى رقمها 21.427.

4 ـ اسمه الكامل «نصرة أهل الإيمان في تنزيل القرآن» كما جاء في مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس رقم 10201. وأصلها من المكتبة الأحمدية رقم 619. ومعه كتاب آخر له. انظر التعليق(7).

5 ـ اسمه «الشهب الثواقب» كما جاء في مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس وهو في مجلدين رقم 10202، 10203 وأصلهما من المكتبة الأحمدية رقم 620 — 621.

6 ـ لم نقف على ذكره عند غير واضعي فهرس المكتبة العبدلية.

7 ـ وقفنا له على كتاب اسمه «الحجة الباهرة» في القراءات أيضاً، منه نسخة بدار الكتب الوطنية رقم 10201. وأصلها من المكتبة الأحمدية رقم 619. وفي نفس المجموع نجد نسخة من الكتاب الثالث للشقانصي ينظر التعليق رقم (4) أعلاه.

II ـ مصادر:

أ ـ إضافات:

ـ إيضاح المكنون 392:1، 133:2، 651.

ـ بروكلمان. ملحق 878:1.

ـ تراجم المؤلفين 201:3، 203.

— 32 —

المؤدب الطرابلسي

000 ـ كان حياً 1255 هـ

محمد بن مصطفى بن الحاج إبراهيم شهر المؤدب الطرابلسي، كان يعيش في القيروان، ويتعاطى بها صناعة تعليم الصبيان، ويباشر خطة الإشهاد العام.

ومات في العشر الأخير من القرن الثالث عشر. ودفن بمقام الصحابي أبي زمعة البلوى.

لــه:

1 ـ «**جامعة النظائر**» وهي منظومة في 605 أبيات من بحر الرجز في مختلف القراءات ورسم المصاحف وعدد آيات القرآن وكلماته وحروفه ومتشابهه وغير ذلك، حررها في عام 1255 هـ رأيتها بخطه عند بعض الكتبيين.

2 ـ **منظومة أخرى في التوسل** بسور وآيات من القرآن، موجودة في بعض الخزائن الخصوصية بالقيروان.

— 33 —

البارودي(*)

000 ـ 1304 هـ/ 1887 م

محمد بن أحمد(1) البارودي.

فقيه حنفي، مقرىء وخطيب، تولّى خطة «خطيب أول» بجامع باردو من ضواحي تونس.

توفّي في 27 شعبان سنة 1887/1304.

لـه:

1 ـ **تعليم القاري** أتمّ تأليفه يوم السبت 25(2) جمادى الأولى سنة 1293، جمع فيه ما تفرّق من أحكام التجويد، كما جاء في مقدمته.

منه نسخة بمكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقمها 18.746.

وطبع بتونس بمطبعة الدولة التونسية سنة 1294 هـ.

مصادر:

ـ برنامج المكتبة العبدلية 138:1 — 139.

ـ تراجم المؤلفين 96:1.

ـ صفحات من تاريخ تونس ص 173.

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة وذكره في فهرسي المؤلفين والمصنفات.

(1) في صفحات من تاريخ تونس: ابن حسن. وما أثبتناه هو ما ورد في صدر كتابه.

(2) في برنامج العبدلية: 15 جمادى الأولى وهو تحريف بالمقارنة بما جاء في آخر كتابه.

- فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 9.
- معجم المطبوعات العربية ص 513.
- معجم المؤلفين 243:8.
- منشورات المطبعة الرسمية التونسية / مجلة ايبلا [1962] ص 164 بالفرنسية.
- هدية العارفين 385:2.

— 34 —

الأزرق الأربسي(*)

... - ...

محمد - بالفتح - بن مبارك، عرف بالأزرق التنوخي الأربسي.

لـــه:

1 - تفسير البسملة.

(*) هكذا ذكره المؤلف في فهرسي المؤلفين والمصنفات ولم نعرفه إلا من خلالهما - ولم نقف على خبر له في المصادر التي اطلعنا عليها - كما لم يحدد عصره.

الفصل الثالث

الحديث وعلومه

— 35 —
ابن أبي عمران[1]

خالد بن أبي عمران ـ واسمه زيد ـ التجيبي مولاهم، أبو محمد، وقيل أبو عمر. كان أبوه (أبو عمران) من التابعين الوافدين على إفريقية غازياً مع بعض الجيوش العربية. ويظهر أن مَقْدَمه كان إمّا مع جيش حسان بن النعمان الغساني ـ حدود سنة 73 هـ ـ أو مع موسى بن نصير سنة 79 هـ. وبعد أن شارك في عدة حروب استقر آخراً بمدينة تونس. واختطّ بها داراً لسكناه. وكان ممن صحب قديماً الصحابي الكبير عبد الله بن سلام(*) وسمع منه الحديث في زمان عثمان بن عفان. ذكر ذلك سحنون عن ابن وهب في كتابي البيعة[2].

وولد خالد بعد قدوم أبيه بيسير. ونشأ في طلب العلم وقرأ على أبيه وغيره من حَمَلة الحديث. ثم رحل إلى الحجاز فسمع من جماعة من وجوه التابعين منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ونافع مولى ابن عمر، وسليمان بن يسار، وغيرهم.

حكى عن نفسه أنه لما قدم المدينة أتى القاسم بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر وأخذ يسألهما عن مسائل فأبيا عليه أن يجيباه، فقال لهما خالد: إنا بموضع جفاء في هذا المغرب. وإن أصحابي حمّلوني هذه المسائل وقالوا: إنك تقدم على المدينة وبها أبناء أصحاب رسول الله، فسَلْهم لنا، فإنكما إن لم تفعلا

(*) عبد الله بن سلام، صحابي مشهور أسلم بين يدي رسول الله ﷺ وهو أسماه عبد الله. وكان يسمّى في الجاهلية حُصَيْناً. وشهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب ثم صحب عثمان وعليّاً، وتوفي سنة 43 هـ. راجع ترجمته في سيرة ابن هشام والإصابة لابن حجر 2: 78.

كانت الحجة لهم، فقال له القاسم: سل؟ فسألهما خالد فأجاباه فيما سألهما فيه. وقد أورد سحنون بعضاً من هذه المسائل في مدونته.

وروى عن خالد غير واحد من أئمة المشرق مثل اللّيث بن سعد، وعبد الله ابن لهيعة، وحَيَوَة بن شريح، ويحيى بن سعيد الأنصاري وسواهم.

وعاد خالد إلى إفريقية ـ أواخر القرن الأول ـ يحمل فقهاً كثيراً ورواية واسعة نقلها عنه جماعة من أبناء البلاد مثل عبد الملك بن أبي كريمة وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وسواهما. وكان أكثر إقامته بمدينة تونس كما أسلفنا.

ولما ثار الجند العربي على الوالي يزيد بن أبي مسلم سنة 102 هـ أرسل أهل إفريقية خالداً إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك ليخبره باضطراب أحوال المغرب وفساد سيرة العمّال، فلما وصل دمشق أدخل على الخليفة فأدْنى مجلسه وقبل قوله واستشاره فيمن يوليه الثغر الغربي فقبل إشارته، ورجع خالد وقد نجحت رسالته.

وكان لخالد ـ ولأبيه من قبله ـ مواقف مشهورة في قمع ثورات خوارج البربر بإفريقية، ومقامات معلومة في تأييد الدّين. وقد شهد كلّ من الأب والابن مغازي كثيرة أبليا فيها البلاء الحسن.

حكى معاصره زفر الصدفي: أن الصفرية لما خرجوا يوم القرن والأصنام سنة 124 هـ على الأمير حنظلة بن صفوان نزل إليهم خالد بن أبي عمران فبرز إليه ابن عمّ عبد الواحد الزناتي الصفري، رئيس القوم، فحمل عليه خالد وقتله وأثخن الطعن في جموعه.

أما علمه وفقهه بالحديث فقد التقت كلمة أصحاب التراجم قديمهم وحديثهم أن خالد كان ثقة مأموناً فيما يروي. قال ابن سعد في طبقاته: «كان ثقة وكان لا يدلّس». وقال ابن يونس: «كان فقيه المغرب ومفتي أهل مصر» وذكره ابن حِبّان في الثقات.

وروى له مسلم في صحيحه وكذا أبو داود والترمذي والنسائي، وروى له مالك بسند يحيى بن سعيد عن «شيخ بالمغرب» يعني خالد بن أبي عمران(*).

(*) طبقات أبي العرب ص 246.

وحدث عبد الملك بن أبي كريمة التونسي ـ قال: «صحبت خالداً بن أبي عمران وأنا صغير فمشيت خلفه بقرطاجنة فسكتَ وسكت. ثم التفت إليَّ وقال: يا بني إن الصحبة لها أمانة ولها خيانة، وأنا أذكر الله في السر، فاذكر الله؟».

وتولّى خالد قضاء إفريقية[3] قلّده إياه الأمير عبيد الله بن الحبحاب مجدد بناء جامع الزيتونة من سنة 116 هـ إلى 123 هـ.

وكانت وفاة خالد إما في سنة 125 أو في 127. وقال بعضهم في 129. ونظن أن الخلاف حصل من الشبه بين السبعة والتسعة في الرسم. ومن المحتمل أنه دفن قريباً من مكان ضريح علي بن زياد حيث كانت أقدم مقبرة لمدينة تونس.

والذي يلوح لنا ـ والأمر يحتاج إلى تدقيق ـ أن جلّ ما أورده ابن عبد الحكم في تاريخه الجليل من أخبار إفريقية والمغرب هو منقول بالرواية عن اللّيث بن سعد وعن ابن لهيعة. وتقدم لنا أن كلا الرجلين ممن أخذ الحديث عن خالد بن أبي عمران. ولذا يجوز نسبة تلك الأخبار الواردة في غزوات إفريقية والمغرب وحروبها ووقائعها إلى مصدرها الأصلي نعني خالداً بن أبي عمران. ولا ننسى أنه ـ وأباه من قبله ـ شهدا عياناً جانباً كبيراً منها لا سيما الحوادث الجارية ما بين قدوم حسان بن النعمان إلى آخر أيام موسى بن نصير. ثم من جاء بعدهما من الولاة إلى آخر القرن الأول أو بعده بقليل.

فإذا صح هذا الاحتمال[4] ـ وهو الغالب على ظننا ـ فإن التفاصيل المهمّة التي يوردها ابن عبد الحكم ويسندها إلى اللَّيث بن سعد وإلى عبد الله بن لهيعة هي في الحقيقة من حكاية صاحبنا خالد بن أبي عمران وروايته، ومما يزيد هذا الاحتمال وثوقاً هو أن ابن عبد الحكم أسماه بالذات في كثير من المواضع وأثنى على علمه وفضله[*] وربما يجوز أيضاً أن يقال كذلك عما يرويه الواقدي من أخبار إفريقية والمغرب في مغازيه.

ومهما يكن فإن خالداً كان بلا ريب من أقدم المصادر وأوثقها للأخبار المنقولة عن فتوح العرب لبلاد إفريقية والمغرب.

(*) تاريخ ابن عبد الحكم ص 193، 215، و 277، 318، 319.

لــه:

1 ـ **ديوان كبير في الحديث**[5] جمع فيه ما رواه مباشرة عمن ذكرنا من رواة الحديث بالمدينة وكلّهم من التابعين.

قال أبو العرب: هو كتاب كبير حدثني به عبد الله بن أبي زكرياء الحفري عن أبيه عن عبد الملك بن أبي كريمة عن خالد بن أبي عمران قال: «سألت القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار».

مصــــادر:

ـ أبو العرب 245.
ـ المالكي ص 14 قفا.
ـ الوافي بالوفيات خط بالزيتونة.
ـ تهذيب التهذيب 3 :110.
ـ الخلاصة للخزرجي ص 87.
ـ التغري بردي 1 :310.
ـ الجمع لابن القيسراني 123.
ـ حسن المحاضرة للسيوطي 1 :133.

ابن أبي عمران
ق هـ 1/7م ـ ق 2/8م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ نشر المؤلف هذه الترجمة في مجلة الثريا س (1) ع (1) (جوان 1949) 5، 6.
2 ـ هكذا جاءت العبارة في طبقات أبي العرب ص 247.
3 ـ هذا رأي بعض مؤرخي المشرق مثل الذهبي في تاريخ الإسلام ومن نقل عنه. لكن مؤرخي إفريقية والقيروان لم يشيروا إليه بالمرة. وغاية ما ذكره المالكي أن عبيد الله ابن الحبحاب عرض عليه قضاء إفريقية فهرب.
4 ـ المعلوم أن كل أخبار ابن عبد الحكم موصولة السند. ولم نجده يسند عن خالد ابن

أبي عمران إلا في خمسة مواضع منها سند ذكر ثلاث مرات لنفس الخبر.

5 ـ الأولى أن يقال: «ديوان كبير في مروياته ومسائله عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وسليمان بن يسار». وقد نقل سحنون في المدونة نقولاً كثيرة أسندها عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد وعن سالم بن عبد الله مجتمعين (المدونة 1 :25، 3 :51، 52، 53) بينما أسند عن سليمان بن يسار منفرداً (المدونة 42:3) وكذلك ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص 193، 318) والمطلع على ما ورد في المدونة وفتوح مصر قد يذهب إلى أن ابن أبي عمران خص مروياته عن الأولين بتأليف مستقل. كما خص بتأليف آخر سليمان بن يسار، لولا ما جاء في عبارة ابن أبي العرب في الطبقات بعد ذكره لرواياته عن هؤلاء الثلاثة من التابعين «وله عنهم تأليف كبير».

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

- ـ رياض النفوس 1 :162 - 166.
- ـ الوافي بالوفيات: 13 :274.

ب ـ طبعات جديدة:

- ـ حسن المحاضرة 1 :299.

ج ـ إضافات:

- ـ تاريخ الإسلام الذهبي 3 :66.
- ـ تاريخ إفريقية والمغرب ص 100 - 101.
- ـ التاريخ الكبير ج 1 ق 1 :163.
- ـ تراجم المؤلفين 1 :222 - 223.
- ـ الجرح والتعديل ج 1 ق 2 :345.
- ـ شذرات الذهب 1 :176.
- ـ طبقات ابن خياط ص 295.
- ـ طبقات ابن سعد 7 :521.
- ـ العبر للذهبي 1 :169.
- ـ الكاشف للذهبي 1 :272.
- ـ مشاهير علماء الأمصار ص 188.

— 36 —
ابـن أنعـم

زياد بن أنعم بن ذَرِي بن يحمد بن معد يكرب الشعباني(*) المعافري أبو عبد الرحمن. وأبوه أنعم ممّن حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. وهو والد عبد الرحمن الآتي. كان زياد من خيرة التابعين وثقاتهم. لقيَ كثيراً من الصحابة وروى عنهم الحديث مثل عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبّاس. وصحب أبا أيّوب الأنصاري وحدث عنه كثيراً. وحضر معه غزو القسطنطينية سنوات 45، 49، 50 هـ.

حكى زياد قال: شهدت الغزو مع أبي أيوب، فلما حضر غداؤنا أرسلنا إليه وإلى أهل مركبه، فأتى أبو أيوب وقال: دعوتموني وأنا صائم، وكان عليَّ من الحق أن أجيبكم. سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «للمسلم ستُّ خصال واجبات فمن ترك شيئاً منها فقد ترك حقاً واجباً لأخيه عليه إذا دعاه أن يجيبه، وإذا لقيه أن يسلّم عليه، وإذا عطس أن يشمته وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يحضر جنازته، وإذا استنصحه أن ينصحه».

سكن مصر وأقام بها إلى أن جهز عبد الملك بن مروان جيشاً جرّاراً لنجدة حسّان بن النّعمان حينما كان يحارب الرّوم والبربر عصابة الكاهنة، فخرج زياد بعياله مع الجند. وفي الطريق إلى إفريقية تزايد له عبد الرحمن في ناحية برقة سنة 75 هـ. ولذلك اعتبر عبد الرحمن أول مولود للعرب بإفريقية.

(*) نسبة لشعبان بطن من حمير.

وحضر زياد مواقف كثيرة منها حصار قرطاجنة، كما حضر حروب موسى بن نصير في إفريقية والمغرب. ولا يبعد أن يكون غزا معه الأندلس، واستقرّ ـ آخر الأمر ـ بالقيروان، واختطّ بها داراً بناحية باب نافع. وكان من سُنّة أعيان العرب الفاتحين أنهم يختطّون عند نزولهم داراً لسكناهم في قيروانهم الجديد، وأن يقيم المقتدر منهم مسجداً في الحي الذي حلّ به.

ولا نعلم من أخبار زياد أكثر ممّا ذكرنا سوى أن المؤرخ ابن التغري بردي(*) نسب إليه رسالة دوّن فيها ما روى من الحديث عن الصحابي الكبير عبد الله بن عباس، وقد حدّث بها أبو الحسن البهلول بن صالح التجيبي الإفريقي[1]. ولم ينص ابن التغري بردي على المصدر الذي نقل عنه. وإذا ثبت أن زياد بن أنعم دوّن جزءاً فيما روى عن ابن عبّاس فيكون تأليفه هذا من أقدم ما جمع في الحديث على الإطلاق.

ومن فوائد مروّياته في مسنده هذا ما نقل محمد بن سحنون[2] قال: حدّثنا أبو الحجاج ـ واسمه سكن بن ثابت ـ قال: حدثنا عبد الله بن فرّوخ عن عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم المعافري عن أبيه زياد بن أنعم قال: قلت لعبد الله بن عباس: معاشر قريش! هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي، تجمعون فيه ما اجتمع، وتفرّقون فيه ما افترق هجاءً بالألف واللّام والميم والقطع والشكل، وما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله النبيّ محمداً ـ ﷺ ـ؟ قال: نعم. قلت: فمن علّمكم الكتاب؟ قال: حرب بن أمية. قلت: فمن علّم حرب بن أمية؟ قال: عبد الله بن جدعان. قلت: فمن علّم عبد الله بن جدعان؟ قال: أهل الأنبار. وقد أخبرت أن الأنبار لما دُخِلَتْ وُجِدَ فيها موضع ـ قال زياد ـ فيه أربعون غلاماً يتعلّمون الكتابة والخط[3].

والأمر الذي لا شكّ فيه هو أن ابن عبد الحكم أسند جانباً من الأخبار الواردة في فتح مصر أكان عنوة أو صلحاً إلى زياد بن أنعم بواسطة ابنه عبد الرّحمن(**).

(*) النجوم الزاهرة 2 :271.

(**) فتوح مصر ص 188.

قال ابن عبد الحكم: حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: سمعت أشياخنا يقولون: إن مصر فتحت بغير عهد ولا عقد. قال عبد الرحمن: منهم أبي يحدّثنا عن أبيه. وكان ممّن شهد فتح مصر.

والظن الغالب أنّ زياداً مات على رأس المئة الثانية أو قريباً من ذلك التاريخ. ودفن بالقيروان في مقبرة باب نافع.

المصـــادر:

ـ أبو العرب 21 ـ المالكي 11، الأنساب للسمعاني ورقة 334 وجه، الميزان للذهبي 1 :355، معالم الإيمان 1 :164.

زياد بن أنعم
استدراكات وإضافات
000 ـ ق 2 هـ 8 م

I ـ التعاليـق:

1 ـ عبارة ابن التغري بردي في حوادث سنة 233 هـ «.. وفيها توفي أبو الحسن بهلول بن صالح التجيبي. كان إماماً حافظاً. ومن رواياته عن ابن عباس رسالة زياد بن أنعم».

وواضح أن العبارة لا تخلو من غموض على صورتها تلك لأنه مستبعد جدّاً أن يروي التجيبي مباشرةً عن زياد بن أنعم لفارق زمني كبير بينهما حوالي قرن ونصف (توفي التجيبي سنة 233 وزياد بن أنعم صدر المائة الثانية).

2 ـ كان الأولى لو أمكن للمؤلف نقل رواية البهلول بن عبيدة المتصلة بابن أنعم وابن عباس كما ساقها ابن الأبار في التكملة 2 :773 - 774 ونصّها «.. ثنا يحيى بن محمد ابن خشيش قال: ثنا عثمان بن أيّوب المعافري التونسي قال: ثنا بهلول بن عبيدة التجيبي عن عبد الله بن فروخ عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عباس: معشر قريش خبّروني عن هذا الكتاب العربي... الخ».

3 ـ ورد هذا الخبر كذلك في نكملة الصلة 2 :773 - 774.

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ رياض النفوس 1 :129.

ب ـ طبعات جديدة :

ـ معالم الإيمان 1 :220.

ـ ميزان الاعتدال 2 :87.

ج ـ إضافات :

ـ التاريخ الكبير ج 2 ق 1 :344.

ـ الجرح والتعديل ج 2 ق 1 :525.

ـ الإكمال 3 :382، 4 :545 - 546.

ـ تهذيب التهذيب 3 :354.

ـ تقريب التهذيب 1 :265.

— 37 —

ابـن سعيـد

ومن مشاهير التابعين الداخلين إفريقية من حملة العلم ورواة الحديث يحيى ابن سعيد بن قيس بن قهد الأنصاري، أبو سعيد. وجدّه قهد[1] من الصحابة المعروفين، كانت ابنته خولة متزوجة من حمزة بن عبد المطلب، وولد يحيى بالمدينة المنوّرة وروى الحديث عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد وعمرة بنت عبد الرحمن، وروى عنه غالب الأيمة المجتهدين: مالك بن أنس وأبي حنيفة النعمان، والأوزاعي، واللّيث بن سعد، والزهري، وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وغيرهم كثير.

ومن يرجع إلى كتاب «فتوح مصر وأخبارها» لابن عبد الحكم يرى كثرة إسناد الأخبار إليه في أحداث فتوح مصر والمغرب والأندلس كما يرى استفتاء كبار الفقهاء له كمالك بن أنس واللّيث بن سعد وغيرهما، وجوابه كتابة لبعضهم في كيفية توزيع الجزية على من تجب عليه من أهل الذمة وما إلى ذلك من المسائل النازلة في عصر انتشار سلطان المسلمين.

وكان يحيى فقيهاً محدثاً ثقة مأموناً، قيل: إن جملة ما كان يحمله نحو الثلاثمائة حديث يسندها إلى وجوه من الصحابة والصحابيات.

دخل يحيى إفريقية على رأس القرن الثاني للهجرة أرسله إليها الخليفة عمر ابن عبد العزيز عاملاً على الصدقات خاصة، ولا يبعد إن كان من جملة التابعين الموجهين لتفقيه الأفارقة في الدين، ونزل يحيى بمدينة تونس وجالس بها خالد بن أبي عمران التجيبي المتقدم وأخذ كل واحد منهما عن صاحبه كما سمع منه خلق

كثير من أبناء تونس في مدة إقامته بينهم ودوّنوا عنه.

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن رواية الإفريقيين للحديث أكثر ما كانت بطريق المدنيين وسندهم، وربما كان هذا هو السبب الأصلي في ميلهم بعد إلى الأخذ بآراء أهل المدينة وإيثار الكثير منهم لمذهب مالك بن أنس وأصحابه عما سواه.

قال أبو العرب: حدثت عن سحنون عن ابن وهب عن مالك بن أنس قال: «أخبرني يحيى بن سعيد عن شيخ حدثه بالمغرب قال: «إذا بارك الله لعبدٍ في حاجة أذن له فيها بالدعاء» زاد أبو العرب أن هذا الشيخ المرويّ عنه هو خالد بن أبي عمران.

ومهما يكن من أمر فقد سار يحيى في إفريقية سيرة الأبرار الأخيار الساعيين لإعلاء كلمة الدين، العاملين على الترغيب في مبادىء الإسلام العلياء، السالكين مع أبناء البلاد سبل العفاف والنزاهة في القول والعمل.

حكى الإخباريون «أنه فضلت ليحيى في سنة من السنين فضلة من الصدقة بتونس ولم يجد لمن يعطيها فاشترى خادماً سوداء وأعتقها وأعطاها أربعين شاة تستعين بها في الحياة».

وحكى أبو العرب قال: «كنت في جامع مدينة تونس ـ جامع الزيتونة ـ مع بعض العلماء من أهلها فقال لي: هذا الباب، وأشار إلى باب مغلق لا يفتح هو باب يحيى بن سعيد ومنه كان يدخل إذ كان بها» ولم يبين أبو العرب أي جهة من جهات الجامع كان هذا الباب ليتيسر معرفته الآن.

وخلاصة القول: أن يحيى أقام في مدينة تونس أكثر من عشر سنين بث في أثنائها بين أبناء البلاد علماً إسلامياً كثيراً وأخلاقاً فاضلة ثم إنه رجع بعد ذلك إلى المدينة قبيل سقوط خلافة بني أمية. وتولّى القضاء بدار الهجرة مدة إلى أن ظهرت الدولة العباسية فقصد أبا جعفر المنصور واشتكى إليه احتياجه فاستقضاه على مدينة الهاشمية قرب الكوفة في العراق، فاستقر يحيى هنالك إلى أن توفي في سنة 143 هـ (720 م).

لــه:

1 ـ **مسند في الحديث**[2].

مصــادر:

ـ أبو العرب 25 و 245 و 246 ـ المالكي 1 :13 قفا.

ـ تاريخ ابن عبد الحكم 100 و 108 و 154 و 228، النجوم الزاهرة 1 :251.

ـ تهذيب التهذيب 11 :221 ـ طبقات الحفاظ للسيوطي 1 :26.

ـ تذكرة الحفـاظ للذهبي 1 :122 ـ الخلاصـة للخزرجي 364 ـ ابن القيسـراني 561 وغير ذلك.

يحيى بن سعيد
143 هـ/ 760 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ في الأصل: فهد ـ بالفاء ـ وصوابه قهد بالقاف المفتوحة (إكمال الإكمال 7 :77) ويبدو أن المؤلف نقل نسب يحيى هذا عن رياض النفوس. وقد رده ابن حجر نـاقلاً عن البخاري أنه لا يصح. وذكر أنه: «يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل... الأنصاري» ينظر رياض النفوس 1 :147 تعليق رقم 1.

2 ـ لم يذكر له المؤلف مؤلفات. وقد جمع له إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت 282 هـ) **مسنداً في الحديث** هو من مرويات أبي بكر بن خير في فهرسته كما ذكـره القاضي عياض (المدارك 4 :292) ضمن مؤلفات إسماعيل القاضي.

II ـ مصـادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ رياض النفوس 1 :147 - 148.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ تذكرة الحفاظ 1 :137 - 139.

ج ـ إضافات:

ـ **الأعلام** 8 :147.

ـ تاريخ بغداد 14 :101 - 106 .
ـ التاريخ الكبير ج 4 ق 2 :275 - 276 .
ـ تقريب التهذيب 2 :348 .
ـ تهذيب الأسماء واللغات 2 :153 - 154 .
ـ الجرح والتعديل ج 4 ق 2 :147 - 149 .
ـ جمهرة الأنساب ص 349 .
ـ طبقات خليفة بن خياط ص 270 .
ـ فهرست ابن خير ص 148 .
ـ الكاشف عن رجال الكتب الستة 3 :256 - 257 .
ـ مشاهير علماء الأمصار ص 80 .

— 38 —
ابـن أنعــم

عبـد الـرّحمن بن زيـاد بن أنعم ويكنّى أبـا أيـوب أو أبـا خـالـد، ويعـرف بالإفريقي. وقد تقدّم بقية نسبه في ترجمة أبيه وتقدّم أنه ولد سنة 74 هـ أو 75 هـ، والجند العربي داخلٌ إلى إفريقية.

ونشأ عبد الرحمن ما بين القيروان وتونس. واعتنى من صغره برواية الحديث فسمع منه جـانباً كبيـراً على مَن كان في زمـانه من التّـابعين الوافـدين على البلاد لا سيّما على الفقهاء العشرةالذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز مدّةَ خلافته لإرشاد أبناء المغرب إلى محاسن الإسلام حسبما ذكرنا ذلك فيما سبق[1]. وقد سمّى أبو العرب في طبقاته نحوَ عشرين تابعيًّا مِمّن دخـل إفريقية في عصر الفتوح العـربية الأولى. ثم قال: «وهؤلاء كلّهم روى عنهم عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم». ثم قال: وكلّ من روى عنه عبد الرّحمن بن زياد فهو من أهل إفريقية أو ممّن دخلها إلاّ مسلم ابن يسار(*).

وعلى رأس المائة الثانية للهجرة رحل عبد الرّحمن إلى المشرق، فأخذ عن أعيـانٍ من أهل العلم والحـديث في مصر والشـام والعـراق. وصحب أبـا جعفـر المنصور العباسي في مزاولة العلم بالكوفة.

ولقي عبد الرّحمن بالعراق جمـاعةً من العلمـاء أخذ عنهم. كمـا روى عنه جماعةٌ كبيرة من أعيان محدثي المشرق منهم: سفيان الثوري وعبد الله بن لهيعة،

(*) أبو العرب ص 21 و24.

وعبد الله بن وهب، وابن المبارك[2] وغيرهم.

ولدينا أبيات شعرية أرسلها من العراق إلى ولده وأهله بإفريقية حين عزم على الرجوع إلى بلده ونصّها[3].

ذكـرتُ القيروانَ فهـاجَ شـوقي … وأيْنَ القيـروانُ مِـنَ العـراقِ؟
مَسِيـرةُ أشهـرٍ لِلْعِيسِ نَصّـاً … على الخَيْـلِ المُضَمَّرَةِ العِتَـاقِ
فَبَـلِّـغْ أنعـمـاً وبني أبيـه … ومَنْ يُـرْجَى لَنَا ولـه التَّلاقِي
بـأنَّ الله قــد خـلَّى سَـبِـيلِي … وجَـدَّ بنا المسيرُ إلى مَـزاقِ(*)

وكان سفيان الثوري يعظّمه ويعرف حقه. حدّث عبد الله بن وهب قال: خرجت إلى مكة في أول حجة حججتها وكان بها عبد الرّحمن بن أنعم وكنتُ آتيه فأسمع منه؛ فكنت عندَه ذات يوم فإذا برجل يستأذن عليه بالباب فقال: انظروا مَنْ هو؟ ـ فخرج رجل ـ أو قال خرجت أنا ـ فقال: رجل عليه أطمار فقال عبد الرحمن: إئذنوا له ـ فلما دخل قام إليه عبد الرحمن ولقيه بالبشر والسلام وأسند إليه حديثَه. وجرت بينهما مواعظ ومذاكرة. فلما خرج الرجل قلت لمن بالحضرة: من هذا الذي فعل به عبد الرحمن هذا الفعلَ كلَّه؟ ـ فقالوا: هذا سفيان الثوري فلما علمت ذلك جمعتُ كتبي وخرجت مبادِراً في أثره.

ورجع عبد الرحمن بعد ذلك إلى إفريقية. وأقبل على نشر العلم بين أبنائها. فكان يدرّس بجامع عقبة بالقيروان. ولم يمنعه اشتغاله بالتدريس من المشاركة في حروب المخالفين والأخذ بنصيبه من الغزوات في البرّ والبحر.

نقل ابن الأثير[4] في حوادث سنة 116 هـ الخبر، الآتي قال: «وفيها سيّر

(*) قوله مزاق هو اسم قديم للجهة الوسطى من القطر التونسي في زمان الرّومان والروم البيزنطيين وكانوا يرسمونه BYZACENA, BYZACIA, BYZAC. فحوّله العرب عند الفتح إلى لغتهم وقالوا: (مزاق ومزاقية) وقلبوا الباء ميماً لقرب مخرج الحرفين في النّطق. ونظائر ذلك كثيرة في الكلمات المعربة (انظر الفصل المتسع الذي نشرناه بخصوص هذه الكلمة في المجلة التونسية لمعهد قرطاجنة ص 199 من عدد 38 لسنة 1939.

عبيد الله بن الحبحاب ـ أمير إفريقية ـ جيشاً إلى صقلية فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الرّوم وكانوا قد أسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم فبقي أسيراً إلى سنة 121 هـ» ولم يفدنا ابن الأثير ولا غيره هل كانت إقامته في الأسر ـ مدة خمسة أعوام ـ في صقلية أو في القسطنطينية. وغاية ما نعلمه هو ما حكاه عن نفسه عن كيفية سراحه قال:

«أسرت أنا وجماعة معي فَرُفِعْنا إلى الطاغية فبينما نحن بحبسه إذ غشيه عيد فأقبل علينا خدمه بالأكل من الحارّ والبارد ما يفوق المقدار إذ خطرت علينا امرأة نفيسة فأُخْبِرَتْ بحسن صنيع الملك بالعرب فمزّقت ثيابها، وسوّدت وجهها، وأقبلت إليه بمنظر منكر؛ فقال لها: مالك؟ قالت: العرب قتلوا ابني وزوجي وأنت تفعل بهم الذي رأيت، فأغضبته فقال: عليَّ بهم فصرنا بين يديه سِمَاطَيْنِ فأمر سيّافه بضرب عنق واحد واحد حتى قرب منّي فحركت شفتي وقلت: الله، الله ربّي ولا أشرك به شيئاً فأبصر الملك فعلي وقال: قدّموا شمّاس العرب ـ يريد عَالِمَهم ـ فقال لي: ماذا قلت آنفاً؟ ـ قلت: الله ربّي ولا أشرك به شيئاً. فقال: ومن أين علمت هذا؟ ـ قلت له: نبيّنا أمرنا بها ـ فقال: وعيسى أمرنا بها أيضاً ثم أطلقني ومن معي».

وقد ذكر المالكي في سراح عبد الرّحمن أن الخليفة أبا جعفر المنصور هو الذي فداه من الأسر. وهي رواية لا تتفق مع التاريخ[5] إذ أن سراحه كان في سنة 121 هـ يعني في مدة الدولة الأموية. وقبل ولاية أبي جعفر بأحد عشر عاماً. ويؤيده أن عبد الرحمن لما رجع من أسره إلى بلاده أقام بها مدَّة، ثم تولّى قضاء إفريقية بعهد من مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. وكان ذلك في ولاية عبد الرحمن ابن حبيب الفهري.

وقد حفظ لنا المالكي[6] نصَّ السجل المرسل من الخليفة بدمشق في تعيين عبد الرّحمن على القضاء جاء من ضمنه ما نورده للدلالة على صيغة صكوك الولايات الشرعية في ذلك العصر:

«. . . وقد ولّاك أمير المؤمنين الحكومة والقضاء بين أهل إفريقية فأسند إليك

أمراً عظيماً وحمّلك خطباً جسيماً فيه دماء المسلمين وأموالهم وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ، والذبّ عن ضعيفهم من قويّهم، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم، والأخذ من شريفهم بالحق لخاملهم. وقد رجاك أمير المؤمنين لذلك لفقهك وعَدْلِك وخيرك وحسبك وعلمك وتجربتك، فعليك باتقاء الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له وإيثار الحق على ما سواه. وليكن جميع الناس قويّهم وضعيفهم في الحق عندك سواء».

وأقام عبد الرّحمن قاضياً ردحاً من الزمن. وسار في الناس بسيرة أهل العدل وأقام فيهم الكتاب والسنّة كما أمر به. ولم يزل على منصبه إلى أن زال ملك بني أميّة ـ سنة 132 هـ فتأخر عن القضاء إذ كانت ولايته من قبل مروان.

وفي أثناء تلك المدة حصل في إفريقية اضطراب كبير وهرج كاد يقضي على سلطان العرب بها. وذلك أن خوارج البربر من صفرية وغيرهم قاموا في وجه الحكومة، وحاربوا متولّيَ الإمارة حبيب بن عبد الرّحمن الفهري وهزموا قواته، واستباحوا القيروان بعد أن امتلكوها شرّ امتلاك سنة 138 هـ فلما رأى رؤساء العرب وعلماؤهم ما آل إليه أمر البلاد أجمع رأيهم على إرسال بعثة إلى بغداد للاستغاثة بالخلافة العبّاسية وتعيّن عبد الرّحمن بن زياد رئيساً للوفد الإفريقي المبعوث.

ووصل الوفد إلى بغداد واستأذن الدخول على أبي جعفر المنصور، فأذن له وعرض الإفريقيون ما لحق بلادهم من فتنة البربر ومن عسف الأجناد فصغى الخليفة إليهم ووعدهم بنجدة مصرهم وتلافي أمره.

وصف لنا عبد الرّحمن إحدى مقابلاته الخصوصية بالمنصور في هذه الرّحلة قال:

«دخلت عليه والربيع ـ حاجب المنصور ـ قائم على رأسه فاستدناني وقال: يا عبد الرّحمن بلغني أنك كنت تفد إلى بني أميّة، قلت: أجل، قال: فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟، وكيف ما مررت به من أعمالنا حتى وصلت إلينا؟.

فقلت: يا أمير المؤمنين، رأيت أعمالاً سيئة وظلماً فاشياً، ووالله ما رأيتُ في سلطانهم شيئاً من الجور والظلم إلاّ ورأيته في سلطانك. وكنت ظننته لبعد البلاد

منك فكنت كلّما دنوت كان الأمر أعظم ـ أتذكر ـ يا أمير المؤمنين ـ يوم أدخلتني منزلك بالكوفة وقدمت إليَّ طعاماً ومريقة من حبوب لم يكن فيها لحم. ثم قدمت زبيباً. ثم قلت: يا جارية عندك حلوى؟ قالت: لا، قلت: والتمر؟ قالت: لا. ولا التمــر، فـاستلقيت. ثم تلوتَ ﴿عسى ربّكم أن يهلك عــدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ فقد ـ والله ـ أهلك عدوك واستخلفك في الأرض ما تعمل؟ ـ قال: فنكس أبو جعفر رأسه طويلاً. ثم رفعه وقـال: كيف لي بالـرجال؟ قلت: أليس عمر بن عبد العزيز كان يقول: إن الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان برّاً أتوه ببرهم وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم». فأطرق المنصور طويلاً فأومى إلي الربيع أن أخرج فخرجت من ساعتي».

وأمـر المنصور بعـد حين بتجهيز جيش عـرمـرم بقيـادة محمـد بن الأشعث الخزاعي أرسله إلى إفريقية لإنقاذهـا، وتدارك أمـرها فسـار إليها في أربعين ألف مقاتل سنة 142 هـ وهو أول جيش خرج للمسوّدة نحو المغرب.

وفي هذه السفرة سمع من عبد الرّحمن بن زياد جماعةٌ من كبار أصحاب أبي حنيفة كما سمع منه سفيان الثوري للمرّة الثانية وزكرياء بن أبي زائدة(*) وغيرهم.

وكان من عمل الأمير محمد بن الأشعث عند وصولـه إلى القيروان أن أعـاد عبد الرحمن بن زياد إلى منصب القضاء بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور سنة 144 ـ فاستـأنف ابن زياد سيرته العادلة بين الناس في تواضع وإخلاص وأقبل على نشر العلم بين طبقات المتعلمين.

أخبر معاصره أبو عثمان المعافري، قال: كنت عند عبد الرّحمن بن أنعم حتى أتاه شاب أشقر ومعه مخلاة فيها بصل، فأسر إليه كلامـاً فقال عبـد الرّحمن لبعض من كـان بحضرته: قل لهم ـ يعني لمن في البيت ـ يبعثـوا إلينـا بشـيء من هذا البصل مع الفول الذي كنتم طبختموه البارحة، فبعثوا بما أمـرهم به فقـال لي: تقرب وكـل فقلت له: لا

(*) زكرياء بن أبي زائدة بن ميمون الهمداني أبو يحيى، تابعي مشهور برواية الحديث. تولّى قضاء الكوفة وبها توفّي في سنة 148 هـ ترجمهُ ابن سعد في طبقاته 6 :247، وابن حجر في التهذيب 3 :329، والذهبي في الميزان 1 :248 والخزرجي: ص 104.

أفعـل، فقال: ولم يـا أبا عثمـان أظننت ظناً؟ ـ فقلت: نعم، قـال لي: أحسنت يـا أبـا عثمان، إذا رأيت الهدية دخلت إلى القاضي من باب داره فاعلم بأن الأمانة قد خـرجت من كوة الدار، ليس هو هدية ـ يا أبـا عثمان ـ إنمـا هو مـولى لي أتاني بهـذا البصل من ضيعتي».

وتلقّى الحديث عن عبد الرّحمن من أهل إفريقية خلقٌ لا يحصَوْن كثرةً حسبما تراه في تـراجمهم. وقد اتفقت كلمـة المؤرخين ونقّاد الحـديث كابن معين وسفيـان الثوري وغيرهما أن عبد الرّحمن كان رجلاً صالحاً صدوقاً. وإنمـا أخذوا عليـه أحاديث غـرائب انفرد بروايتها. وبذلـك ضعفت منزلتـه في الأسانيـد ولم يوثّقـه جماعـةٌ من كبار الـرواة كالبخاري ومسلم. وقال الترمذي[7]: هو مقارب الحديث، وكـان يقوّي أمـره. لكن علماء المغرب عموماً كانوا يوثقونه ويصححون نقله.

قـال محمد بن سحنـون: «قلت لسحنون: إن أبـا حفص ـ عمـر بن علي ـ الفلاس قال: ما سمعت يحيى بن سعيد[8] ولا عبـد الرّحمن بن مهـدي اللؤلؤي يحدثان عن عبد الرّحمن بن زيـاد بن أنعم. فقال لي سحنـون: لم يصنعا شيئـاً، عبد الرّحمن ثقة».

وقـال أبو عمـر بن عبد البـرّ[9]: «أهل مصر وإفريقيـة والمغرب يثنـون على عبد الرّحمن بن زياد بالفضل والدّين والعقل. وهم أعلمُ به من سواهم. وتكلّم فيه يحيـى بن سعيد من أجل روايته لستّة أحاديث أغرب بها لم يعرفها أحد من أهـل العلم غيره» وهذه الأحاديث الستة هي[10]:

ـ حديث أمهات الأولاد.

ـ حديث الصدائي حين أذّن قبل بلال فأراد بلال أن يقيم فقـال النبي ﷺ: «إن أخا صداء قد أذّن ومن أذّن فهو يقيم».

ـ وحديث إذا رفع الرّجل رأسـه من آخر سجـدة فاستـوى جالسـاً فقد تمّت صلاته [وإن أحدث].

ـ وحديث العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضـل: آية محكمـة أو سنّة قـائمة أو فريضة عادلة.

ـ وحديث اغدُ عالماً أو متعلّماً ولا تكن الثالث فتهلك.

فلهذه الغرائب أخذ عليه المحدثون.

وعلاوة على ما تقدّم وبالرغم من شهادة علماء جلّة من أهل المغرب في توثيق عبد الرّحمن بن زياد وتصحيح روايته فإنّ ما أسنده إليه مؤرخون متقدمون من الأحاديث النبوية في فضل إفريقية وفضائل بعض أماكن منها كالمستنير وغيرها[11] لا يصح أن تنسب روايتها إلى مثله إذ إنها مفتريات بيّنة الوضوح. وصيغة الاختلاق ظاهرة عليها، وقد نبّه على وضعها جماعة من المتقدمين مثل التجاني وغيره(*).

نعم إن رواية عبد الرّحمن لهذه الأخبار المنسوبة إلى الحديث هي مسندة إلى التابعي الثقة أبي عبد الرّحمن الحبلي. لكن هذا الإسناد لا يدلّ على شيء كبير، ولا يخفى أن المقصد الأصلي من وضع هذه الأحاديث المختلقة هو تحريض المجاهدين من العرب، وكذا تنبيه السكان إلى عظيم فضل أماكن من بلادهم. وقد وُجِدَ هذا النوع من الحديث في كثير من البقاع المشهورة في أصقاع الإسلام في المشرق والمغرب كالمصيصة وعسقلان ورادس وغير ذلك.

ويحتمل أن تكون الأحاديث الموضوعة في خصوص فضل المغرب وأهله وإفريقية وأماكنها إنما أُلصِقَت عمداً إلى رواية عبد الرّحمن بن زياد إذ كان أقدمَ أبناء إفريقية رواية عن تابعين أجلاء إثباتاً لصحتها وتأييداً لحجتها، وإلاّ فالرجل أدْيَنُ وأَوْرَعُ مِن كونه يتجرأ الافتراء على النبيّ ﷺ. ولا ننسى ما أثبت له معاصروه ومن جاء بعدهم من الصدق والتواضع والخوف من الله تعالى الأمر الذي يسمح بنفي هذه الوصمة المشينة عنه.

وبالجملة فقد اتفقت كلمة نقّاد الحديث كابن معين والترمذي وسفيان الثوري وغيرهم على أن عبد الرّحمن كان رجلاً صالحاً صدوقاً. وإنما أنكروا عليه غرائب يرويها عن شيوخ من أهل إفريقية لا يعرفونهم. أما الإمام محمد بن

(*) رحلة التجاني آخر صحيفة 23.

إسماعيل البخاري فإنه كان «يقوّي أمره ويقول هو مقارب الحديث» وكان عبد الله ابن وهب يثني عليه ويطريه. وخلاصة ما يقال في شأن روايته هو ما حكم به عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال[12]: «والحق فيه أنه ضعيف الحديث لروايته منكرات، وهو أمر يعتري الصالحين».

هذا من ناحية حمله للحديث أما من جهة أعماله في البلاد فأقـول: إن من تتبع سير العلوم الإسلامية في إفريقية خـلال القرنين الثـاني والثالث للهجـرة يرى المنزلة العظيمة والمكانة الكبيرة التي نالها بحقّ عبد الرّحمن بن زياد، فإنه بذل من المساعي لنشر التعليم وبث اللغـة وآدبها وتقـاليد العـرب وأخلاقهم مـا جعله في مقدّمة كبار المربّيين المرشدين لأبناء البلاد سلالة العرب والبربر بلا ميـز ولا فرق حتى إنك لا تجد أحداً من علماء إفريقية في ذلك العصر من لم يحمل العلم عنه حسبما تراه خلال هذا الكتاب.

ولم يـزل عبد الـرّحمن قاضيـاً أيام محمـد بن الأشعث والأغلب بن سـالم التميمي وعمر بن حفص المهلّبي وصدراً من إمارة يزيد بن حاتم إلى أن تأخّر من نفسه عن القضاء. وكان سبب ذلك ـ فيما حكاه سليمان بن عمران ـ أن امرأة كانت تدخل على حرم الأمير يزيد بن حاتم، وكانت لها خصومة لدى القاضي فكتب لها يوماً كتابَ حُكْمٍ وختم عليه، وأعطاها إيّاه فدخلت به دار يزيد وكان حاضراً فقال لها: ما هذا؟ فأعلمته فأخذه من يدها وفضّ خاتمه فصاحت المرأة فقال لها يزيد: ما عليك، أنا أبعثه إليك مختوماً. فلما بعث إليه يزيد في ذلك قال عبد الرّحمن: لا أختمه حتى تعيدَ المرأة البيّنة فبعث إليه مرة ثانية فامتنع وأخذ خاتمه وكسره وقال: والله لا أحكم بعد هذا بين اثنين أبداً، وترك من ساعته القضاء. وتوجّه إلى تونس سنة 156 هـ وأقام يدرّس وينشر العلم بين مدينتي القطر: القيروان وتونس إلى أن أتاه أجله فتوفّي في شهر رمضان من سنة 161 وقيل في التي بعدها عن سنّ عـالية حيث إنه ولد سنة 74 كما تقدم(*).

(*) أورد ابن الأثير خبر وفاته في مكانين من تاريخـه: أولاً في حوادث سنـة 156 هـ وثانيـاً في حوادث سنة 162 هـ. وكأنه اشتبه عليه تاريخ تأخره عن القضاء بتاريخ وفاته.

حكى أبو الغارات السراج قال[13]: شهدت جنازة عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم سنة 161 وصلّى عليه يزيد بن حاتم، وأنا غلام، فوقف يزيد خارجاً من باب نافع ينتظر الجنازة وأخذت ثفر دابته فلما نظر إلى جماعة الناس وازدحامهم وكثرتهم تمثّل ببيت عبيد بن الأبرص فحفظته منه:

يا كعبُ ما راحَ مِنْ قَوْمٍ ولا ابْتَكَرُوا   إلاَّ ولِلْمَـوْتِ في آثـارهم حَـادِي

أما مكان ضريحه في مقبرة باب نافع من القيروان فهو غير معروف الآن. ويا حبّذَا لو توفّق بعضُ شبابنا لتخصيص حياة عبد الرّحمن بن زياد ببحثٍ مستقلّ فإن أعماله وتعليمه وما كان له من الأثر الكبير في الهيئة الإفريقية في عصر تكوين العلوم الإسلامية وتدوينها لحريٌّ أن يفرد بالتأليف. وما ذلك على همة شبابنا بالعسير.

لــه:

1 ـ **ديوان في الحديث في جزئين**[14] ـ قال أبو العرب: إنما وجدنا عن عبد الرّحمن ابن زياد «كتابين» رواهما عنه عبد الله بن غانم القاضي وغيره. وما علمت أنه ترك غير ذينك الكتابين».

وقال سحنون: أخبرني عبد الله بن غانم بأحاديث عبد الرّحمن وهي خمسمائة حديث[15]. وعلى هذا يكون مسند عبد الرّحمن قد احتوى على خمسمائة حديث.

مصــادر:

ـ أبو العرب 27.
ـ الخشني ص 234
ـ المالكي: 14 .
ـ ابن العذاري 1 :70
ـ ابن حجر في تهذيب التهذيب 6 :174 وما بعدها
ـ الكامل لابن الأثير 5 :86 و 149 و 6 :5 و 24
ـ التغري بردي 1 :266 و 2 :28
ـ معالم الإيمان 1 :17
ـ شذرات الذهب 1 :240.

ابـن أنعـم

4 - 75 هـ/ 93 - 694 م ـ 161 هـ/ 778

عبد الرحمن بن زياد

استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ ينظر فصل «العناية بالتعليم» في أول هذا الكتاب.

2 ـ كذا في المعالم أيضاً. وفي طبقات أبي العرب: وأبو عبد الرّحمن المقرىء عوض ابن المبارك.

3 ـ الأبيات في الطبقات والرياض والمعالم. وحاول المؤلف في الشطر الثاني من البيت الثاني التوفيق بين رواية المعالم ورواية الطبقات والرياض.

4 ـ الكامل لابن الأثير 5 :185 (ط. بيروت).

5 ـ هي إحدى روايتين عند المالكي. وقد ساقها بسياق التضعيف «قيل».

6 ـ الرياض 1 :159 - 160.

7 ـ هو نص البخاري في التاريخ الكبير كما بيّنه ناشر المعالم.

8 ـ في الأصل يحيى بن معين. والنص في طبقات أبي العرب. ولم يعيّن أي يحيى يقصد، والأقرب أنه يحيى بن سعيد القطّان، ويؤيده الخبر الموالي عن ابن عبد البرّ.

9 ـ هذا النص في المعالم 1 :235.

10 ـ ينظر توثيقنا لهذه الأحداث وتخريجنا لها في رياض النفوس 1 :153 - 154.

11 ـ ينظر دراسة محمد العروسي المطوي «فضائل إفريقية في الآثار والأحاديث الموضوعة».

12 ـ إن توثيق ابن عبد البرّ ـ وهو إمام المحدثين بالمغرب ـ أقوى وأرجح من تضعيف ابن حجر. ينظر المعالم 1 :135.

13 ـ الخبر في الطبقات، وعنه رواه المالكي والدبّاغ.

14 ـ عبارة أبي العرب تفيد أنهما كتابان وليس كتاباً في جزئين.

15 ـ ربما يفهم من هذا أنه كتاب آخر غير الكتابين المتقدمين.

II ـ مصـادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ رياض النفوس 1 :152 - 162 .

ب ـ طبعات جديدة :

ـ الكامل في التاريخ 5 :315، 6 :12، 59 .

ـ البيان المغرب 1 :80 (حوادث 162 هـ) .

ـ معالم الإيمان 1 :230 - 237 .

ج ـ إضافات :

ـ الأعلام 307:3 .

ـ الإكمال 2 :312، 4 :546 .

ـ تاريخ إفريقية والمغرب ص 163 .

ـ تاريخ بغداد 10 :214 - 218 .

ـ التاريخ الكبير ج 2 ق 1 :283 .

ـ تقريب التهذيب 1 :480 .

ـ الجرح والتعديل ج 2 ق 2 :234 - 235 .

ـ حسن المحاضرة 1 :275 .

ـ طبقات ابن خياط ص 296 .

ـ الكاشف عن رجال الكتب الستة 2 :164 .

ـ اللباب 2 :197 - 198 .

ـ المجروحين 2 :50 - 51.

ـ ميزان الاعتدال 2 :561 - 564 .

— 39 —
ربـاح اللخمـي

رباح بن يزيد بن رباح[1]، أبو يزيد اللّخمي.

رجل صالح من فضلاء القيروان وزهّادها وعبّادها، يضرب به المثل في الورع ورقّة القلب والتواضع والشفقة، يسلّم ذلك إليه جميع أهل عصره.

رحل إلى المشرق فسمع الحديث عن ابن سمعان والأوزاعي وسفيان الثوري[2] وأخذ عنه من أبناء إفريقية أبو خارجة عنبسة الغافقي وغيره، واشتهر أمر رباح في البلاد. وكانت بينه وبين البهلول بن راشد صحبة وأخوة.

ومما يحكى عنه أنه كانت له جارية تخدمه اسمها «زيادة» فذهبت مرة تستسقي له ماء فأبطأت فقام رباح في طلبها، فوجدها وضعت جرتها إلى جنبها وهي نائمة، فأخذ رباح كساءه، ووضعه تحت رأسها وحمل الجرّة إلى البيت ثم رجع، فجلس عند رأسها حتى انتبهت من نومها، فلم تَرَ الجرة ورأت رباحاً فارتعدت فرائصها، فجعل يقول لها: أنت حرّة أنت حرة، لتأمن عن نفسها بعتقها.

وروي أن رباحاً كان يمشي وبيده قسط زيت اشتراه من السوق، فرآه قاضي القيروان عبد الله بن غانم، فقال له القاضي: يا أبا يزيد، هاتِ القسط أحمله لك. فقال له رباح: شأنك، فأعطاه إيّاه وجعل رباح يمرّ على الرّحاب والأسواق ومواضع الجماعات والقاضي وراءه حتى وصل منزله، فالتفت رباح إلى القاضي، وقال: إنما فعلت بك هذا لأنه بلغني أنك تجد في نفسك، فأردت أن أضع منك، فقال ابن غانم: جزاك الله خيراً يا أبا يزيد.

ومناقب رباح كثيرة جميلة.

وله من رسالة كتب بها إلى عبد الله بن فروخ الآتي جواباً عن كتاب[3].

«بسم الله الرحمان الرحيم.

من رباح بن يزيد إلى عبد الله بن فروخ.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، الـذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وإيّاه نعبد ونستعين، أسأله شكراً لأنعمه وعملاً يرضاه.

جائني كتابك فقرأته وفهمت الذي ذكرت فيه، آجرك الله فيما دللت عليه من خير، فإن الله عزّ وجلّ يقول ﴿لا خيَر في كثيرٍ من نجواهم إلاّ من أمـر بصَدَقَـةٍ أو معروف أو إصلاحٍ بين الناس، ومن يفعلْ ذلك ابتغاءَ مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ (النساء: 114). جعلنا الله تعالى وإياك ممن استوجب ذلك الأجر العظيم بيسيرٍ من العمل، وتغمّد منا ومنك ما لا يغفره إلاّ هو إنه لا يغفر الذنوب إلاّ هو، وحدَه لا شريك به.

«أوصيك بتقوى الله الذي لا يشغله شيء عن شيء، الذي ابتدأ خلق ما تَرَى على غير مثال كان قبل ذلك، فإنك في زمان قد ماتت فيه قلوب خَلْقٍ كثير وهم لا يشعرون فاتخذ أخاً مصافياً، في أموره ومداخله ومخارجه، فـإذا وجدت مـا تحبّ فأوجب له ما يجب من الأخوّة في الله عزَّ وجلّ وإلاّ انقبض في رفق، فإنّ كثيراً من أهل زمانك يحبّون رضى الأشرار عن سخط الأخيار فيأخذون في ذمّ الأخيار وحسن الثناء على الأشرار حتى يخيّل إلى من يسمعه أنه انقطع إليه برأيه وعمله وهواه، فأما الأشرار فيثني عليهم بالشـرف والفضل تعـرضاً لغنم مـا في أيديهم ممـا لو كـانت الكلاب تحاسَتْهُ ثم عرفته لم تطعمه ولم تدن منه إلاّ أن يشاء الله ربّنا وسع ربّنا كلّ شيء علماً.

«وانـظر إلى من يسكن إليه عقلك، وتعـرف البركـة في مجالستـه وإن قـلّ أولئك، وحق لهم القلّة، لكرامتهم على الله عزّ وجلّ أعجل خروجهم من الدنيا إلى دار كرامتهم لأنه لا يبقى في آخر الزمان إلاّ الذين هم الأشرار كما قال عليه السلام «حثالة كحثالة التمر» فَارْضَ بالوحشة، واسأل الله عزّ وجلّ أن يسلمـك يومـاً بيوم

حتى يُلْحِقك بمن لا غنى لك عن صحبته ومرافقته، وما التوفيق إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فقد أدركت زماناً أُمِيتَتْ فيه السنَّة، وأُظْهِرت فيه البدعة، وعز فيه أشرار كثير من هذه الأمّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون مما تلقى من أهل زمانك كأن الذي خوّفوه لا يقع بهم أو كأن الذي حلّ بغيرهم لا يرونه، وقد قال عزّ وجلّ: ﴿فلولا إذْ جاءهم بأْسُنَا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ (الأنعام: 43). وعُهدت بلادنا بالحصار، والقتل، والفساد، وقال تعالى: ﴿أفأَمِنَ الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلّبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوّف فإن ربّكم لرؤوف رحيم﴾ (النحل: 45، 46، 47). أسأل الله العظيم الرؤوف الرحيم أن يلحقنا وإياك بالصالحين.

«لا تزال تصلنا بكتاب فيه بعض ما ينفع الله عزّ وجلّ به من الحِكَمِ التي ليس يعد لها كثير من عرض الدنيا، فإن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ما مِنْ هدية يهديها المرء إلى أخيه خير له من كلمة حكمة ينفعه الله عزّ وجلّ بها في دينه، وقال الله تعالى: ﴿الأَخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين﴾ (الزخرف: 67).

«فاغتنم بقية عمرك وأحسن إلى جلسائك، فمن رأيت الأدب ينفعه فتفقّدْ مجالسته، ومن رأيته منهم يتكلّم بلسانه وهواه في الغيبة، يراها أفضل رغبته، فعاوِدْه رجاء رجعته، فلعلّه ينتفع بالحكمة فإن لم تزجره الموعظة فدع إخاءه ولا تستوحش إلى مجالسته، والسلام عليك ورحمة الله».

أوردنا هذا الكتاب على طوله كنموذج من تحرير علماء ذلك العصر وزهّاده. وله غير ذلك من الرسائل الوعظية.

وتوفّي رباح في خلال عام 172 هـ وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة، وازدحم الناس على نعشه، فقال روح بن حاتم أمير إفريقية: «ازدحموا على عمله ولا تزدحموا على نعشه». وصلّى عليه روح، ودفن في مقبرة باب سلم جوار قبر البهلول بن راشد[4].

لـــه :

1 ـ **ديوان في الحديث**[5]، رواه عن ابن سمعان.

قال أبو يعرب التميمي: طلبت حديث رباح فما وجدت منه إلّا كتاباً واحداً حدثني به محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي عن أبيه عن عبد الله بن فروخ عن رباح بن يزيد عن ابن سمعان(*).

مصـــادر:

ـ أبو العرب: 45.
ـ الخشني: 210 و212.
ـ المالكي: 31.
ـ المعالم: 1: 188.

ربـاح اللخمـي
172 هـ/ 8 - 789 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ كذا سلسل نسبه في مطبوعة المعالم. وفي سائر المصادر بما في ذلك المعالم (مخطوطة الدباغ ص 94) حذف الجد «رباح».
2 ـ ما ذكره من روايته عن سفيان الثوري هو متابعة لمطبوعة المعالم التي فيها أنه يروي عن «سفيان» ولم يبين أي سفيان هو. والراجح أنه مصحّف عن ابن سمعان كما في الطبقات والرياض والمعالم (مخطوطة الدباغ).
3 ـ قارن الرسالة بنصها في رياض النفوس 1: 308 - 310.
4 ـ لا تعني الجملة أن البهلول توفي قبل رباح.

(*) هو عبد الله بن زياد بن سمعان المخزومي، أبو عبد الرحمن المدني، مولى أم سلمة، من كبار المحدثين. تولّى قضاء المدينة، وأخذت عنه مناكير (ترجمهُ ابن حجر في التهذيب 5: 219 والخزرجي في الخلاصة 168 ـ والذهبي في الميزان 2: 38 وغيرهم).

5 ـ وردت الإشارة إليه في رياض النفوس نقلاً عن أبي العرب.

II- مصــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ رياض النفوس 1 :300 - 312.

ب ـ طبعات جديدة :

ـ معالم الإيمان 1 :253 - 263.

ج ـ إضافات :

ـ الإكمال 4 :8.

ـ تاريخ إفريقية والمغرب ص 177 - 178.

ـ الحلل السندسية 1 :720 (ترجمة ابن غانم) وانظر الفهارس.

ـ المدارك 3 :73 - 74 (ترجمة ابن غانم).

ـ المدارك 3 :89، 92، 93 (ترجمة البهلول).

— 40 —
البهلـول

البهلول بن راشد، أبو عمرو الحجري الرعيني، مولاهم.

من أهل القيروان وبها ولد في سنة 128 هـ أخذ بإفريقية على عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم، وسمع الموطّأ من علي بن زياد، وجامع سفيان الثوري من أبي خارجة[1]. ثم رحل في طلب العلم فأخذ عن مالك بن أنس وعليه اعتماده، وعن سفيان الثوري، والليث بن سعد، وغيرهم من علية الأئمة المجتهدين، وروى عنه من أهل الحديث بالمشرق عبد الله القعنبي وأسند له مسلم بن الحجّاج في سُنَنِه[2].

وعاد البهلول إلى القيروان. وكان أولاً مشغولاً بالعبادة فلما احتاج الناس إليه قام بفتياهم وبتدريس العلم، فروى عنه سحنون بن سعيد وعون بن يوسف وأبو زكرياء الحفري وسواهم.

قال المالكي ـ «كان البهلول أحد الزهاد المعدودين من أهل الفضل والعلم والورع، معروفاً بذلك مع العبادة والاجتهاد. وعن سعيد بن الحدّاد أنه قال: ما كان بهذا البلد أحد أقومَ بالسنّة من رجلين: البهلول بن راشد في وقته، وسحنون بن سعيد في وقته».

وله آثار في الزهد والانقطاع وحكايات في التجرّد من حبّ الدنيا والإقبال على العبادة.

حكي أنه كان عنده طعام فغلى السعر فأمر به فبيع. ثم أمر أن يشترى له ثمن

قفيز من الطعام، فقيل له في ذلك فقال: «نفرح إذا فرح الناس ونحزن إذا حزن الناس».

ومرّت به امرأتان وهو جالس حذوَ داره فقالت إحداهما: هذا البهلول فقالت لها الأخرى ولم تكن تعرفه قبل: لئن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه؟ فقال البهلول وقد سمعها: هذه امرأة عرفتني.

وقال له رجل يوماً: يا مُرَائِي؟ فقال له البهلول: قد أخبرت نفسي بذلك فأبت عليّ ولم تقبل، فاجتمع عليها الآن شهادتك وعلمي بها، فشهادة اثنين خير من واحد.

وأقبل هرثمة بن أعين أمير إفريقية مرّةً في موكبه حتى انتهى إلى مسجد البهلول بن راشد. والبهلول مسند ظهرَه إلى عمود بإزاء باب المسجد فانحنى هرثمة في السرج وقال لبعض من معه: ادفع إليه هذا المزودَ بالدراهم. وقل له: قال لك الأمير: فرِّقها على من تراه أهلاً، فجاء إليه الرسول وبلّغه المقالة، فقال له البهلول: «الأمير أقوى منّي على تفريقها».

ودارت على البهلول محنة في آخر أيامه على يد محمد العكّي أمير إفريقية وقد قيل له: إنه يقع في سلطانك، ويضعف عند الناس أمرَك، فأمر بالقبض عليه فتحاشد الناس لتخليصه من الأعوان، فزاد ذلك حنقاً عليه وأخرج العكّي الأجناد لتفريق الناس. وأمر بتجريد البهلول وضربه بالسياط نحو العشرين، وحبسه ووضع رجليه في القيد، ومما حرك عليه الغضب أيضاً هو أن العكّي كان يهادي ملك الإفرنج (وهو شارلمان أوكرلوس الكبير) فوجّه إليه هذا الملك يطلب إسعافه بسلاح وحديد ونحاس، فلما أراد العكّي إرسال ذلك عارضَه البهلول ووعظه بأن ذلك لا يجوز له، فحقدها عليه. وقد نَدِم العكّي بعد ذلك على فعله. وأرسل إلى البهلول بثياب فاخرة وكيس مال لم يقبلهما منه البهلول، فلما أبى طلب منه أن يجعله في حلٍّ مما فرط منه، فأجابه البهلول: «ما وقع عليّ سوط إلا وأنا أستغفر لك الله يا بائس» وقد برىء الضرب الذي ضرب إلّا أثر سوط واحد تنغّل وصار قرحةً فكان سبباً في موته رحمه الله تعالى.

وكان بين البهلول وبين عبد الله بن غانم وعبد الله بن فروخ صحبة وألفة من أيام التعليم، وجميعهم قريب في المولد.

وتوفي خلال سنة 183 هـ. ودفن بمقبرة باب سلم، ومكان ضريحه مشهور إلى الآن.

لـــه:

- **ديوان كبير، في الحديث والفقه**[3]، والغالب عليه اتباع آراء الإمام مالك بن أنس. وربما مال إلى قول سفيان الثوري، وقال عياض: «دوّن الناس عنه جامعاً كبيراً» والأمر واحد.

مصــادر:

- أبو العرب 52.
- الخشني 227.
- المالكي: 19.
- المدارك: 1 :113.
- الميزان للذهبي: 1 :165.
- ابن العذاري: 1 :109.
- الديباج: 104.
- المعالم: 1 :197.

البهلول بن راشد

128 هـ/ 5 - 746 م ـ 183 هـ/ 99 - 800 م

استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ روى عن علي بن زياد جامع سفيان الكبير، وروى عن أبي خارجة جامع سفيان الصغير (طبقات أبي العرب ص 52، ترتيب المدارك 3 :87).

2 ـ هذا النص مصدره المالكي في الرياض 1 :201. ينظر تعليقنا هناك (هامش رقم 7).

3 ـ عبارة المالكي 1 :201 (ونقلها عنه ابن نـاجي في المعالم 1 :265) «وألّف ديـواناً في الفقه».

II ـ مصـادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

- ترتيب المدارك 3 :87 - 101.
- رياض النفوس 1 :200 - 214.

ب ـ طبعات جديدة:

- البيان المغرب 1 :89.
- الديباج المذهب 1 :215 - 216.
- معالم الإيمان 1 :264.
- ميزان الاعتدال 1 :355.

ج ـ إضافات جديدة:

- الأعلام 2:77.
- الإكمال لابن ماكولا 3 :84.
- تاريخ إفريقية والمغرب ص 204 - 205.
- التاريخ الكبير ج 1 ق 2 :145.
- تراجم المؤلفين 5 :222 - 223.
- الجرح والتعديل ج 1 ق 1 :429.
- شجرة النور الزكية 1 :60 - 62.
- معجم المؤلفين 3 :81.
- لسان الميزان 2 :66 - 67.

— 41 —
ابن غانم

عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان . . بن شرحبيل الرعيني، أبو عبد الرحمن. وأبوه (عمر) مذكور في جند العرب الذين كانوا بإفريقية أيام بني أمية قبل دخول المسوَّدة. وكان موصوفاً بالشجاعة والبأس، ذُكِر أنه كان على ساقة الناس في وقعة القرن والأصنام سنة 124 هـ حين خرج حنظلة بن صفوان الكلبي أمير إفريقية لمحاربة الخوارج الذين حاولوا استباحة القيروان.

وولد عبد الله في سنة 128 بالقيروان. وبها نشأ وتربّى وأخذ عن عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم. ثم رحل إلى المشرق مع رفقة من أترابه في طلب العلم، فدخلوا مصر والحجاز والشام والعراق.

حكى رفيقه عبد الله بن فرّوخ قال: «دخلنا على سفيان الثوري أنا وابن غانم والبهلول بن راشد فسألناه السماع فأجاب إلى ذلك وقال: يقرأ عليّ أعربكم كلاماً فإنه ربّما قرأ على القارىء فليحن في قراءته فأتأذّى، قال: فقرأ عليه ابن غانم شهوراً كثيرة فما رأينا الثوري ردّ عليه في قراءته شيئاً ولا أخذ عليه لحناً».

وسمع ابن غانم بالمدينة مع رفقائه من مالك بن أنس وعليه اعتماده. وكان مالك إذا دخل عليه ابن غانم ـ وقت سماعه ـ أجلسه إلى جنبه. ويقول قال رسول الله ﷺ «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه» وهذا كريم في بلده، فسمع منه الموطأ. وذكر بعض قرابته أن مالكاً عرض على ابن غانم أن يزوجه ابنته بشرط أن يقيم عنده بالمدينة، فامتنع من المقام. وقال: إن تزوجتها أخرجتُها معي إلى القيروان.

وأخذ ابن غانم في بغداد عن أبي يوسف القاضي وعن جماعة من مشاهير أعلام القرن الثاني يطول تَعدادهم، وسمع منه بالمشرق القعنبي وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهما، وروى له البخاري في صحيحه[1].

وبعد أن ملأ ابن غانم وطابه علماً وروايةً عاد إلى بلده وأخذ يدرّس في جامعها الكبير، جامع عقبة بن نافع.

عن سحنون قال: «قرأ علينا ابن غانم كتاباً من الموطّأ فقال له رجل ـ يا أبا عبد الرحمن ـ: أيعجبك هذا من قول مالك؟ فقال ابن غانم ـ وألقى الكتاب من يده ـ: أوليس وصمة عليّ في ديني وعقلي أن أرد على مالك قولة قالها، والله لقد أدركت العباد الذين يتورعون عن الذرّ فما فوقه، سفيان ودون سفيان، فما رأيت بعيني أورع من مالك».

وهذا من حسن أدبه.

وقال معمر: كان ابن غانم يقرأ لنا كُتُبَ أبي حنيفة وأصحابه في الأسبوع يوماً، وفي هذا دليل على أن في ذلك العصر لم يكن تعليم الفقه مرتبطاً بمذهب من مذاهب السنة ولا منحصراً فيه، وإنما كان علماء الدين يدرسون آراء كلّ المجتهدين بلا فرق ولا ميز، وإنما تميزت المذاهب وظهر التحيّز في درس كلّ مذهب بانفراده في آخر القرن الثالث وأوائل الرابع.

وقد انتفع بتعليم ابن غانم خلق كثير من كلّ الطبقات.

ولما قدم روح بن حاتم المهلّبي أميراً على إفريقية من قبل هارون الرشيد بادر بتولية ابن غانم القضاء (رجب سنة 171 هـ).

حكى روح بن حاتم قال: «دخلت على أبي يوسف قاضي القضاة ببغداد لأودّعه ـ وكان لي صديقاً ـ فقلت له: أصلحك الله يا أبا يوسف إن أمير المؤمنين ولّاني أمر إفريقية، فهل لك في حاجة؟ فقال لي: أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ وبأهل مدينة القيروان وبها شاب يقال له عبد الله بن غانم قد تفقه وهو حسن الحال، فولّه القضاء فقلت له: نعم، فودّعته وانصرفت، فمن ذلك اليوم عقدت ولايته بقلبي».

ولما بلغ مالك ولاية ابن غانم سرّ بذلك. وقال لأصحابه: أعلمتم أن الفتى الرعيني الذي كان يأتي إلينا قد استقضي على إفريقية.

وكان ابن غانم ـ أيام قضائه ـ يرسل مع صديقه أبي عثمان حاتم بن عثمان المعافري إلى مالك يسترشده فيما ينزل به من معضلات القضايا فيأخذ له عليها الأجوبة، فكان ابن غانم يكتب إلى ابن كنانة ليسأل له مالكاً عن الأحكام. ويجيبه ابن كنانة عن ذلك بواسطة الرسول المتقدم، كما كان يكتب أيضاً إلى القاضي أبي يوسف ببغداد فيجيبه.

ولم يزل الأمر يترقّى بابن غانم في الرفعة والشهرة بحسن السيرة في أحكامه إلى أن تولّى إبراهيم بن الأغلب إمارة إفريقية سنة 184 هـ فأقره في منصبه، وكان من إكرام الخليفة هارون الرشيد إليه أنه كتب إلى ابن الأغلب كتاباً يقول: واعلم أني لا أفكّ لك رسالة حتى يكون كتاب ابن غانم معها. فكان إبراهيم أكثر الناس مداراة لقاضيه. وتعظيماً لقدره. ومن عادة ابن غانم في قضائه أنه إذا جلس للحكم قدم إليه الخصوم بقطع من الرق مكتوب فيها أسماء الخصماء، فقعد يوماً للخصوم وقدموا إليه رقوقهم فدعا بها فإذا في رق منها (نخاسي البغال) فدعاهم وسألهم عن قضيتهم، قالوا: اشترى منا أبو هارون موسى مولى إبراهيم بن الأغلب وصاحب أمره بغالاً بخمسمائة دينار ولم يدفع إلينا شيئاً، فضم ابن غانم ديوانه وقصد الأمير ـ وكان قد أباح الدخول إليه في كلّ وقت ـ فقال له ابن الأغلب: ما حاجة القاضي؟ فذكر له أمر المتظلمين من تابعه أبي هارون، فأحضره ابن الأغلب وسأله عما ذكر القاضي، فأقرّ بالشراء وقال: إنما أخّرت دفعَ الثمن إلى أن يأتي خراج قسطيلية فإذا جاء دفعت إليهم الثمن. فقال ابن غانم: لا أبرح حتى ينقد إليهم أموالهم.

وروى ابن أبي زيد أن ابن غانم كان يلبس من الثياب أغلاها وأفخرها. ويجعل لخصومات النساء يوماً معلوماً من الأسبوع يجلس فيه للنظر بينهنّ، فإذا كان ذلك اليوم يلبس الفرو الدني والثياب الخلقة ويزيل الحجّاب والكتّاب من بين يديه فإذا دخل عليه النساء صرف بصره إلى الأرض فلا يشك من لا يعرفه أنه أعمى.

ومما يدلّ على تواضعه ما رواه المالكي بسنده، قال: مرّ رباح بن يزيد

الزاهد بعبد الله بن غانم وبيد رباح قسط زيت، فقام له ابن غانم وقال له: احمله لك يا أبا يزيد، فقال له رباح: شأنك بـه، وابن غانم إذ ذاك على القضـاء فأخـذ القسط من يده ورفعه له، وجعل رباح يشق به الأسواق ومجامع الناس فسلك على حوانيت البزازين والمواضع المشهورة حتى انتهى إلى داره، فقال لـه: أتدري لم فعلت هذا بك؟ فقال: لا، قال رباح: بلغني أنك تجد في نفسك فأحببت أن أضع منك، فقال له ابن غانم: جزاك الله عنّي خيراً.

وابن غانم هو الذي أوقف الأحمية والحصون التي كانت بثغور إفريقية ورتب مرافق المرابطين. وأظن كان ذلك في مدة ولاية هرثمة بن أعين سنة 180 هـ.

قال أسد بن الفرات: كان ابن غانم فقيهاً ورعاً له عقل وصيانـة، وقال أبـو العرب: كان ثبتاً ثقةً عدلاً في قضائه.

وقال المالكي: أما فضل ابن غانم وعلمه وورعه فهو أشهر من أن ينبه عليه، وهو من الثقات الأثبات. وقال المؤرخ أبو علي بن أبي سعيد: كـان رجلاً كـاملاً مقدماً مع فصاحة لسان وحسن بيان وبصر بالعربية ورواية الشعر.

وحكي أن ابن غانم دخل مرة على الأمير يزيد بن حاتم المهلّبي فقال لـه: أهللنا اليوم هلال شهر رمضان فتشايرناه بالأيدي، فقال له يزيد: لحنت يا ابن عم: قلت تشايرنا، وإنما هو تشاورنا، فقال ابن غانم: تشاورنا من الشورى وتشايرنا من الإشـارة بالأيـدي فلم يسلم له الأميـر ذلك: فقـال ابن غانم: بيني وبينـك ـ أيها الأمير ـ قتيبة النحوي(*) وكان قتيبة إذ ذاك قدم على يزيد فأنزله عنده، وكان إماماً من أيمة أهل الكوفة، فبعث إليه يزيد، وكان في قتيبة غفلة فقال لـه يزيـد: إذا رأيت الهلال كيف تقول وكيف يكون القول إذا أشرت وأشار إليه غيرك؟ قال: أقول ربي وربك الله، فقال يزيد: ليس هذا أردنا. فقـال ابن غانم: دعني ـ أصلحـك الله ـ آخذ له من طريق النحو فأفهمه فإنه نحوي. فقال يزيد: لا تلقّنه إذن. فقال له ابن

(*) قتيبة الجعفي ويعرف بالنحوي، ذكره الزبيدي في نحاة الكوفة ويظهر أنه مات في مدة هارون الرشيد ـ ترجمهُ السيوطي في البغية ص 381.

غانم: «إذا أشرت وأشار غيرك فقلت تفاعلنا في الإشارة كيف يكون»؟ قال تشايرنا، فاستحى يزيد وقال: ظلمتك يا ابن غانم وأنشد قتيبة لكثير عزة.

فقلت وفي الأحشاء داء مخامر ألا حبّـذا يا عـزّ ذاك التشايـر

فقال يزيد: فأين أنت ـ يـا قتيبة ـ من التشـاور؟ فقال قتيبـة: هيهات ـ أيهـا الأمير ـ ليس هذا من عملك، هذا من الشورى وذاك من الإشارة، فضحك يزيـد وعرف جفاء قتيبة فأعرض عنه.

وأورد أبو علي بن أبي سعيد بن الوكيل في كتابه لابن غانم أبياتاً مستحسنة، قال: وكان كثيراً ما ينشدها:

إذا انقرضت عنّي من العيش مدّتي فـإنّ غنـاء البـاكيـات قليـلُ
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليلُ

قال ابن الجزّار الطبيب: وكانت في ابن غانم تمتمة، ثم قال: وهذه التمتمة باقية في ولده إلى زماننا هذا (آخر القرن الرابع).

ومن ظريف ما يحكى عنه في مدة قضائه أن أبا المضرّجي الشاعر القيرواني كان مولعاً بهجاء أهله بني غانم، فاتصل ذلك بالقاضي فضجر منه، فقال له بعض أحبابه: ليس لك إلا أبا الوزن فإنه يلقى أبا المضـرجي بكل مـا يكره. وكـان أبو الوزن مضحكاً ضعيف الشعر فأرسـل ابن غانم وراءه وأتى بـه، فقال ابن غـانـم: بلغني أنك بعيد الصوت ونحن نحب من يؤذن في الجامع، وقال لبعض خـدمه: ادفع لأبي الوزن خمسة أقفزة قمحاً وخمسة أقفزة زيتاً ومـائة درهم حتى ننـظر في أمره، فلما قبض أبو الوزن ذلك قال للذي أتى به إلى القاضي: والله إنهـا لقصة، فإني لا أصلح أن أكون مؤذناً. فأخبره المرسل إليه بالأمر فقال أبو الوزن: قد كفي، فدخل أبو الوزن يوماً على الأمير إبراهيم بن الأغلب في جملة الشعـراء فنظر إلى الأمير ثم أنشده.

إنّـي وإنّـي وإنّـنـي وأنـا وأهل بيتي معظمـو الأمَرَا

ثم أشار إلى أبي المضرجي وقال:

إن أبا المضرجي شاعركم يضرط في الشعر كلما شعرَا

(قال عياض، ناقل الحكاية: وبعد هذا بيت قبيح تركناه لفحشه ورفثه وإن كان بيت الأبيات الثلاثة) فضحك الأمير ومن حضر وانكسر خاطر أبي المضرّجي. وعلم من حيث أُتي، فجاء ابن غانم معتذراً مقسماً إنه ما هجا أحداً من أهل بيته. فأظهر ابن غانم ألاّ علم عنده بشيء من القضية، فسأله كَفَّ أبي الوزن عنه، فأمره بذلك، فقال له أبو الوزن: لا والله، حتى أعطى مثل ما أعطيت حين هجوته فأمر له بمثل ذلك.

وما زال ابن غانم على منصب القضاء إلى أن توفي خلال ربيع الآخر من سنة 190 من أثر فالج أصابه، ولما مات بكى عليه إبراهيم بن الأغلب. وجلس على كرسي ينتظر وقت الجنازة، ودفن بجبانة باب نافع. ومكان قبره معروف إلى الآن جوار قبر أبي العرب التميمي[2].

ولما بلغ عبد الله بن وهب موته غمّه ذلك غمّاً شديداً وقال: رحمك الله يا أبا عبد الرحمن فلقد كنت قائماً بهذا الأمر، يريد الحديث والفقه.

وترك ابن غانم ولدين: أبا عمرو غانماً وأبا شرحبيل، وكان هذا الأخير أديباً شاعراً أخذ عن الكوفيين ومال إلى آرائهم وتوفي سنة 209 هـ وهو ابن ست وثلاثين سنة.

وكان لابنه أبي عمرو غانم ولد يكنّى أبا عبد الرحمن[3] وهو القائل يفخر بآبائه:

وليِنا قضاء الغرب عشرين حجة بعز وعدل عندنا مستلينُها
وأمضى أبونا الحقَّ في الناس فاستوت رعيته في العدل فاعتز دينها
فصلّى عليه الله في مستقره وسقّاه من غرّ السحاب هتونُها

ولعبد الله بن غانم:

1 ـ ديوان يعرف «**بديوان ابن غانم**»[4] جمع فيه سماعه من مالك بن أنس. وروى عنه سحنون في المدّونة في غير ما موضع، كما أورد له محمد بن عبدوس في «المجموعة» مسائل كثيرة مسندة إليه.

مصـــادر :

- أبو العرب 43.
- المالكي 21.
- المدارك 1 :103.
- الأنساب للسمعاني 46.
- تهذيب التهذيب 5 :331.
- الخلاصة للخزرجي 176.
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 1 :538.
- الجمع لأبي القيسراني 266.
- المعالم 1 :215.

ابـن غانـم
128 هـ/ 5 - 746 م ـ 190 هـ/ 806 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ تابع المؤلف في هذا عياضاً في المدارك (3 :65) الذي يبدو أنه تابع بدوره الحافظ ابن مندهْ. ولكن ابن حجر ـ وهـو إمام هـذا الشأن ـ لم يشـر إلى من خرّج لـه في كتب الصحاح غير أبي داود. ورمز له بحرف (د).

2 ـ اعتمـد المؤلف تعقيب ابن نـاجي في المعـالم (1 :313)، ولفـظه: «وقبـره مـزار. . وبجواره قبر أبي العرب وأبـي الفضل التميمي».

3 ـ في الأصـل: «ولد يسمّى عبـد الرحمن» وقـد أصلحنا النص كمـا جاء في المـدارك مخطوطاً ومطبوعاً.

4 ـ أوضح من أشار إلى مؤلفات ابن غانم من الأقدمين هو عياض في المدارك (3 :66). ولفظه «. . وله سماع من مالك مدوّن. ومنه في المجموعة مسائل. وأشار ابن ناجي (معالم 1 :288) إلى اعتماد سماع ابن غانم من قبل سحنون في مدوّنته».

II ـ مصـــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت :

- الأنساب للسمعاني 1 :324 - 325.
- ترتيب المدارك 3 :65 - 79.
- رياض النفوس 1 :215 - 229.

ب ـ طبعات جديدة:

- معالم الإيمان 1 :288 - 313.

ج ـ إضافات:

- الأعلام 109:4.
- الانتقاء ص 60.
- تاريخ إفريقية والمغرب ص 178، 226، 232.
- التاريخ الكبير ج 2 ق 1 :145.
- تراجم المؤلفين 5 :248 - 249.
- تقريب التهذيب 1 :435.
- الجرح والتعديل ج 2 ق 2 :110.
- سرور النفس ص 69 - 70.
- شجرة النور الزكية 1 :62.
- طبقات الخشني ص 235.
- طبقات الفقهاء ص 151.
- الكاشف عن رجال الكتب الستة 2 :112.
- المجروحين 2 :39.
- معجم المؤلفين 6 :97.
- ميزان الاعتدال 2 :464.
- النجوم الزاهرة 2 :134.

— 42 —
ابن أبـي كريمـة

عبد الملك بن أبي كريمة الأنصاري، مـولاهم، أبو يزيد، من أبناء مـدينة تونس بها وُلِدَ وقرأ على خالد بن أبي عمران المتقدّم. وكان كثيرَ الرواية عنه. ثم رحـل في طلب العلم إلى المشرق فـأخـذ عن مـالـك بن أنس وسفيـان الثـوري وغيرهما. قال سحنون: كـان بتونس في الـزمان الـذي تقدَّمَنـا عليّ بن زياد وابن أشرس، وابن أبي كريمة. ولم يكن في ناحيتهمـا وإنما كـان رجلاً ورعـاً صاحب أحاديث. وكان ثقة مأموناً. روى عنه من أهل المشرق أبو الطاهر أحمد بن عمرو ابن السرح وغيره، ومن أهل إفريقيـة سحنون وعـون بن يوسف الخـزاعي وشجرة المعافري وغيرهم.

قال أبو العرب: حدّثنا مشائخنا بمَمْرَسَة(*) أن ابن أبي كريمة كان يأتي راكباً على بغلة إلى وادي بجردة (اسم مجردة قديماً) فإن لم يَرَ أحداً حملها على الماء على غير المجاز فمشت به على ماء غريق، وإن رأى النّاس خاض بها الماء وأخذ المجاز.

وكبِر ابن أبي كريمة حتّى كان يُحْمَلُ إلى الجامع أي جامع الزيتونة. حدّث عيسى بن مسكين قال: خرج عبد الملك بن أبي كريمة يوماً وهو يُحْمَلُ في محفّة، وقد كبر فمرّ على مجلسه الذي كان يجلس فيه مع أصحابه للعلم فأنشأ يقول:

(*) ممرسة، اسم بلد «مجاز الباب» قديماً. وهو عند الرومان Mombressa فعرّبه الفاتحون من العرب إلى ممرسة. ثم صار على عهد الحفصيين يعرف بمجاز الباب، والحكاية المنقـولة هنا تؤيد وجه تسميته بالمجاز (ح. ح. عبد الوهاب).

لقـد ذَهب الكُماةُ وأسلمـوني   كَفَى حـزَنـاً لفـرقتي الكُمَـاةِ
هُمُ كـانـوا التُّقـاة لكـلّ أمْـرٍ   وهم زَيْنُ المجالِس في الْحياةِ
تـولّـوا لـلقبـورِ وخـلّفـوني   فَـوَا حَزَنـاً على فَقْدِ الْحُمَـاةِ

ومن منثور كلامه: منهومان لا يشبعان: منهـوم في العلم ومنهوم في المـال فالمنهوم في العلم يزداد خشية للرّحمان والمنهوم في المال يزداد في الطغيان.

وتوفّي ابن أبي كريمـة بمدينـة تونس سنـة 210 هـ وقيل سنـة 204. والأول أصحُ[1] ولا يبعد أن يكون قبره قريباً من ضريح علي بن زياد إذ كانت مقبرة تونس هنالك.

لـه:

1 ـ **كتاب الزهد**[2] ـ قال أبو العرب: يـرويه عن ميسـرة بن عبد ربّـه البصري عن موسى الربذي ويزيد بن أبي حبيب ومحمد بن يزيد[3] وغيرهم.

مصـادر:

ـ أبو العرب 247.
ـ المالكي 34.
ـ الخزرجي في الخلاصة 208.
ـ ابن حجر في التهذيب 2 :418.

ابـن أبـي كريمـة
000 ـ 210 هـ/ 819 - 820 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ الأول لابن الجزّار وأبي العرب كما في التهذيب لابن حجر، والثاني لابن يونس.

2 ـ انفرد أبو العرب بذكره.

3 ـ نصّ ما في طبقات أبي العرب هو الآتي «. . . وله كتاب في الزهد فيه رجال ما ينبغي أن يكون سمع منهم مثل موسى بن عبيدة الربذي ويزيـد بن أبي حبيب ومحمد بن يزيد وغيرهم. قال (أبو العرب): ويقال: إن كتاب الزهد إنما هو كلّه عن ميسرة بن عبد ربّه عنهم».

II ـ مصــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ رياض النفوس 1 :323 - 324.

ب ـ إضافات:

ـ تراجم المؤلفين 4 :160.

ـ تقريب التهذيب 1 :522.

ـ الجرح والتعديل ج 2 ق 2 :364 - 365.

ـ الكاشف عن رجال الكتب الستة 2 :213.

ـ الكنى للدولابي 2 :162.

— 43 —
أبـو خارجـة

عنبسة بن خارجة الغافقي، أبو خارجة، وقيل أبو خالد.

من أبناء الجند العربي بإفريقية. ورحـل إلى المشرق فسمـع من مالـك بن أنس وعليه اعتماده. وسمـع أيضاً من اللّيث بن سعـد وسفيان الثـوري وابن عيينة وابن وهب والمغيرة بن عبد الرّحمن المخزومي وغيرهم.

وفي رحلته هذه لقي القاضي أبا يوسف بالعراق ولم يأخذ عنه، ثم عاد إلى إفريقية بعلم جمّ. وهو أول[1] من أدخل جامع سفيان الثوري إليها، فسمعه النّاس منه.

وكان ثقة مأموناً في روايته، خبيراً باختـلاف العلماء واتفـاقهم، متضلّعاً في العلوم الإسلامية من حديث وفقه وعربية. وسمع منه من أبناء المغرب غير واحد. وكان سحنون يجلّه ويعظم قدره. وإذا سئل بحضرته عن شيء من العلم أحال عليه إجلالاً له وتعظيماً.

وكان مقام أبي خارجة في حصن على البحر يعرف برباط «ينقة»[2] في جنوب مدينة صفاقس(*).

(*) رباط ينقه أو يونقا Yunca وربما عرف بقصر تليدة، بينه وبين صفاقس ثمانية وعشرون ميلاً من بناء الرّوم البيزنطيين. وله ذكر كبير في أخبار قديسي الكنيسة الكاثوليكية الإفريقية. ثم تداعى للسقوط فجدد أبو خارجة بناءه على ما يرى اليوم. وهو من الحصون الجليلة الشأن الشامخة البنيان. ويمتاز بهندام خاص يدلّ على ما كان عليه الفنّ المعماري في أول الدولة الأغلبية.

حدّث نصر بن خالد السوسي، قال: عطش الناس بصفاقس وغافق(*) وأجدبوا سنَةً ونزل بهم الجهد فأتوا إلى أبي خارجة فقالوا: نزل بنا القحط والعطش فاستَسْقِ لنا؟ فقال لهم: اتوا غَداً بصبيانكم وبناتكم وبهائمكم، وبيّتوا الصّيام اللّيلة فإذا كان اللّيل فَقِفُوا بين يدي ربّكم وتضرّعوا إليه وَاعْرِضوا أعمالَكم عليه فإنه يرقّ لحالكم، ففعل الناس ذلك. واجتمعوا من كل مكان من الغد. وخرج بهم أبو خارجة فصلّى بهم صلاة الاستسقاء. ثم خطب. ثم جلس إلى صلاة الظهر، وقد اشتدَّ الحَرُّ عليهم فصاح الأطفال والبهائم من شدّة العطش، فقام أبو خارجة وصلّى بهم الظهر. ثم بسط كفّيه وقال:

«أنت مولانا ما لنا غيرك ولا سواك، وأنت ذو رحمة واسعة، وأنت العالم بأحوالنا وقبيح أعمالنا، قامت بك آمالنا، وقد جئونا بين يديك، بهائمنا جائعة، وأرضنا سوداء يابسة، وقلوبنا خائفة عابسة، وبيوتنا فارغة، وسماؤك عامرة، وخزائنك واسعة، فاسقنا سقيةً نافعة، تجدّد الإيمان في قلوبنا، ولا نبرح من بين يدي كريم حتى يسقينا، وسيلتنا إليك نبيئنا الذي جعلته رحمةً لنا».

ولأبي خارجة أقوال كثيرة مأثورة في معنى الحكمة والوعظ، كقوله:

«ثلاث من أعلام الإحسان: كظم الغيظ، وحفظ الغيب، وستر العيب» ومن كلامه: أحبّ الأمور إلى الله سبحانه أسمحها وأسهلها».

ومن آثاره بناء مسجد عظيم قرب صفاقس ولعلّه كان بغافق فيه نحو عشرين سارية كبيرة.

وتوفّي أبو خارجة في رباط ينقةْ في شهر ربيع الآخر سنة 210[3] وهو ابن ستة وثمانين عاماً. وضريحه هناك إلى الآن معروف مزار عليه قبّة جميلة.

(*) غافق يظهر أنها محلّة صغيرة من إنشاءات العرب كانت بناحية صفاقس[4] وفي تسميتها دليل على أن سكانها كانوا من الأجناد المنتسبين إلى قبيلة غافق الذين منهم أبو خارجة صاحب الترجمة.

لـــه :

1 ـ سمـاع عن مالـك بن أنس مـدوّن كسمـاع أشهب وابن القـاسم[5]، رواه عنـه تلاميذه.

مصـــادر :

- ـ طبقات أبي العرب 72
- ـ المالكي ص 24.
- ـ المدارك 1 :163.
- ـ الديباج 168.
- ـ مقديش 2 :107.

أبـو خارجـة
000 ـ 210 هـ/ 825 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ لم تنصّ المصادر على أوليته في جلب جامع سفيان الثوري. وإنما اكتفت بأنه جاء بجامع سفيان الثوري إلى إفريقية حسب رواية أبي العرب عن البهلول بن راشد.
والمنصوص على أنه أول من أدخل جامع سفيان الثوري إلى إفريقية هو علي ابن زياد المتوفّى سنة 180 هـ (تراجع ترجمته في هذا الجزء) أما أبو خارجة فقد توفّي سنة 210 هـ.

2 ـ ينظر عنه نزهة الأنظار 2 :107. وضبطه مقديش «بالياء المضمومة بعدَها واو ساكنة ثم نون ساكنة فقاف مفتوحة بعدها ألف «يونقا»».

3 ـ كذا في الرياض والمدارك. وفي لسان الميزان عن رياض النّفوس وعن أبي سعيد بن يونس نقلاً عن ابن سحنون أنه توفي سنة 220 هـ.

4 ـ ينظر عنها مسالك البكري ص 19.

5 ـ كذا سمّاه أبو العرب. وعنه تناقله المؤرخون من بعده.

II ـ مصـــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

- ـ رياض النفوس 1 :241 - 247.

- ترتيب المدارك 3: 317 - 321.

ب - طبعات جديدة:

- الديباج المذهب 2: 45 - 46.

ج - إضافات:

- الحلل السندسية 1: 743 - 747.

- لسان الميزان 4: 381 - 382.

- مناقب أبي خارجة الغافقي لمحمود سيالة (مخطوط دار الكتب الوطنية رقم 19269. وأصله من متحف الجلولي بصفاقس).

— 44 —
يزيـد الجمحـي

يزيد بن محمد الجمحي، من محدثي إفريقية الثقات، سافر في صغره إلى المشرق وأخذ عن الإمام مالك بن أنس وإبراهيم بن محمد الأسلمي، مولاهم، من أهل المدينة. ثم تحوّل إلى الكوفة والبصرة، وروى عن كبار المحدّثين كأبي بكر بن عياش الأسدي وخصوصاً عن حمّاد بن زيد البصري. ثم قصد الشام ومصر في سبيل الرواية. ثم عاد إلى إفريقية فأقام بالقيروان وسمع منه أبناؤ ها مثل موسى بن معاوية. وأكثر أحمد بن يزيد القرشي السماعَ عنه. ولم يزل يدرس ويقيّد مروياته إلى أن قصد الجهاد فركب البحر من سوسة في غزوة صقلية[1]. فخرجت عليهم سفائن الرّوم البيزنطيين وتقاتلوا ساعةً فاستشهد يزيد غرقاً وذلك في سنة 212 هـ/ 827 م.

وفيما نقل أبو العرب أن يزيد كان يستحلّ شرب النبيذ، وهو ما يدلّ على أنه كان يرى رأي العراقيين أصحاب أبي حنيفة، ولا غرابة فقد مرّ بك أنه قرأ بالكوفة والبصرة من مدائن العراق.

لــه:

1 ـ مجموعة كبيرة في الحديث، رواها عن أبي إسماعيل حمّاد بن زيد البصري المعروف بالأزرق(*). وكان أخذ يزيد الجمحي عنه بالبصرة في سنة 177 هـ.

(*) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي، أبو إسماعيل ويعرف بالأزرق، مولده بالبصرة سنة =

ويـوجد في مكتبـة جامـع عقبـة بـالقيـروان الجـزء الأول والثـاني في هـذه المجموعة مكتوبة على الرقّ برواية تلميذه أحمد بن يزيد القرشي القيرواني وروايته لها في سنة 211 هـ.

مصــادر:

- أبو العرب 85.
- المالكي 1: 162.
- المعالم 2: 45.

يزيـد الجمحـي
000 ـ حدود 212 هـ/ 7 - 828 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ ذكرت المصادر (الرياض والمعالم) أن صاحب الترجمة خرج يريد غزو المصيصة في البلاد الشامية. ولعـلّ المقصود بالغزو الذي ذكرته المصادر: المرابطة والجهاد بها إذ هي من الثغور المحرّض على المرابطة فيها. ولعل جملة «فخرج عليهم عدوّ صقلية فاستشهد» هي التي جعلت المؤلف يقول «في غزوة صقلية».

II ـ مصــادر:

أ ـ طبعات جديدة.
- رياض النفوس 1: 239.
- معالم الإيمان 1: 69 - 71.

ب ـ إضافات:
العيون والحدائق 3: 371.

= 98 هـ. ومـات في رمضان سنـة 179 هـ. وكان من شيعـة عثمان بن عفّـان رضي الله عنه، وقيل: إنه كان يحفظ أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب. وهو ممن أخذ عن أنس بن سيرين وعاصم الأحول، ومن تلاميذه عبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب وسفيان الثوري وسفيان ابن عيينة وغيرهم.

— 45 —

ابـن المغيـرة

عبد الله بن المغيرة الكوفي. رجل من رواة الحديث قدم القيروان من العراق في سبب التجارة.

وكانت دراسته بالكوفة على مسعر بن كدام(*) وعمر بن ذر وسفيـان الثوري وغيرهم، وروى عنه من الإفريقيين جماعة منهم سليمان بن عمـران، وإليه يسنـد عبد الملك بن حبيب مفتي الأندلس في «واضحته».

ولما استقر بإفريقية امتلك رباعاً كثيرة بالقيروان، وإليـه تنسب «سويقـة ابن المغيرة» بها.

قال أبو العرب: كان كوفياً فأظنه كـان يستحل شـرب النبيذ الشـديد، كمـا يستحله الكوفيـون «أي الحنفيون» ثم قال أبو العرب: أما حديثه فمستوى حديث الحذّاق بالحديث.

وكانت وفاته بالقيروان أوائل القرن الثالث.

لـــه:

1 ـ ديـوان كبير في الحـديث يعرف بـديوان ابن المغيـرة[1] رواه عنـه سليمـان بن عمران.

(*) مسعر بن كدام الهلالي من كبار المحدثين الكوفيين وأحد شيوخ الإمام أبي حنيفة النعمـان وسفيان بن عيينة والثوري. مات بالكوفة سنة 153 هـ ترجمته في الخلاصة للخـزرجي 320 وتهذيب التهذيب لابن حجر 113/10 وطبقات الحفاظ للذهبي 169/1.

ويناسب أن ننبّه أن عبد الله بن المغيرة هذا غير سميّه عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة القرشي، قاضي الخليفة عمر بن عبد العزيز بإفريقية. وكثيراً ما يقع الالتباس لأصحاب التراجم في الرجلين لتشابه اسميهما، لكن الأول كوفي وافد على القيروان والثاني قرشي من أبنائها ووجوه فضلائها في القرن الثاني، فليتنبه.

مصــــادر:

- أبو العرب ص 80.

ابـن المغيـرة
000 ـ ق 3 هـ/ ق 9م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ يسمّيه أبو العرب «كتاب عبد الله بن المغيرة». ولعلّه على شاكلة كتب المتقدمين من معاصريه أمثال الثوري وابن وهب. وكلها تنسب لأصحابها.

II ـ مصــــادر:

أ ـ إضافات:

- لسان الميزان 3 :365 - 366. وترجمه ابن حجر في نفس الجزء ص 332 - 333 تحت اسم «عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفي».

— 46 —

آل الصمادحـي

معاويـة، موسـى

1 ـ معاوية بن الفضل الصمادحي مولى آل جعفر بن أبي طالب، أبو عون، وقيل: هو: معاوية بن أحمد بن عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

قال ابن اللباد عن شيوخه: إنّ معاوية بن عون بن عبد الله بن جعفر قدم على عبد العزيز بن مروان والي مصر، فأهداه جارية فأولدها ولداً سمّاه عوناً. ومـات، فغيبت المال، وتزوجت غلاماً يقال له صمادح، فقدم به إفريقية. واشترى له ضياعاً كثيرة، فعرف بالصمادحي.

ومهما يكن فإنّ معاوية الصمادحي وُلِدَ بالقيروان. وقرأ بها على عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم وغيره من شيوخ إفريقية. ثم قصد المشرق في طلب العلم، وسمع من مالك بن أنس، وروى الحديث عن سفيان الثوري وحنظلة بن أبي سفيان، ثم عاد إلى بلده. وروى عنه جماعة منهم سحنون وابنه موسى الآتي. وكان معاوية ثقة مقدّماً في شيوخ إفريقية، وتوفّي بالقيروان سنة 199 هـ. وقال الدبّـاغ[1] في المعالم سنة 147. وهو غلط ظاهر، وصلّى عليه الأمير عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب.

2 ـ أما ابنه **موسىٰ، ويكنّى أبا جعفر،** فإنـه ولد بـالقيروان أيضـاً في سنة 160 هـ. وبينه وبين سحنون ليلة واحدة، وقرأ على أبيه كما تقدّم، وعلى علي بن زياد وغيرهما من جلّة الشيوخ. ثم رحل في صغره إلى المشرق في طلب العلم سنة 184 هـ. وأكثر الأخذ عن رجال الحديث ما بين مدنيين وكوفيين وبصريين وسواهم من أهل الأمصار مثل وكيع بن الجرّاح وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض. ولما ملأ وطابه رجع إلى بلده وسمع منه سحنون وعامّة معاصريه من أهل إفريقية.

قال أبو العرب: كان ثقة مأموناً عالماً بالحديث. وقال أبو الحسن الكوفي: لم يكن بإفريقية محدث إلاّ موسى الصمادحي وعباس بن الفارسيء. وقال ابن أبي دليم: والأغلب عليه الحديث والرواية وكان من أهل الورع والدين منافياً لأهل البدع.

وكان سحنون يجلّه ويعظمه ويعرف حقّه في العلم ويقدّمه على نفسه في المجالس. حدث سحنون قال: «كنا نرابط بالمنستير في شهر رمضان ومعنا جماعة من أصحابنا فكان موسى بن معاوية أطولَهم كلّهم صلاة وأدومَهم عليها، فكان أكثرَنا اجتهاداً وعبادة».

وقيل لسحنون: إن موسى الصمادحي جلس في الجامع يفتي الناس، فقال: «ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحقّ بالفتيا منه».

قال الخشني، حدّثني فرات بن محمد قال: «حضرت موسى بن معاوية وقد أتاه رسول الأمير زيادة الله بن إبراهيم يسأله عن عمود في مسجد خرب بالساحل يريد تحويلَه إلى المسجد الجامع في القيروان يجعله مع صاحب له، فقال موسى: «لا تحرّكْه من موضعه الذي هو فيه». وذلك تورّعاً منه. ولموسى مناقب كثيرة اقتصرنا على جلب المهم من حياته.

ودارت عليه محنة من ابن أبي الجواد قاضي القيروان، سأله عن القرآن فقال موسى: «سمعت فلاناً وفلاناً ـ وذكر جماعة من أهل الحديث ـ يقولون: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، فقال له ابن أبي الجواد: لقد أعمى الله قلبك كما أعمى بصرك». وكان موسى عمي بعد قدومه من المشرق بقليل، ثم إنه أصيب في آخر حياته بفالج لازمه إلى أن توفّي يوم الاثنين 25 ذي القعدة سنة 225.

لــه:

1 ـ **الزهد**[2].

2 ـ **مواعظ الحسن** ـ كذا في نسخ المدارك، لا أدري إن كان المقصود بالحسن هو السبط بن علي بن أبي طالب أو غيره[3].

ويوجد له في مكتبة جامع القيروان جزء مكتوب على الرقّ فيه أحاديث في الحث على التمسك بالسنّة والنهي عن اتباع البدعة[4] يرويها عنه تلميذه أحمد بن يزيد المعلم[*] وهذا الجزء منسوخ في أواسط القرن الثالث بخط يحيى بن عمر الكناني وعليه سماعه.

مصـــادر:

أ ـ لمعاوية الصمادحي:
- أبو العرب 80.
- المالكي 22.
- المعالم 1 :236.

ب ـ لموسى الصمادحي
- أبو العرب 106 - 109.
- المالكي 41.
- المدارك 1 :211 و ـ 212 و.
- المعالم 2 :32.

آل الصمـادحـي
معاويـة ـ موسـى
160 هـ/ 6 - 777 م ـ 225 هـ/ 840 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ في المعالم (مخطوطة الدبّاغ ص 113) أنه توفي سنة سبع ومائة. وواضح أن رقم (العشرات) سقط من السياق لأنه ذكره بين وفيات عشرة التسعين. ثم أضاف: وصلّى عليه إبراهيم بن الأغلب المتوفّى سنة 197.

2 ـ ورد ذكر هذا الكتاب والذي يليه عند عياض في المدارك.

(*) أحمد بن يزيد القرشي ويعرف بالمعلم[5] توفي سنة 284 هـ. ترجمهُ عياض في المدارك 2: 26.

3 ـ الأقرب أنه الحسن بن أبي الحسن البصري (ت 110 هـ) وقد عرف بمواعظه وأخباره في الزهد.

4 ـ أسند المحدّث الأندلسي محمد بن وضاح في كتابه «البدع والنهي عنها» أحاديث ومرويّات كثيرة عن موسى بن معاوية. تراجع مثلاً الصفحات: 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23.

5 ـ ويعرف براوية الصمادحي (المدارك 4 :407).

II ـ مصـــادر:

معاوية الصمادحي

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ رياض النفوس 1 :231 - 232.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ المعالم 1 :317 - 319.

ج ـ إضافات:

ـ ترتيب المدارك 4 :96 (ترجمة الابن).

ـ العيون والحدائق 3 :350 (وفيات 199).

ـ المعالم (مخطوطة الدباغ).

موسى الصمادحي

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 4 :93 - 96.

ـ رياض النفوس 1 :376 - 384.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ معالم الإيمان 2 :51 - 58.

ج ـ إضافات:

ـ الأنساب للسمعاني 2 :49.

ـ البيان المغرب 1 :107 (حوادث 225).

ـ تبصير المنتبه 3 :843.

ـ اللباب 2 :234.

ـ معجم البلدان 3 :391.

— 47 —
فـرات العبـدي

فرات بن محمد بن فرات العبدي، أبو سهل.

من أبناء عرب القيروان وبها نشأ أوائل القرن الثالث، وأخذ عن جلّة علمائها مثل عون الخزاعي وعبد الله بن أبي حسان، ويحيى الحفري وموسى الصمادحي، واختص بسحنون وبالسماع عنه فعدّ من وجوه أصحابه وأصحاب ابنه محمد، ورحل إلى المشرق فأخذ بالمدينة عن محدثيها مثل عبد الله بن عمر العمري[1] من ولد عمر بن الخطاب، وسمع من رؤساء أصحاب مالك كابن بكير وابن عبد الحكم وسواهما، ثم عاد إلى بلده ولزم إقراء الحديث بجامع عقبة وانتفع به خلق كثير منهم أبو العرب التميمي، وقد عرّف به في طبقاته فقال[2]: «كان يغلب عليه الرواية والجمع ومعرفة الأخبار».

والواقع أن غالب ما أورده أبو العرب من أخبار العلماء المتقدمين إنما استفاده منه[3] فهو من أكبر مصادره، وقد نص أصحاب الطبقات على أن في روايته للحديث ليناً وضعفاً. وهذا لا يمنع من كونه يعدّ من أهم المراجع الكبيرة في أخبار الفتح العربي للمغرب ومعرفة رجاله ومناقبهم، وقد كان تلقّى ذلك عن عيسى بن أبي المهاجر عن عبد الرّحمن بن زياد وعن ابن أبي كريمة وابن فرّوخ وغيرهم من قدماء الإفريقيين.

ودارت على فرات محنة من قبل سليمان بن عمران مدة قضائه لِمَا كان يعلم من اختصاصه بغريمه وقريعه محمد بن سحنون، فتحامل عليه لسبب ما وضربه سياطاً.

وعلى كلّ فقد اشتهر فرات بسعة المعرفة للأنساب وسيرة السلف كما اشتهر بطول اللسان حتى قال معاصره الخشني : «سمعت من يحكي أنه كان أعلم الناس بمعائب الناس وأوقع الناس في الناس».

وتوفي فرات خلال سنة 292 هـ.

لـــه :

1 ـ **مجموعة أحاديث** يرويها عن مشايخ في المدنيين، يوجد منها جزء بمكتبة جامع عقبة بالقيروان مكتوب على الرق بخط تلميذه أبي العرب التميمي.

مصــــادر :

ـ الخشني 141 و228.
ـ المدارك 2 :27.
ـ ابن العذاري 1 :134.
ـ المعالم 2 :168.

فـرات العبـدي
000 ـ 292 هـ/ 4 - 905 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ لم تذكره المصادر ضمن شيوخه، فلعل المؤلف استفاده مما ورد في مجموعة أحاديثه من أسانيد.

2 ـ هذا من طبقات الخشني ص 141. أما ترجمته في طبقات أبي العرب «طبقات رجال إفريقية» فلم تصل إلينا. ونسب ابن حجر إلى أبي العرب قوله في فرات «سمعت منه كثيراً».

II ـ مصــــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت :

ـ ترتيب المدارك 4 :410 - 411.

ب ـ طبعات جديدة :

ـ البيان المغرب 1 :139 .

ـ معالم الإيمان 2 :249 - 250 .

ج ـ إضافات :

ـ لسان الميزان 4 :432 .

— 48 —

مالـك القفصـي

مالك بن عيسى بن نصر، أبو عبد الله.

من أبناء مدينة قفصة وبها نشأ وتربى. ثم قدم القيروان فصحب ابن سحنون وشجرة بن عيسى وأخذ عنهما، وكانت عنايته كلها منصرفة إلى الحديث حتى صار به بصيراً وفي علمه نافذاً، ورحل[1] في طلبه إلى المشرق فطاف البلاد ولقي علماء الأمصار وجالسهم وأكثر الرواية عنهم، وسمع بمصر من محمد بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى وغيرهما[2]، وأقام في رحلته عشرين سنة، ثم رجع إلى القيروان وتصدّى لإقراء الحديث فأخذ عنه جماعة.

قال أبو العرب[3]: كان ثقة له فقه كثير وعلم بالحديث وعِلَلِه ورجالِه لم أعلم في عصره أجمع للحديث منه ولا أكثر رجالاً.

وقال بعضهم: رحل إليه الناس من الأندلس وأقصى المغرب، وكان أهل المشرق يعرفونه ويشهدون له بالنفاذ.

قال الخشني: وسمعت من يقول: إنه لو عاش قليلاً وامتدّ به العمر لغلب على أهل القيروان علمُ الحديث.

ويحكى عنه أن بعضهم[4] ممن كان يميل إلى مذهب أهل العراق أنه أتاه يوماً في مجلس درسه وقال له: حدّثني، ولا تحدّثني إلاّ بما يوافق مذهبي، فعطف مالك بن عيسى على الناس وقال لهم: هذا رجل لا يحب أن يكون عالماً.

وتولّى مالك قضاء بلده قفصة برهة من الزمان على آخر عهد الأغالبة ثم

تخلّى عنه. وعاد إلى سكنى القيروان في أول الدولة العبيدية. وذكر الخشني قال: وامتحنه عبيد الله الشيعي بصحبته[5] وبتعديل الأرض له لتوظيف الخراج الذي يسميه «المقسط».

أقول: والمراد هنا «بالمقسط» هو الخراج الموظف من طرف الحكومة العبيدية على أراضي إفريقية الفلاحية، ويسمّى أيضاً «التقسيط». وقد أبان لنا ابن العذاري ـ والمظنون أنه نقله عن الرقيق ـ عملية توظيف الخراج فقال(*): «وفي سنة 303 هـ ولّى عبيد الله أبا معمر عمران بن أحمد بن أبي محرز بتوظيف التقسيط على ضياع إفريقية بعد أن وزع جميعها ونظر إلى أوفر مال العشور في سنة وأقلّه، ثم جمع المالين ووظف الشطر على كل ضيعة».

ولا شك أن تولّي عمران بن أبي محرز هذا كان في آنٍ واحد مع صاحبنا مالك بن عيسى القفصي.

وتوفي مالك في خلال سنة 305 هـ.

لـه:

1 ـ **الأشربة** ـ قال في أوله: مذهبي في تحريم المسكر مذهب أهل المدينة، وإنما ألّفت هذا الكتاب لرجل صالح سألني أن أجمع له ما ورد في تحريم النبيذ وتحليله، فلا يظن أحد أني أميل إلى تحليله. والظن الغالب أنه بحث في الأشربة من ناحية الحديث فحسب.

مصـادر:

ـ الخشني 174.
ـ المدارك 2 :89.
ـ ابن العذاري 1 :183.

(*) البيان المغرب 1 :175.

مالك بن عيسى القفصي
000 ـ 305 هـ/ 7 - 918 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ في البيان : وكانت له رحلتان في الحديث.

2 ـ أغفل المؤلف أبرز شيوخه في علم الحديث والرواية وهو أبو الحسن أحمد بن عبد الله ابن صالح الكوفي نزيل طرابلس المتوفى سنة 261 هـ. وقد نص ابن نقطة وعياض على روايته عنه فضلاً عمّا ذكره الأول عنه من عبارات الإعجاب والتنويه بشيخه المذكور.

3 ـ هذا نقل عن أبي العرب بواسطة المدارك 5 :124. وما في النص يوافق مخطوطة المؤلف المعتمدة لديه. وفي مطبوعة المدارك الرباطية : «كان قبله فقه كثير. . . الخ».

4 ـ هو أبو العباس الإبياني كما نص عليه الخشني.

5 ـ في بعض مخطوطات مطبوعة المدارك (انظر هامش 434) وامتحنه الشيعي بضيعته مما يفهم منه أن الامتحان هو تغريمه وتوظيف أداء باهض عليه وليس توليته وظيفة في ديوان الخراج كما فهم المؤلف.

II ـ مصـادر :

أ ـ مخطوطات طبعت.

ـ ترتيب المدارك 5 :124 - 125.

ب ـ طبعات جديدة

ـ البيان المغرب 1 :180.

ج ـ إضافات :

ـ الأعلام 265:5.

ـ الإكمال لابن ماكولا 6 :409 (هامش 1) نقل فيه المحقق ما في الاستدراك لابن نقطة.

- تراجم المؤلفين 4 :96 - 97 .
- شجرة النور الزكية 1 :80 .
- القاموس المحيط، التاج (مادة قفصة) .
- معجم المؤلفين 8 :169 .

— 49 —

أبو جعفر القصري

أحمد بن محمد بن عبد الرّحمن بن سعيد بن إبراهيم، أبو جعفر. ويعرف بالقصري(*). كان جدّه الأعلى إبراهيم من موالي الأمير الأغلب بن سالم التميمي.

ولد أحمد بالقصر القديم وقرأ بالقيروان على إسحاق بن عبدوس والمغامي، وفرات بن محمد، وعبد الله بن طالب. وسمع كثيراً بسوسة على عالمها يحيى بن عمر الكناني، وعليه اعتماده في رواية الحديث حتى عدّ من أكبر أصحابه. وهو الذي ألقى عليه السؤالات الواردة في كتاب «أحكام السوق»[1]، كما روى عن كل من كان عنده عناية بالحديث في عصره. وكان جمّاعاً للكتب، كثير العناية بالرواية وتصحيحها حتى قيل: إنه نسخ بخطه ما لم ينسخه أحد من أهل زمانه، وكان كبار العلماء مثل أبي بكر بن اللبّاد وغيره يعتنون بنقل سماعاته من كتبه لثقتهم به وصحة منقوله. وصفه بذلك تلميذه الخشني فقال ـ: «كان جمّاعاً كثير الكتب، يميل إلى علم الحديث، ولم يكن عنده حفظ ولا قريحة، سمعنا منه غير ما شيء من صنوف العلم».

وكان أهل القيروان صغاراً وكباراً يعظّمونه وينظرون إليه بعين التقدير

(*) القصري نسبة إلى قصر بني الأغلب ـ ويعرف أيضاً بالعباسية وبالقصر القديم ـ مدينة كانت على ميلين قبلة القيروان بناها إبراهيم بن الأغلب الأكبر، سنة 185 هـ واتخذها لسكنه، وسكنها الناس بعد انتقال بني الأغلب سنة 264 لما أنشأ إبراهيم الثاني مدينة رقادة وتحول إليها ـ وما زالت بعض أنقاضها باقية إلى الآن.

والإجلال، فقد حكى تلميذه الآخر أبو القاسم بن شبلون قال ـ: «كنّا ـ ونحن صبيان نلعب فإذا مرّ بنا أبو جعفر نترك اللّعب ونهرب إجلالاً له وهيبة منه».

وقال الأجدابي: كان صالحاً ثقة حسن الحديث والتصنيف.

وكان أبو جعفر يقول عن نفسه: لي أربعون سنة ما جفّ لي قلم، من كثرة ما كان ينسخ ويؤلف.

حكى المالكي، قال: وصل أبو جعفر مرة إلى سوسة بقصد زيارة شيخه يحيى بن عمر فوجده ألّف كتاباً، فلم يجد ما يشترى به رقوقاً ينقله فيها، فباع قميصه الذي كان عليه، واشترى بثمنه رقوقاً ونسخ الكتاب وقابله وأتى به القيروان.

ودارت عليه محنة من محمد بن أسود الصديني ـ قاضي القيروان على عهد إبراهيم الثاني[2] ـ بسبب ذبّه عن مذهب مالك، فتخلص منها أبو جعفر بألطف وجه.

ومما يؤثر عن زهده في الدنيا أنه كان يقول: «إني لأشتهي الشيء من الطعام فعند حضوره لا أجد له لذة ولا طعماً».

وتوفّي أبو جعفر القصري بالقيروان عن سنّ عالية في خلال سنة 322 هـ (934 م) فيما روى المالكي وعياض، وقال الدباغ قبلها بسنة، ودفن بمقبرة باب سلم على قارعة الطريق خلف المصلّى.

لـه:

1 ـ «**تجديد الإيمان وشرائع الإسلام**» ويعرف أيضاً باسم «**المعجزات**» أي معجزات النبي ﷺ، وهو مجموع جليل يشتمل على نيف وستين جزءاً[3] في صفات الرسول وشمائله وأخلاقه، اعتمد فيه على ما ورد في ذلك من الآثار الصحيحة. قال المالكي: وقفت على جميعه وقرأته[4] بصقلية وإفريقية. ويوجد منه الآن أجزاء متفرقة في مكتبة جامع عقبة بالقيروان كلّها مكتوبة على الرقوق، منها ما يرجع إلى عصر المؤلف، وبآخرها سماعات كثيرة عليه بتاريخ سنة 281 (894 م) ولا يبعد أن يكون أصل هذه النسخة بخط يده، فمن ذلك

الجزء التاسع عليه سماع بتاريخ رمضان سنة 491 (1098 م) والجزء الثلاثين (في مكارم الرسول) والأجزاء 37 و 38 و 47 و 48 ـ ومنها ما بقي منه ورقات فقط مثل جزء 41 و 42 ـ وعلى كلّ فهي من الآثار الكتابية القيروانية ذات أهمية كبيرة.

مصادر:

ـ الخشني 170.
ـ المالكي 2 :91.
ـ المدارك 3 :94.
ـ معالم الإيمان 3 :9.

أبو جعفر القصري
000 ـ 322 هـ/ 934 م
استدراكات وإضافات

I ـ تعاليق:

1 ـ حقق المؤلف رواية القصري من أحكام السوق. وتحدث في تقديمه بإسهاب عن الرواية وراويها. ينظر مقدمة أحكام السوق، وينظر أيضاً: ورقات (أصل الحسبة بإفريقية) 3 :219 - 221.

2 ـ الأولى أن يقول: قاضي أبي العباس عبد الله بن إبراهيم. ينظر طبقات الخشني ص 238.

3 ـ تحديد أجزاء الكتاب للمالكي.

4 ـ تضيف رواية المالكي: وقرأته مراراً بصقلية وإفريقية.

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك (ط. الرباط) 5 :138 - 139.
ـ رياض النفوس 2 :197 - 199.
ـ معالم الإيمان 3 :11 - 13.

ب ـ إضافات :

ـ الأعلام 1:206.

ـ تراجم المؤلفين 4 :90 - 91.

ـ شجرة النور الزكية 1 :82.

ـ مقدمة أحكام السوق ص 13 - 14.

ـ ورقات (أصل الحسبة بإفريقية) 3 :219 - 221.

— 50 —

أبـو الحكـم الزيّـات

محمد بن حكمون ويعرف بالزيّات، أبو الحكم الربعي. واقتصر صاحب معالم الإيمان في تعريفه بذكر اسمه محمد الزيّات ولم يزد عليه.

وهو من أبناء القيروان المشهورين برواية الحديث وبعلم الكلام، روى ببلده عن ابن مسرور العسّال. ثم سافر إلى بغداد، وأخذ عن أعلام رواتها، ودرس الكلام، وأتقن الجدل، ثم عاد إلى بلده، وقد حمل علماً كثيراً، وعند رجوعه ألقى بين علماء القيروان مسألة الإيمان، وهي من المسائل الخلافية عند المتكلمين من أهل السنّة.

وصورتها: هل يجوز أن يقول الإنسان: أنا مؤمن عند الله، أم لا؟ فلما راجت المسألة وقع خلاف بين كثير من مشاهير فقهاء العصر بالقيروان لا سيما بين ابن أبي زيد وعبد الله بن التبان فاختلفت آراؤهما. ولكل منهما أشياع وأنصار. وآل الأمر إلى وحشة أدت إلى حدّ التهاجر والتقاطع بين الطائفتين. وانقضت آخراً بموت ابن التبان. وقد كان حصل نظيرها في منتصف القرن الثالث بين محمد بن سحنون وابن عبدوس.

قال التجيبي[1]: «كان ابن الزيّات من أهل العلم والتفقّه والفهم، ثقةً، خيراً، عارفا بالحديث ووجوهه، مشهوراً بذلك، نشأ في العلم ومات عليه، لم يُرَ مثله في المحدثين وقاراً وسَمْتا، حسن التصنيف، إماماً في العربية والآداب والأخبار.

توفي في رجب سنة 397 هـ.

لــه :

1 ـ روى التجيبي والدباغ[2] **أن له تصانيف في الحديث لم يذكرا أسماءها.**

مصــــادر :

ـ المدارك 2 :248 قفا ـ خط ـ.

ـ المعالم 3 :165.

أبـو الحكـم الزيّـات
000 ـ 397 هـ/1007 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ كذا أسند المؤلف هذا النقل عن التجيبي. وهو في المعالم مبهم الإسناد، فقد عقّب ابن ناجي على عبارة الدباغ بقوله : «قال غيره».

2 ـ عبارة الدباغ التي تفيد أن له تصانيف هي قوله : كان من أهل الحديث وتصنيف الكتب والآداب والأخبار.

أما العبارة الثانية فهي ما أسنده ابن ناجي عمّن لم يسمّه ونسبها المؤلف للتجيبي وهي قوله : «حسن التصنيف».

II ـ مصــــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت :

ـ المدارك 6 :273.

ب ـ طبعات جديدة :

ـ معالم الإيمان 3 :131.

— 51 —

أبو الحسن بن القابسي[1]

علي بن أبي بكر محمد بن خلف المعافري ويعرف بابن القابسي، أبو الحسن. قال عياض: لم يكن قابسياً وإنما كان له عمّ يشدّ عمامته بشدّ أهل قابس فسمّي بذلك. وهو قيرواني الأصل[2] والنشأة.

قال ابن ناجي: «وهذا فيه نظر. وظاهر قولهم المعروف بابن القابسي يقتضي أن والده كان من أهل قابس. إما أن يكون أتى إلى القيروان وتزوج بها وتزايد له بها، وإما أن يكون أتى به صغيراً». ثم قال: ولما وليتُ قضاء قابس ـ أوائل القرن التاسع ـ وجدتُ بها قرية خالية تسمى بـ «المعافرين» وفيها مسجد يقصد الناس الصلاة فيه تبركاً، يقال له: «مسجد سيدي علي». وترشح عند ابن ناجي أن سيدي علي هذا هو أبو الحسن لا سيما أنه ينتسب إلى «المعافرين». لكن الواقع يخالف ما خطر ببال ابن ناجي، فقد ذكر أبو بكر الصقلي القيرواني قال: «قال لي أبو الحسن القابسي مرة: كُذِبَ عليّ وعليك فسمّوني القابسي وما أنا قابسياً وإلا فأنا قيرواني. وأنت دخل أبوك مسافراً إلى صقلية فنسب إليها».

ومهما يكن فإنه ولد يوم 6 رجب سنة 324 هـ وقرأ بالقيروان على جماعة من مشاهير محدثيها وفقهائها مثل عبد الله بن أبي هاشم التجيبي والعسّال ودرّاس بن إسماعيل وغيرهم، وبمدينة تونس على أبي العباس عبد الله الإبيّاني وعليه كان أكثر اعتماده. ثم سافر إلى المشرق ـ رمضان سنة 352 هـ ـ بقصد الحج وطلب العلم، وقد صحبه رفقاء نخص منهم بالذكر أبا محمد عبد الله الأصيلي(*) وهو الذي كان

(*) عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأموي المعروف بالأصيلي أبو محمد نسبته إلى أصيلة ويقال =

يقيّد له سماعاته إذ كان صاحب الترجمة أعمى لا يرى شيئاً. وأقام في هذه الوجهة خمسة أعوام أدّى فيها فريضة الحج، وسمع الحديث بمكة من أبي زيد المروزي وأبي الحسن النيسابوري، وبمصر من حمزة بن محمد الكناني وغيرهم من علية محدّثي عصره. ثم عاد إلى القيروان ـ شعبان 357 هـ، وتصدر لتدريس الحديث والفقه فأخذ عنه خلق لا يعدُّون كثرة من أبناء إفريقية والمغرب والأندلس من أشهرهم أبو عمران الفاسي وابن عتّاب وأبو عبد الله المالكي وابن الأجدابي ومكّي بن أبي طالب وأبو عمرو الداني المقرىء الأندلسي وحاتم بن محمد الطرابلسي.

ونال ابن القابسي في وقته من الشهرة وبعد الصِّيت ما قلّما تأتّى لغيره فكان معاصروه يجلّونه لخصاله النادرة ويعظّمون قدره ويعترفون بكبير فضله وعلمه. ولا يخفى أنه أول من أدخل رواية صحيح البخاري إلى إفريقية[3] وقد ذكر ابن حجر العسقلاني(*) سنده وسند أبي ذر الهروي[4] وسند من أخذ عنهما فابن القابسي يروي مشافهة عن شيخه أبي زيد المروزي وأبي أحمد محمد بن محمد الجرجاني وهما عن الإمام الفربري عن البخاري[5].

قال عياض: «كان أبو الحسن واسع الرواية عالماً بالحديث وعِلَلِه ورجاله فقيهاً أصولياً متكلماً مؤلفاً مجيداً من الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين. كان أعمى، وهو مع ذلك من أصح الناس كتباً وأجودهم ضبطاً وتقييداً يضبط كتبه بين يديه ثقاة أصحابه ثم قال: وكان أبو الحسن من الورعين سلك في كثير من أموره مسلك شيوخه من صلحاء فقهاء القيروان المتقلّلين من الدنيا».

وقال ابن خلكان: «كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به».

= لها أزيلة من بلاد المغرب الأقصى على المحيط الأطلنطيقي. وهو من كبار أصحاب الحديث والفقه سافر من الأندلس فدخل القيروان ثم رحل منها مع أبي الحسن القابسي وأبي ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي إلى مصر ثم إلى الحجاز. ثم دخل العراق ورجع إلى الأندلس فساد في رواية الحديث وتولّى قضاء سرقسطة، توفي سنة 403 هـ. ترجمه الضبي في بغية الملتمس ص 327[6].

(*) راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ط. مصر سنة ج 1[7].

وقـال محمد بن عمـار الميّورفي : «هو متأخر في زمانه متقدم في شأنه العلم والعمل والرواية والدراية من ذوي الاجتهاد في العبادة والزهد له مناقب يضيق عنها كتاب» .

ولمـا مات شيخـه أبو محمـد عبد الله بن أبي هـاشم التجيبي طُلِب للفتوى مكانه وعزم الناس عليـه فأبى وسـدَّ بابـه دونهم فقال لهم أبـو القاسم بن شبلون: اكسروا عليه بابه لأنه قد وجب عليه فرض الفتيا وهو أعلم من بقي بالقيروان فقبل القابسي مكرهاً ولأول جلوسه للمناظرة أنشد:

لعمـرُ أبيـك مـا نسب المُعلَّى ... إلى كـرم وفي الـدنيـا كـريمُ
ولـكنَّ الـبـلاد إذا اقـشـعـرَّتْ ... وصـوَّحَ نبتُهـا رُعِيَ الـهشـيمُ

ثم بكى وأبكى الناس. وقال: «أنا الهشيم أنا الهشيم. والله لو أن في الدنيا خضراء ما رُعِيتُ أنا» وسار سيرة الثقاة الصالحين الأخيار.

يروى عن تواضعه وفضله ومكارم أخلاقه حكايات كثيـرة تدلّ على مـا كان عليه من مكارم الأخلاق وبُعْدِ الهمة، ومن مشهور نظمه:

أنست بـوحـدتي فلزمت بيـتي ... وطـاب العيش واتصـل السـرورُ
ولـسـت بـسـائـل أحـداً أراه ... أسـار الجنـدُ أم ركب الأميـرُ
وأدّبـني الـزمـان فـليـت أنّـي ... تُـرِكْـتُ فـلا أُزار ولا أزورُ

وحكى محمد بن سعدون المؤرخ القيرواني: أن أبا الحسن بـن القـابسـي ـ رحمه الله ـ جاءه سائل يسأله فلم يجد ما يعطيه فقال له: اقلع هذا الفرد باب وخذه ففعل السائل ذلك.

ومن ورعه أنه احتاج مرّة إلى غسـل يديـه فأوتي بمـاء من مـاجـل المسجد فامتنع من الغسل به وقال: «إنما جُعِل للشراب ولم يجعل لغسل الأيدي . . » .

وذكر أبو طاهر السلفي: أن شخصاً قال في مجلس ابن القابسي: ما قصـر المتنبّي في معنى قوله:

يـرادُ من القلب نسيـانُكم ... وتأبي الطباع على النّاقِـلِ

فقال له أبو الحسن: يا مسكين أين أنت من قول الله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾.

وحكى تلميذه حاتم بن محمد الطرابلسي قال: كنا عند أبي الحسن بن القابسي في نحو من ثمانين رجلاً من طلبة العلم من أهل القيروان والأندلس وغيرهم من المغاربة في عِلّية له فصعد إلينا الشيخ، وقد شق عليه الصعود، فقام قائماً وتنفس الصعداء وقال: والله والله لقد قطعتم أبهري، فقال له رجل من أصحابنا الأندلسيين من أهل الثغر من مدينة وشقة: نسأل الله تعالى أن يحبسك علينا، أيها الشيخ ولو ثلاثين سنة، فقال الشيخ: ثلاثون كثيراً. ثم أنشد:

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يَعِشْ ثمانين حولاً لا أبا لَكَ يسأمِ

فقلنا له: أصلحك الله أوانتهيت إلى الثمانين؟ فقال: زدتها بشهرين أو نحوها[8].

وفضائله ـ رحمه الله ـ كثيرة اقتصرنا على جلب المهمّ منها. وقد دوّنها تلميذه أبو عبد الله محمد المالكي الآتي في تأليف مستقل نقل عنه الدباغ في معالم الإيمان.

ومن تلاميذ أبي الحسن بن القابسي: مكّي بن عبد الرّحمن الأنصاري المتوفّى بالقيروان سنة 422 هـ وهو الذي كان يملي عليه أبو الحسن بن القابسي تواليفه (معالم 3 :219).

وكانت وفاته ليلة الأربعاء ودفن يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر[9] سنة 403 هـ وقبره بالقيروان فيما بين ماجل الأغالبة ومقبرة باب تونس. وأقيم عليه في الزمان المتأخر قبة معروفة يقصدها الزوار. ولما دفن ضربت الأخبية على قبره ورثاه الشعراء بنحو مائة مرثية.

له[10]:

1 ـ **الملخص[11] للمتحفّظين لما في الموطأ من الحديث المسند[12]** جمع فيه ما اتصل به إسناده من حديث مالك بن أنس في الموطأ رواية ابن القاسم وجملة ما

به 520 حديثاً[13] ـ وهو أشهر تآليفه في الحديث وأجلّها.

واختلفت الرواية في ضبط اسم الملخص هل يقرأ بكسر الخاء أو بفتحها، فذهب أبو عمرو الداني إلى إبطال الفتح وصحح الكسر وصوبه واحتج له.

وذهب أبو القاسم المهلّب بن أبي صفرة الأندلسي إلى الفتح[14] وكلاهما حمل هذا الكتاب عن جامعه ابن القابسي وسمعه مباشرةً منه(*).

يوجد منه بمكتبة جامع عقبة بالقيروان قطع كثيرة مكتوبة على الرقّ يرجع تاريخ نسخها إلى عصر المؤلف[15]. ومنه نسخة كاملة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة وكذا بمكتبة بنكيبور في الهند[16].

ووقفت في دار الآثار الوطنية بدمشق على الورقة الأولى منه على الرقّ مرسوم بها بخط قيرواني جميل للغاية (الجزء الأول من الملخص للمتحفظين مما اتصل من حديث مالك بن أنس المدني) رقم عليها عدد 273 كُتِبَتْ في القرن الخامس.

2 ـ **الممهد** (في الفقه وأحكام الديانة) قيل إنه بلغ فيه إلى ستين جزءاً ومات ولم يكمله. وهو مبوّب على أبواب الفقه جمع فيه بين الحديث والأثر والفقه وأجازهُ إلى جماعة منهم: تلميذه أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المقرىء[17]. منه بعض الأجزاء كتبت على الرقّ بخط أخيه في عصر المؤلف محفوظة بمكتبة جامع عقبة بالقيروان.

3 ـ **رتب العلم وفضله وأحوال أهله**[18] وأظنه من نوع «كتاب جامع بيان العلم وفضله» لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ النمري.

4 ـ أحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين[19] وهو في طريقة التعليم وكيف يجب تأديب الأطفال وأجور المعلّمين وما إليها ـ وهو فيما يظهر ـ على نسق كـ «آداب المعلمين» لمحمد بن سحنون لكن بعبارة أوسع.

منه نسخة بمكتبة باريس الشعبية رقم 4595 تاريخ نسخها سنة 706، يخرج

(*) راجع في هذا الخلاف كلام ابن الآبار في التكملة ص 45 ط. الجزائر.

في نحو مائة ورقة. طبع بمصر سنة 1364 بعناية صاحبنا الدكتور أحمد فؤاد الأهواني مع مقدمة طويلة له بعنوان: التعليم في رأي القابسي[20].

5 ـ **المنقذ من شبه التأويل**[21].

6 ـ **المنبه للفطن من غوائل الفتن**[22].

7 ـ **الذكر والدعاء مما للسائل فيه مكتفى**[23].

8 ـ **النافعة في الاعتقادات**[24].

9 ـ **مناسك الحج**[25].

10 ـ **أحمية الحصون**.

11 ـ **النصرة في الرد على الفكرية**[26].

12 ـ **كشف المقالة** كتبها لمن سأله عن مذهبه في آراء أبي الحسن الأشعري المتكلم المتوفّى سنة 334 هـ، وقد أثنى فيها على الأشعري[27].

13 ـ **حسن الظن بالله تعالى**[28].

14 ـ **الورع**، رسالة[29].

15 ـ **تزكية الشهود وتجريحهم**.

وله رسائل كثيرة في أغراض شتى من العلم.

مصـــادر:

ـ المدارك 2 :283.
ـ الصلة 2 :545.
ـ التكملة 1 :195.
ـ مرويات ابن خير: 296.
ـ تذكرة الحفاظ 3 :264.
ـ ابن خلكان 1 :481.
ـ معالم الإيمان 3 :168.

ـ الوافي بالوفيات ـ خط.
ـ نكت الهميان: 217.
ـ الديباج 199 و 194.
ـ ابن الجزري 1: 567.
ـ شذرات الذهب 3: 168.
ـ كشف الظنون 517.
ـ بروكلمان ملحق 1: 277 و 298.

ابـن القابسـي
324 هـ/ 936 م ـ 403 هـ/ 1012 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ إتباع لقبه بلفظ «ابن» جرى عليه المالكي في رياض النفوس حيثما ذكره (الرياض، فهرس الأعلام).

2 ـ انفرد الثعالبي في إجازته (غنية الوافد) بذكر ولادته في قابس.

3 ـ يراجع فهرس ابن خير ص 97 ففيه تفصيل طرق اتصال سند الأندلسيين من طريق ابن القابسي.

4 ـ لاحظ أبو علي الغساني ـ فيما أسنده عنه ابن خير ـ أن روايات صحيح البخاري كلّها متقاربة. ثم أضاف: وأقرب الروايات إلى رواية أبي ذر (الهروي) رواية أبي الحسن ابن القابسي (فهرست ابن خير ص 98).

5 ـ لتوضيح ذلك نشير أن رواية الفربري (ت 320 هـ) بلغتنا من طرق عديدة أشهرها تسع طرق، وأن ابن القابسي رواها من طريقين: الأول ـ وهو المشهور ـ طريق أبي زيد محمد بن أحمد المروزي، والثاني طريق أبي أحمد محمد بن محمد الجرجاني. ينظر: فتح الباري 1: 9 - 10.

6 ـ وينظر عنه أيضاً: جذوة المقتبس رقم 542، وتاريخ رواة العلم رقم 670.

7 ـ ج 1 ص 9 - 10 ط مصطفى الحلبي (مصر 1378/1959).

8 ـ قال الدباغ (المعالم 3: 142) توفي وله من العمر ثمانون سنة إلاّ خمسة أشهر.

9 ـ فيما نقله ابن بشكوال عن تلميذه حاتم الطرابلسي ـ وكان حاضراً ـ أنه توفي في

جمــادَى الأولى من السنـة المــذكـورة (الصلة ص 155 رقم 354 تــرجمـة حــاتم الطرابلسي).

10 ـ ضبط ابن القاضي تآليف ابن القابسي أنها «خمسة عشر تأليفاً» (نص نقله م. إبراهيم الكتاني عن فهرست ابن القاضي في مقاله «جولة في المخطوطات العربية بإسبانيا دعوة الحق م 9 عدد 9 ص 83»).

11 ـ ضبطه ابن مكي في تثقيف اللسان ص 251 بالكسر وقال: كذا سمّاه مصنّفه.

12 ـ جاء عنوانه في نسخة القرويين: «الملخص للمتحفِّظين مما اتصل من حديث موطأ أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه».

13 ـ عددها مائتان وخمسون حديثاً حسب سزكين (تاريخ التراث العربي م 1 ج 2 :176).

14 ـ ألف أحمد بن مروان بن محمد التجيبي، يعرف بابن شاب، تأليفاً مستقلاً في ضبط اسم الملخص والكلام عليه، رجّح فيه رأي أبي عمرو الدّاني. ينـظر تكملة الصلة (رقم 100). وينظر تعقيب ابن عبد الملك في الذيل والتكملة 1 :539.

15 ـ ينظر سجلّ قديم لمكتبة جامع القيروان ص 27 هامش (1).

16 ـ فيما يلي ما وقفنا عليه من نسخ الملخص:

- تونس، المكتبة العاشورية رقم 538 [ق ح].
- فاس، خزانة القرويين رقم 805، و 1391.
- تافيلالت، المكتبة الحمزية رقم 192.
- القاهرة، دار الكتب المصرية رقم 662 طلعت. حديث (عن سزكين).
- المدينة المنوّرة، عارف حكمت رقم 35.
- استـانبول، مكتبـة شهيـد علي رقم 290/2 (عن سـزكين) ورقم 556. ومن هـذه الأخيـرة نسخة مصـورة بمعهد المخـطوطات العـربية بـالقاهـرة تحت عـدد 507 حديث.
- الهند، مكتبة بنكيبور 9/1/5 رقم 128 (عن سزكين).

17 ـ هذا كلّه كلام الـدباغ في المعـالم على أنه لم يـذكر من اسم الكتـاب إلّا المقتطع المشهور «الممهد». وذكره عياض بتمام الاسم ولم يزد على ذلك. وجعلهما صاحب الديباج كتابين.

18 ـ بهذا ورد اسمه عند عياض. وهو من مرويات ابن خير في فهـرسته. ولم يـورد من اسمه إلّا الشطر الأول فقط.

19 ـ أكمل الصيغ الواردة لاسم هذه الرسالة هو ما جاء في المدارك: «الرسـالة المفصلة

لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين». وبدون كلمة «رسالة» على ظهر النسخة الخطيّة الوحيدة. ينظر: الرسالةالمفصلة ص 52 ط. تونس. وما جاء في الديباج من ذكر لكتاب «الرسالة المفصلة لأحوال المتقين» و«كتاب المعلمين والمتعلمين». هو اختزال مخل أو قراءة محرفة لاسم «الرسالة المفصلة. .».

20 ـ هذه الطبعة الأولى، منشورات الخانجي 1945/1364. وطبع سنة 1968 (دار المعارف مصر) ضمن عنوان «التربية في الإسلام» من ص 267 إلى 349، وطبع في تونس (الشركة التونسية للتوزيع) مع ترجمة بالفرنسية لأحمد خالد.

21 ـ ورد ذكره في المدارك والمعالم. وفي هذا الأخير جاء اسمه «المبعد من شبه التأويل».

22 ـ ورد ذكره في المصدرين السالفين. وهو من مرويات ابن الفرضي عن ابن القابسي. ومن طريقه رواه ابن عبد البر. ينظر جذوة المقتبس ص 238. وجاء اسمه في هذه الرواية «المنبّه لذوي الفطن على غوائل الفتن».

23 ـ بهذا سمّاه ابن خير في فهرسته. وهو من مروياته. وذكره عياض والدباغ باسم «رسالة في الذكر والدعاء» (الدباغ) و«كتاب الذكر والدعاء» (المدارك).

24 ـ ورد اسم هذا الكتاب عند المؤلف «الاعتقادات والمناسك» وهو جمع بين كتابين في عنوان واحد. وقد أخذنا في تسميته برواية ابن خير، وهو من مروياته. واسمه في المدارك والديباج «كتاب في الاعتقاد» ويقول الدباغ إنه «رسالة». . .

25 ـ هو من مرويات ابن خير في فهرسته. وذكره عياض والدباغ وابن فرحون.

26 ـ هو من مرويات ابن خير في فهرسته وسماه «الناصرة» وذكر أنها رسالة ولم يزد. وتمام الاسم من المدارك والديباج. وفي بعض نسخ الديباج والمدارك: في الرد على البكرية بالباء التحتية المفردة.

27 ـ كذا ورد تعريفها عند المؤلف. ولم نستبن مصدره. وفي المدارك والديباج «كشف المقالة في التوبة (رسالة). «ولعل معتمده ما جاء في الديباج» 2 :94 في ترجمة أبي حسن علي بن إسماعيل الأشعري: «. . . وكان أبو الحسن القابسي يثني عليه. وله رسالة في ذكره لمن سأله عن مذهبه فيه، أثنى عليه وأنصف» ولو لم يكن صريحاً في انطباقه على هذه الرسالة بالذات.

28 ـ من مرويات ابن خير في فهرسته. وذكره عياض وابن فرحون.

29 ـ ورد ذكر الرسالتين رقم 14، 15 في المدارك والديباج.

II ـ مصـــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت :

ـ ترتيب المدارك 7 :92 - 100 .

ب ـ طبعات جديدة :

ـ تذكرة الحفاظ ص 1079 - 1080 .

ـ الديباج 2 :94، 101، 102 .

ـ الصلة لابن بشكوال ص 570 (ترجمة محمد بن سعدون القروي) .

ـ كشف الظنون ص 1908 .

ـ معالم الإيمان 3 :134 - 143 .

ـ وفيات الأعيان 3 :322 - 324 .

ج ـ إضافات :

ـ الأعلام 4 :326 .

ـ الإكمال لابن ماكولا 6 :380 .

ـ إيضاح المكنون 2 :566، 584 .

ـ البداية والنهاية 11 :385 .

ـ تراجم المؤلفين 4 :45 - 50 .

ـ سِيَر أعلام النبلاء 17 :158 - 162 .

ـ شجرة النور الزكية 1 :97 .

ـ الصلة لابن بشكوال ص 155 (ترجمة حاتم الطرابلسي) .

ـ طبقات الفقهاء ص 161 .

ـ العبر للذهبي 3 :85 - 86 .

ـ غنية الوافد (إجازة الثعالبي) ورقة 6 و.

ـ فهرست ابن خير 250، 260، 296 .

ـ فهرس مخطوطات خزانة القرويين 2 :476 - 478 .

ـ فهرس المخطوطات المصورة 1 :109 .

ـ فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس ص 730 .

ـ قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامعة القرويين ص 19 .

ـ القراءات بإفريقية ص 312 - 317 .

ـ مجلة معهد المخطوطات العربية 2 :365، 5 :165 .

ـ مختصر دول الإسلام 1 :188 .
ـ معجم المؤلفين 7 :194 .
ـ مكتبة الزاوية الحمزية (مجلة تطوان 8 :162) .
ـ النجوم الزاهرة 4 :233 - 234 .
ـ نماذج من الكتاب العربي المخطوط والمطبوع ص 11 .
ـ وفيات ابن القنفذ ص 227 .
ـ هدية العارفين 1 :685 .

— 52 —

ابن عذرة

إسماعيل بن إسحاق بن عذرة[1] أبو بكر الأزدي.

محدّث قيرواني فاضل من أصحاب ابن أبي زيد[2]، رحل إلى المشرق[3] فلقي أبا بكر الأبهري وأخذ عنه وعن محمد بن مجاهد الطائي البصري وغيرهما، وكان انشغاله بالحديث. وغلب عليه الزهد والعبادة والانقطاع، وسمع منه الناس الحديث بإفريقية، وأثنى عليه ابن أبي زيد في تآليفه. وممن اختص[4] بالرواية عنه أبو عبد الله محمد بن هبة الله الضرير المقيم في القصر الكبير بمنستير إفريقية.

ولم نقف على ذكر وفاته إلا أنه يظهر أنه مات أوائل القرن الخامس في مدة المعز ابن باديس[5].

لـه:

1 ـ **تبويب صحيح الإمام مسلم بن الحجاج**، قال ابن رشيد الأندلسي في رحلته[6] «إن الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفى سنة 261 هـ) وضع مسنده في الحديث غير مبوب فبوّبه أبو بكر الفقيه القيرواني وكان رجلاً صالحاً».

مصـادر:

ـ مرويات أبي بكر بن خير ص 258.
ـ المدارك لعياض ص 328 (خط).
ـ ثبت سيدي عبد الرّحمن الثعالبي (خط).

ابـن عـذرة
000 ـ 405 هـ/ 1014 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ كذا ورد لقبه في ترجمته في المدارك، بينما ورد في ثنايا تـراجم المـدارك 6 :198، 199 وفي رياض النفوس 2 :436، وفهرست ابن خير ص 258، 272، وفي ترجمته في المعالم (أصل الدباغ) ص 318: ابن عزرة.

2 ـ ترجم له في المعالم ص 318 وقال عنه: كان من المبرزين في العبادة، السالكين طرق الإرادة المتصرفين في أنواعٍ من العلم.

3 ـ كان خروجه من القيروان ورُحلته إلى المشرق سنة 368 هـ ثم رجع إلى القيروان وأقام بها زماناً. ثم رحل ثانية إلى المشرق بنية الإقـامة. وتـوطّن الحرم، وسـاد أهلَه قولاً وفعلاً. المعالم (أصل الدبّاغ).

4 ـ أشهـر من عرفنـا من الرواة عنـه وبلغتنا روايـاتهم هم أبـو القـاسم حـاتم بن محمـد الطرابلسي، لقيه بمكة (فهرست ابن خير ص 272).

5 ـ في المعالم: إنه لم يزل مجاوراً بالحرم إلى أن مات يوم الأحد 22 محرم 405.

6 ـ لم نقف على هـذا النقل فيمـا طبع من رحلة ابن رشيـد. والنص نقله عبد الـرّحمن الثعالبي في ثبت مروياته. وقد أسنده عن ابن رشيد دون تسمية الكتاب الذي نقل عنه.

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 7 :274 - 275.

ـ ثبت عبد الرّحمن الثعالبي (الحياة الثقافية عدد 25 [1983] ص 142.

ب ـ إضافات:

ـ معالم الإيمان (أصل الدباغ) ص 318 - 319.

ـ ترتيب المدارك لعياض 6 :198 - 199.

ـ رياض النفوس للمالكي 2 :436.

ـ الغنية في شيوخ القاضي عياض ص 92.

ـ فهرست ابن خير ص 272.

ـ فهرس ابن عطية ص 97.

— 53 —
أبو الرجال المؤدب

أبو الرجال بن حسن المؤدب. ولا نعرف من اسمه أكثر من هذا. فقيه قرأ بالقيروان. ثم انتقل إلى سكنى المهدية حين الزحفة الهلالية. وكان بها مدة الأمير تميم بن المعز حدود سنة 470 هـ[1].

وفي مكتبة جامع عقبة جزء من المدونة عليه تحبيس باسم أبي الرجال هذا بتاريخ 429 هـ.

لـه:

1 ـ **مجموع أحاديث سفيان بن عيينة من رواية عمرو بن دينار، وأحاديث أشهب الزهري**[2] رواها أبو الرجال هذا عن أبي بكر محمد بن محمد عن يحيى بن عمر الخ..

منه قطعة مكتوبة على الرقّ بمكتبة جامع عقبة بالقيروان.

مصــادر:

ـ المدارك 3 :362.

أبو الرجال المؤدب
000 ـ كان حيّاً سنة 429/7 - 1038
إضافات واستدراكات

I ـ التعاليق:

1 ـ ما ذكره المؤلف عن انتقال أبي الرجال إلى المهدية وتحديد الفترة التي عاش فيها سنة

470 هـ مبناه عبارة عياض في المدارك: «قيرواني» فقيه فاضل، أراه سكن المهدية» بالإضافة إلى الإطار الزمني الذي وضعه فيه صاحب المدارك حيث ترجم له بين علماء وفقهاء عاشوا في تلك الفترة بين سنتي 460 - 490 هـ. لكن ما جاء في نص التحبيس (429 هـ). وما جاء في روايته عن ابن اللباد (أبو بكر محمد بن محمد) المتوفّى سنة 333 هـ قد يجعل من العسير القول بأنه عاش إلى ما بعد نكبة القيروان سنة 449. وحتى تاريخ التحبيس (429) وروايته عن ابن اللباد (المتوفى 333 هـ) تبعد ذلك الاحتمال اللهم إلاّ إذا كان عمّر طويلاً وهو ما لم تشر إليها المصادر. لكل هذا فنحن نطمئن إلى القول بأنه كان حيّاً سنة 429 هـ وعسى أن يكشف عن غير ذلك.

2 ـ كذا في الأصل، والصواب: ابن شهاب الزهري. وهو مشهور ومعروف.

II ـ مصـادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 8 :110.

— 54 —

ابن الضابط

عثمان بن أبي بكر بن حمّود بن أحمد الصدفي ويعرف بابن الضابط، أبو عمرو الصفاقسي. إمام كبير من أئمة الحديث واللّغة والأدب.

مولده بمدينة صفاقس في سنة 385 هـ أو في التي بعدها. وقرأ بالقيروان على مشاهير علمائها. ثم رحل - في حدود عام 421 هـ - إلى المشرق وتجوّل في أنحائه فزار مصر والحجاز والشام والعراق وطاف بما وراء النهر واختبر البلاد والعباد وعرف كثيراً من أخبار الأقطار التي دخلها ومَنْ فيها من أهل الرواية والعلم، وكان اعتماده في الرواية على أبي نعيم(*) وهو أجلّ من لقيه.

حكى في رحلته[1] قال: «صحبته بأصبهان وكتبت عنه نحو مائة ألف حديث بخطّي ولم ألق مثله في العلم والعمل». وسمع أيضاً من محمد بن علي الحافظ الفسوي ومن أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وأبي ذرّ الهروي. وأخذ في سرخس عن كريمة بنت أحمد السرخسية وعن جماعة يطول تعدادهم وذكَرَهم هو في رحلته.

وبعد[2] أن حصل من العلم على ما يعجز عنه غيره رجع إلى إفريقية - في حدود 425 - وأقرأ الناس الحديث واللّغة والأدب، وقد علا صيته وبرزت صفاته ومزاياه، وبعد مدة يسيرة من استقراره بوطنه عيّنه الأمير المعز بن باديس لتبليغ

(*) أبو نعيم هو أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني، إمام حفاظ الحديث في عصره، مولده سنة 336 هـ وتوفي سنة 430 هـ، وله مؤلفات كثيرة مشهورة منها «حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء» لم يصنّف مثله في بابه، راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ج 3 :275، وغيره.

رسالة إلى قيصر الروم بالقسطنطينية إجابةً عن السفارة الوافدة على القيروان من طرف ملك الروم. وقد نقل ابن العذاري خبر هذه السفارة حيث قال: (*) «وفي سنة 426 هـ وصلت إلى المعز بن باديس من ملك الروم هدية لم يُرَ مثلها في كثرة ما اشتملت عليه من أمتعة الديباج الفاخر وغير ذلك».

فسافر ابن الضابط ـ في أواخر 26 أو أوائل 27 ـ على طريق البحر مصحوباً بهدايا ثمينة فأدّى رسالته على أحسن ما يرام وبلغ ما كُلِّفَ به أحسن تبليغ، ورجع بعدها إلى القيروان. وعاد إلى ما كان عليه من الاشتغال بالعلم ونشره.

ثم سافر إلى الأندلس(3) ـ سنة 436 ـ وتطوّف في أنحائها مدة عامين كاملين يروح ويغدو بين العواصم الكثيرة مثل قرطبة وطليطلة وإشبيلية وغيرها. وأينما يحلّ يلقى الحفاوة والإكرام من العلماء والأمراء.

عرّفه المؤرخ ابن بشكوال بقوله: «كان حافظاً للحديث وطرقه وأسماء رجاله ورواته، منسوباً إلى فهمه ومعرفته، كان يملي الحديث من حفظه ويتكلم على أسانيده ومعانيه، عارفاً باللغة والإعراب، ذاكراً للغريب والآداب، ممن عُنِيَ بالرواية وشهر بالفهم والدراية، يجمع إلى ذلك حسن الخلق وأدب النفس وحلاوة الكلام ورقة الطبع، وصفه بهذا غير واحد ممن لقيه وجالسه» ثم قال: «وحدث عن أبي عمرو علماء الأندلس قاطبة في كل بلد دخله من بلدانها، وهو أول من أدخل الأندلس كتاب غريب الحديث للخطابي».

وذكره صديقه العالم الأندلسي أبو عمر بن الحذّاء في كتاب رجاله الذين لقيهم، فقال: «قدم علينا طليطلة، وسنّه يومئذٍ نحو الخمسين، وكانت له رواية واسعة، ومعه كتب كثيرة من روايته وعنده غرائب».

كما ذكره الحميدي فقال: «كان فاضلاً عاقلاً، قرأت عليه كثيراً وكتبت عنه، ومما روى عنه:

لنا صديق مليح الوجه مقتبل ... وليس في وده نفع ولا بركهْ

(*) البيان المغرب 1: 286.

شبّهته بنهار الصيف يوسعنا طولاً ويمنع عنّا النوم والحركهْ

وقال ابن بشكوال: «وقرأت بخط شيخنا أبي علي الصدفي وقد ذكر أبا عمرو السفاقسي، حكي عنه أنه قال: «بعث إليّ شعراء القيروان حين مقامي بها، وهم ابن رشيق وابن شرف وابن حجاج وعبد الله العطّار، يسألونني أن أرسل إليهم بشعري، فقلت للرسول: «إنه في مسوّداته»، فقال: «كما هو» فأخذته وكتبت عليه ارتجالاً ثم بعثت به.

خطبت بناتي فأرسلتهنّ إليك عواطل من كل زينَهْ
لتعلم أنّيَ ممن يجود بمحض الوداد ويشنا ضنينه

فأجابوني عن بطء بهذه الأبيات:

أتتنا بناتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتنَّ زينَهْ
فلما سفرن فضحن الشموس وسرب الظباء وأخجلن عِينه
ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه:
أفي بابل نحن أم في العراق وفوق البسيطة أم في سفينهْ
فدعني أراقب ضوء الجميع لنسمع من كلّ مدح عيونه

وعلى ذكر شعر ابن الضابط هنا لا ندري السبب الذي حمل ابن رشيق على إهماله وإلغائه من بين الشعراء الإفريقيين الذين ترجم لهم في كتابه «الأنموذج» مع أنه كان له معاصراً وديوان شعره بين يديه كما يستفاد من الحكاية المتقدمة(4).

ومن ناحية أخرى فربما يخطر بالبال أن سفر ابن الضابط إلى الأندلس وإقامته فيها عامين كاملين كان لغرض سياسي خفي مثل شدّ العلائق بين القطرين الإفريقي والأندلسي حين عزم الأمير المعز على إنكار الدعوة للفاطميين بمصر والاعتراف بالخلافة العباسية ببغداد. وإذا كان الأمر كذلك فإن البلاد الأندلسية كانت في عجز تام على إفادة القيروان أيّة إفادة لاضطراب أحوالها السياسية وتفاقم داء الشقاق بين ملوك طوائفها.

ومهما يكن فقد عاد ابن الضابط إلى القيروان ـ أواخر سنة 438 ـ وبقي على

مواصلة تامة لأحبابه وتلاميذه بالأندلس بالمراسلة. قال ابن الحذّاء المتقدم: «ثم انصرف إلى القيروان وكان لي صديقاً. وتكررت كتبه إليّ من القيروان».

وفي خلال مدة إقامته بإفريقية عيّنه المعز بن باديس للمرة الثانية سفيراً إلى قيصر القسطنطينية في بعض الأغراض السياسية. ولم يتعرض رواة التاريخ إلى هذه السفارة ولا إلى مرماها. والمظنون أن القصد منها كان لإعلام الحكومة البيزنطية بقطع العلائق بين الإمارة الصّنهاجية والدولة الفاطمية بمصر.

والذي نعلمه أن ابن الضابط ركب البحر من المهدية أو من سوسة ـ حدود سنة 442 هـ ـ بقصد الوصول إلى القسطنطينية وأنه لم يعد من سفرته هذه.

واختلفت الرواية في وفاته، فذكر الضبي(*) أنه مات مجاهداً في جزيرة من جزائر الروم[5]، بمعنى أنه خرج على سفينته لصوص البحر (القرصان) من إحدى جزائر بحر اليونان فاستشهد، وقال ابن بشكوال ـ بالنقل عن ابن الحذاء المتقدم ـ ثم صرفه الصنهاجي صاحب القيروان إلى القسطنطينية فمات في طريقها إما وارداً وإما صادراً بعد سنة 440 هـ رحمه الله».

ووقع في بعض نسخ رحلة التجاني أنه مات بعد سنة أربع وأربعين [وأربعمائة] وهو وهم من النساخ لا محالة إذ إن التجاني نقل خبره عن ابن بشكوال. وقد نص هذا الأخير على سنة 440 هـ لا 444. ولا يصح أن تكون هذه السنة الأخيرة لاختلال أحوال إفريقية فيها ومهاجمة الأعراب عليها، فلينتبه.

لـه:

1 ـ **فهرسة مروياته**[6].

2 ـ **عوالي الحديث**، ويعرف «بعوالي الصفاقسي»(**) في جزء ضخم[7]، كتبها ابن الضابط إلى أبي محمد عبد الرّحمن بن عتاب، وكثيراً ما يرد ذكرها في مسانيد الحديث.

(*) بغية الملتمس ص 397.

(**) كان اسم مدينة صفاقس يكتب قديماً بالسين ثم حول في حدود القرن الثامن فصار يرسم بالصاد، وفي نظرنا أن رسمها بالسين أولى وأقرب للنطق الجاري على الألسن.

3 ـ **مجموعة أشعار**[8].

4 ـ **وله غير ذلك مما لم نقف على تسميته**.

مصـــادر :

ـ بغية الملتمس 397 .
ـ الصلة 1 :400.
ـ التجاني 57.
ـ الديباج : 188 .
ـ الحلل السندسية ص 141 .
ـ مقديش 2 :122 .

وكلاهما نقلاً عن الصلة[9] .

ابـن الضـابـط
385 هـ/ 5 - 996 م ـ ق 5 هـ/ 11 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ كذا والأصح : في فهرسته.

2 ـ حاول المؤلف في هذه الفقرة الربط بين خبر الهدية التي أرسلها ملك الروم إلى المعز ابن باديس سنة 426 هـ (البيان 1 :275) وبين ما جاء في ترجمة ابن الضابط من إشارة غير مفصلة عن سفارتين قام بهما إلى القسطنطينية مرسلاً من طرف المعز بن باديس (الصلة 2 :388) وإتماماً لهذا الربط جعل المؤلف فارقـاً زمنياً متبـاعداً بين السفـارتين فالأولى في سنة 426 هـ أو 427 بينما الثانية بعد سنة 438 هـ.

لكن المتمعن في نصّ ابن بشكوال الذي أسنـده عن أبي عمر بن الحـذاء ـ وكان تلميذاً وصديقاً لابن الضابط وبينهما مراسلات مستمرة ـ يترجح لديه أن ابن الضابط خرج في السفارة الأولى بعد انفصاله عن الأندلس سنة 438 هـ: «تجول بالأندلس نحو عـامين. ثم انصرف إلى القيـروان فوجهـه الصنهاجي رسـولاً إلى القسـطنـطينيـة ثم انصرف عنها. وكان لي صديقاً، وتكررت كتبه إليّ من القيروان ثم صرفه الصنهاجي

إلى القسطنطينية فمات في طريقها إما وارداً وإما صادراً رحمه الله».
3 ـ هذا يتفق مع ما ذكر الحميدي وابن بشكوال من أنه «رجع إلى المغرب سنة 436 هـ»، ويضيف الثاني: «ودخل قرطبة في هذا التاريخ».
4 ـ هل يكون ابن رشيق اطلع على شعره بعد تأليف كتاب الأنموذج الذي انتهينا إلى أنه ألف قبل سنة 422 هـ (ينظر تقديمنا لكتاب الأنموذج ص 23).
5 ـ هو في الحقيقة نص الحميدي في الجذوة ص 285.
6 ـ ذكره المؤلف بهذا الاسم وباسم «تقييد رحلته إلى المشرق، وفيها أخبار ما شاهده من البلدان ومن اجتمع به من العلماء وروى عنهم».

ولم نجد من مترجميه من نسب له هذا التقييد. وربما استروحه المؤلف مما ورد في حديثه عن شيخه الحافظ أبي نعيم عند ابن بشكوال. وهذا النص مما يُذْكر عادةً في فهارس الشيوخ وكتب المرويات ولذلك اعتبرنا هذا الاسم ليس إلا عنوانا لمحتويات الفهرسة. وهي من مرويات ابن خير وعنه صاحب فهرس الفهارس.
7 ـ أشار إلى هذه العوالي التجاني وقال: إنها في جزء. وذكرها عياض في مروياته. وذكر أنها أجزاء.
8 ـ نسب لـه المؤلف كتاب «الاقتصاد في القراءات السبع» والصواب أنه لأبي عمرو الداني المقرىء المشهور (ت 444 هـ) ولعل مردّ الخطأ الذي وقع فيه المؤلف عدم وضوح سند ابن خير في روايته للكتاب. وقد عوضناه بما ذكرنا استرواحاً في حكاية مراسلته مع شعراء القيروان.
9 ـ بغية الملتمس تنقل عن جذوة المقتبس والبقية تنقل عن الصلة.

II ـ مصادر:

أ ـ طبعات جديدة:
- الحلل السندسية 1 :322 ومصدرهم جميعاً الصلة.
- الديباج المذهب 2 :85 - 86.
- رحلة التجاني ص 78 - 80.
- الصلة 387 - 390.

ب ـ إضافات:
- الأعلام 4:204.
- برنامج التجيبي ص 106 - 107.

- تراجم المؤلفين 3 :261 - 263.
- جذوة المقتبس ص 285 - 286.
- شجرة النور الزكية ص 109.
- الغنية لعياض ص 183.
- فهرست ابن خير ص 435.
- فهرس الفهارس ص 712.
- معجم المؤلفين 6 :251.

— 55 —
الميّـانشـي

عمـر بن عبد المجيـد بن عمر ـ وقيـل: ابن الحسن ـ القـرشي أبـو حفص شهر الميّانشي. وميّانش قرية صغيرة من قرى المهدية لها ذكر في التاريخ. وكانت عامرة إلى آخر الدولة الصنهاجية وهي الآن خراب وبقي مكانها معروفاً باسمه المتقدم.

وقرأ أبو حفص الميّانشي بالمهدية، ومن شيـوخه بهـا الإمام المـازري. ثم رحل إلى المشرق وأخذ الحديث عن الرّاوية الكبير أبي عبد الله الرازي، وسمع من جماعة أخر.

حكى أبو بكر عمر بن سعيد قال: حدثني الميّانشي بمكة قال: لما فارقت أبا عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري بـالمهديـة بعد أن صحبتـه مدة طويلة وصلت الإسكندرية وأقمت بها، فدخلت جامعها ذات يوم فإذا جماعـة من أهل الزهد والتصوّف مع شيخ لهم في مقصورة الجامع جلوس، فركعت وقعـدت إلى سارية بالقرب منهم، فتواجد منهم رجل وكان يلبس قميصين أحدهما خلق يلي جلده والثاني جديد، فترك الجديد ومدّ يده إلى الخلق فمزقه فقبض عليه أصحابه وحملوه إلى ذلك الشيخ وقالوا: يا شيخَنا إن هذا كاذب في تواجده فقال: ومن أين تحققتم كذبه؟ قالوا: لأنه ميز بين الخلق والجديد. ولو كان صادقاً ما ميّز بينهما. فقال لهم الشيخ: اذهبوا إلى ذلك الرجل القاعد فقد حكمته في هذا. قال: فأتوا إليّ وهم يمسكونه فقلت لهم: خلّوا عنه. فسألـوني. فقلت لهم: لا شيء عليه، فرجعوا إلى الشيخ وأخبروه. فقال لهم: عليّ به، فأتوا إليّ وقالوا: الشيخ يدعوك، فنهضت إليه فقال لي: من أين حكمت أن هذا لا شيء عليه؟ فقلت لـه: تواجـد

فوجد فمدّ يده ليمزق قلبه فلم يصل إليه فمزق ما يليه. فاستحسن ذلك هو ومن حضره. وقال لي: أراك أخذت هذا من قول الشاعر:

يدي قصرَتْ عن أن يمزق جيبها ولم يكُ قلبي حاضراً فيمزقا

فقلت له: والله ما سمعت بهذا البيت قط.

وانتقل آخرَ حياته إلى الحجاز. وأقام مجاوراً بمكة يقرىء الحديث. وتولّى مشيخة الحرم إلى أن مات سنة 581 هـ. وقيل 579[1]/(1183) والأول أصح كما أثبته الذهبي.

لـه: [2]

1 ـ **معرفة ما لا يسع المحدّث جهله**[3] موجود بمكتبة بنكور في الهند وكذا بمكتبة رفبور في الهند أيضاً.

2 ـ **روضة المشتاق والطريق إلى الحكيم الخلاق**، أتمه سنة 565 هـ (1170 م) ـ موجود بمكتبة برلين[4] وبمكتبة آصف باسطنبول[5].

3 ـ **تاريخ مكة المشرفة**، ذكره الفاكهي في تاريخه[6] ونقل عنه.

مصـادر:

ـ بغية الملتمس ص 13 ـ معجم البلدان 3: 219 ـ النجوم الزاهرة 6: 101.
ـ شذرات الذهب 4: 272.
ـ بروكلمان، ملحق 1: 633.

الميانشي
000 ـ 581 هـ/ 5 - 1186 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ هذا تاريخ تأليفه لكتابة «معرفة ما لا يسع المحدث جهله» كما في كشف الظنون.
2 ـ فات المؤلف ذكر بعض مؤلفات الميانشي، وهي:

4 ـ **الانتقاء والانتخاب من كتاب (فردوس الأخبار لأبي شجاع الديلمي المتوفّى سنة** 509 هـ).

تونس، دار الكتب الوطنية رقم 16519 (خلدونية 3288).

تونس، مكتبة محمد الشاذلي النيفر (المعلـم 1 :37) ويسمّيه «اختصار **فردوس الأخبار** وترتيبه».

ويذكر الزركلي في الأعلام أن للمترجم «تعليقات على الفردوس» في مكتبة جستر بيتي ـ دبلين ـ تحت رقم 4971. ولعله هـو نفسه كتـاب «الانتقاء والانتخاب».

5 ـ **الاختبار في الملح والأخبار**، يـذكر الـزركلي أن في مكتبة جستـر بيتي نسخة خطية منه تحت رقم 4971.

6 ـ **المجالس المكّية في الأحاديث النبوية**. وهو من مرويات القـاسم التجيبي في برنامجه. ذكر الشيخ عبد الحي الكتاني أنه سمعه على والده من أصل عتيق بخط الحافظ أبي العلاء العراقي.

3 ـ اسمـه في المخطوطـات «إيضاح مـا لا يسع المحـدث جهله» ومنه مخـطوطات في المكتبات التالية:

ـ الرياض، جامعة الملك سعود رقم 719، ورقم 1411/1.

ـ بغداد، مكتبة الأوقاف العامة رقم 10129/1.

وذكر بروكلمان مخطوطاته في المكتبات التالية:

ـ استانبول، شهيد علي رقم 2822.

ـ الهند، مكتبة بنكيبور (فهرس ج 5 ق 2 ص 439).

ـ (ونشـره الحـاج صبحي السـامـرائي، بغـداد، شـركـة الـطبـع والنشـر الأهليـة 1967/1387 ـ 17 صفحة).

4 ـ أشار إليها بروكلمان. ورمز لمكتبة برلين بـ QU 1188.

5 ـ بـل هي المكتبـة الآصفيـة (فهـرس ج 3 ص 680 رقم 408) وهي من أهم مكتبـات حيدر آباد الدكن.

6 ـ استند المؤلف إلى بروكلمان. ولفظه ـ كما جاء في «الترجمة العربية». . 3 ـ راجـع تاريخ مكة المشرفة «للفاكهي». «الترجمة العربية 3 :13» ولم نفهم مراده من إشارته هذه وما استنتجه المؤلف منها مستبعد خاصة أن الفاكهي المـذكور كـان حيّاً سنـة 277 هـ.

II ـ مصـــادر :

أ ـ إضافات :

ـ الأعلام 5 :53.

ـ برنامج التجيبي ص 208.

ـ بروكلمان (الترجمة العربية) 6 :278.

ـ تاج العروس (ميانش).

ـ تراجم المؤلفين 4 :423 - 426.

ـ تذكرة الحفاظ ص 1337.

ـ عبر الذهبي 4 :245.

ـ العقد الثمين 6 :234.

ـ فهرس الفهارس ص 745.

ـ فهرس المطبوعات العراقية 1 :150.

ـ فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد 1 :195.

ـ كشف الظنون ص 1575.

ـ معجم المخطوطات المطبوعة 3 :144.

ـ معجم المؤلفين 7 :295.

ـ المعلم بفوائد مسلم 1 :36 - 37.

ـ مكتبة الأوقاف العامة، صفحة من تاريخها ص 143.

ـ ملء العيبة 3 :246 - 247.

ـ هدية العارفين 1 :784.

— 56 —

ابـن التيـن

عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت ويعرف بابن التين، أبو محمد الصفاقسي، لم نرَ من أصحاب الطبقات من ترجم له لكنّ تأليفه الآتي يدل دلالة قطعية على سعة إطلاعه ومكانته من اللغة والحديث وتصرّفه في تطبيق أصول الفقه على الفروع.

والذي نعلم من أخباره أنه سافر من بلده صفاقس إلى المشرق بنية الحج، وزار مصر والشام ثم رجع إلى مسقط رأسه حيث توفي خلال سنـة 611 هـ. وقبره هناك مشهور أمام ضريح الإمام اللّخمي.

لــه:

1 ـ **الخبر[1] الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح** وقد عـدّه ابن خلدون في المقدمة[2] من أسبق شروح البخاري، وجعله كغيره من الشروح التي لم تستوف حقّ الأصل، لكن بمراجعته يظهر أنه من أكمل الشروح وأوفاها بالغرض المطلوب مع اعتناء كامل باللغة والأحكام[3] المتفرعة على الأحـاديث الواردة في الأصل[4] ـ وهو يخرج في نحو ستة أجزاء، منه في مكتبتي الخصوصيـة[5] الجزء الرابع يبتدىء بكتاب الحج وينتهي بكتاب المظالم والغضب، ويرجـع نسخه إلى القرن الثامن.

مصـــادر:

ـ أحمد بابا ص 188.

ـ مقديش 2 :133.

ابـن التيـن
000 ـ 611 هـ/ 1214 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ في أزهار الرياض (2 :350): «المحبّر». بميم فحاء مهملة فباء موحدة فراء، ووضع المحققون فتحة فوق الموحدة. وأضاف صاحب شجرة النور الزكية (1 :168) إعجام الحاء المهملة فأصبح «المخبر». أما صاحب تراجم المؤلفين (1 :276) فإنه أضاف إلى هذه القراءة إعجام الموحّدة بـاثنتين «المخبر» وكله محرف عمّا هـو مثبت. وهو منقول من الورقة الأولى من مخطوطة الكتاب.

2 ـ تراجع مقدمة ابن خلدون ص 794.

3 ـ أشار المقّري في أزهار الرياض إلى اعتماده من طرف المحدث ابن رشيد في دروسه وذلك لاعتماد مؤلفه على المدونة وكلام شرّاحها.

4 ـ اعتمده الحافظ ابن حجر. ينظر فتح الباري 1 :252، 259، 267، 339.

5 ـ مكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18474.

II ـ مصـــادر:

ـ إضافات.

ـ أزهار الرياض 2 :350.

ـ تراجم المؤلفين 1 :276.

ـ شجرة النور الزكية 1 :168.

ـ فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 32.

— 57 —
ابـن السكّـان

أحمد بن محمد بن ميمون المالقي، ويعرف بابن السكّان، أبو العباس. كان من شيوخ تونس ومحققيها[1] في رواية الحديث وفنونه. لاقاه العبدري عند جوازه بمدينة تونس سنة 692 هـ. وعرّف به فقـال: «. . وممّن لقيته بهـا فسرّني لقـاؤه، وواليتُـه في ذات الله فنفعني ولاؤه، وحاضـرتُه فـأعجبني ذهنه وذكـاؤه، وصحبتـه فبهرني فضلُه وحياؤه، وكرمه وسخاؤه، وتواضعه ورجاؤه، صـاحبنا في الله ووليُّنـا وصديقُنا في طاعته وصَفيُّنا أبو العباس. . . رأيته مجرياً إلى غاية من كمل، ومبرّزاً في حلْبة العلم والعمل. . . أدرك مزاياه الشيوخ على فتا سنّه، فما يتكلّم في علم إلّا قلتَ: هذا معظم فنّـه. . . وله اعتنـاء بتصحيح الـرواية، وإعيـاء[2] في تنقيح الدراية، سمع من الشيوخ واستجازهم واستجيزوا له فاتّسعت لـذلك روايتـه. وله مجموعات تشوق، ومؤلفات تعجب وتروق. منها:

لــه:

1 ـ **إكمـال ذيل أبي بكـر بن فتحون على كتـاب الاستيعاب لأبي عمـر بن عبد البرّ**[3]. قال العبدري: وقد اعتنى به اعتناءً تاماً. وهو إلى الآن ـ سنة 692 ـ لم يكمل.

2 ـ **الاطلاع على ما يلزم في رفع الأيدي في الصلاة من الاتباع**.

3 ـ **برنامج جمعه لشيخـه أبي بكر محمـد بن محمد بن حبيش في أسمـاء شيوخه ومروياته عنهم**.

4 ـ **خلاصة الصفا في خصائص المصـطفى**، في المعجزات النبـوية. وهي منظومة طويلة تزيد على 320 بيتاً. روى منها العبدري جانباً في رحلته، كما روى له

عدّة مقاطع شعرية من نظمه، فمن ذلك قوله:

أذكى الخليقة خلقاً عند خالقهم ... ذو حرقة عن سؤال النـاس تُغْنِيهِ
وخيـرُ ما اتّصف العبـدُ التقيُّ به ... في دهـره تـركُـهُ مـا ليس يَعْنِيـهِ

مصــــادر:

ـ رحلة العبدري ص 325.
ـ أحمد بابا ص 68 (بالنقل عن العبدري).

ابـن السكّـان
كان حيّاً سنة 622 هـ/ 92 - 1293 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ في رحلة ابن رشيد: انتقل من مالقة صغيراً ـ أظنه في اثنتي عشرة سنة ـ مع أبيه رحمه الله، فنـزل تونس. وبهـا قرأ وتعلّم وتفقّـه وتأدّب. وكـان يحبّ الحـديث وأهله، ويميل إليه ويعوّل عليه (في الأصل: يقول عليه).

2 ـ كذا. وفي مطبوعة رحلة العبدري ص 268 ونيل الابتهاج (إغياء) ثانيه غين معجمة.

3 ـ كذا ورد اسمه في رحلة العبدري والذيل والتكملة ونيل الابتهاج. وجاء في رحلة ابن رشيد: وشرع في تكميل كتاب «ميدان السابقين وحليـة الصادقين المصـدقين في ذكر الصحابة الأكرمين ومن في عدادهم بإدراك العهـد الكريم من أكـابر التـابعين رضي الله عنهم أجمعين» الذي ابتدأه المحدّث أبو الـربيع سليمـان بن موسى بن سالم (ت 634 هـ) واخترم دون إكماله أو أكمله فلم تقع باليد جملته. كان قد وقع إليه جملة منه فشرع في تكميل ما نقص منه والزيادة عليه.

II ـ مصــــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:
ـ رحلة العبدري ص 267 - 271.

ب ـ إضافات:
ـ الذيل والتكملة 1: 521 - 523.
ـ رحلة ابن رشيد (ملء العيبة) 2: 411 - 413.

— 58 —

ابـن سيّـد النـاس

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد ويعرف بابن سيّد الناس اليعمري[1]، أبو بكر ـ قال الغبريني ـ: «كذا رأيت نسبه بخط يده، وأصله من بلدة أُبّدة من كورة جيّان. وهي وما والاها دار اليعمريين بالأندلس.

مولده في حدود سنة ستمائة من الهجرة[2]، وقرأ بإشبيلية على والده وغيره، ولقي كبار محدثي الأندلس مثل عبد الرّحمن الزهري وأحمد بن مقدام الرعيني وعمر السلمي وأبي ذر مصعب الخشني وأبي الحسين بن جبير وأبي القاسم الملاحي وسواهم كثير. وحصل على إجازات في الحديث من أهل مصر والشام والحجاز والعراق. وقال ابن الأثير: «أجاز له نحو الأربعمائة محدّث» وذكر الغبريني: أنه كان يستظهر عشرة آلاف حديث بأسانيدها ويذاكر بأضعافها خلاف ما يتبع ذلك من فنون اللغة وأوضاع النّحاة وضروب المقالات»[3].

وكان والده (أبو العباس أحمد) قبله معتنياً برواية الحديث، دؤوباً على تقييده ولقاء رجاله، مشاركاً في غيره من العلوم. روى عن ابن بشكوال وابن حبيش والسهيلي، وتوفي جمادي الأولى سنة 618 هـ، وبعد وفاته انتقل ابنه أبو بكر من الأندلس إلى المغرب الأقصى، وتولّى بعض الوظائف الشرعية بها. ثم تحوّل إلى بجاية وخطب بجامعها مدة وأقرأ وأسمع. ولما اشتهر فضله، ونقل الرواة سعة علمه ونمي خبره إلى الأمير المستنصر بالله استدعاه إلى حضرته وقرّب مثواه[4].

وقيل لما دخل عليه أول مرة طلب منه أن يقرأ بين يديه آية من كتاب الله تعالى فاستفتح بالاستعاذة وقرأ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم. ولو كنت فظّاً غليظ

القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾ فاستحسن المستنصر بالله قراءته وقصده، فقرّب منزلته. وكان من أخص الحاضرين من الطلبة بمجلسه.

وأقبل على تدريس الحديث في تونس فأقرأ بها صحيحي البخاري ومسلم مراراً. وكان أبناء السلطان وأقاربه يحضرون دروسه بجامع القصبة، وقد كثر الآخذون عنه والسامعون منه، والمقتدون به.

قال ابن قنفذ: «وكان المستنصر رتّب لمجالسته أعلاماً من الفقهاء والأدباء كالمحدث الحافظ أبي بكر بن سيّد الناس والأستاذ ابن عصفور والكاتب البليغ أبي عبد الله بن الأبّار والفقيه الكاتب أبي المطرف بن عميرة وغيرهم من الأعلام»(*).

ويشهد بتعظيم المستنصر لقدر ابن سيّد الناس ومحبته فيه وعلوّ مكانه عنده ما رواه ابن الخطيب(**) من أن أبا بكر مرض مرة بعينيه فلزم داره واحتجب مدة، فخاطبه المستنصر بالله بالبيتين الآتيتين مستفسراً عن حاله:

ما حالُ عينيك ـ يا عينَ الزمان ـ فقد أورثتني حزناً من أجل عينَيْكا
وليس لي حيلةٌ غير الدعاء فيا رب براوي الصحيحين حنانَيْكا

فلما بلغ البيتان إلى أبي بكر لم يقدر الجواب عنهما بنفسه لما ألم بعينيه من الآلام، وطلب من صاحبه أبي المطرُف بن عميرة ـ وكان في عيادته ـ أن يجيب، فكتب نيابةً عنه:

مولاي، حالهما واللهِ صالحةٌ لما سألت فأعلى الله حالَيْكا
ما كان من سَفَرٍ أو كان من حضرٍ حتى تكون الثريّا دون نَعْلَيْكَا

أما طريقة تدريسه للحديث فقد ذكرها الغبريني حيث قال(***): كان يقوم بالبخاري قياماً حسناً، فكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبيّ ـ ﷺ ـ

(*) الفارسية 26.
(**) نفح الطيب 2: 400.
(***) عنوان الدراية ص 175.

ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله فيبدأ من الصحابي فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته إن عُرفت له، ثم يتلوه بالتابعي كذلك. ولا يزال يتبعهم واحداً فواحداً إلى أن ينتهي إلى شيخه فيقول: «أما فلان شيخنا» ويذكر ما ذكر فيمن تقدم ويزيد على ذلك بأنه لقيه بكذا وقرأ عليه كذا وسمع منه كذا. وبعد الفراغ من ذلك يذكر لغة الحديث وعربيته ويتعرض لما فيه من الفقه والخلاف العالي ويتكلم في دقائقه ورقائقه والمستفادات منه، كلّ ذلك بفصاحة لسان وجودة بيان.

قال الغبريني: «وله سعة علم ورواية، ومعرفة ثابتة ودراية. وهو في معرفة القراءات إمام. وكان يكتب جيداً، وينظم نظماً حسناً، وأورد له قطعة من شعره في قصد الحجّ، وهي:

أيا سائراً نحو الحجاز وقصده إلى الكعبة البيت الحرام بَلاغُ
ومنه إلى قبر النبيّ محمّد يكون له بالروضتين مَراغُ
فبلّغت ما أملت كم ذا أراغَه أناسٌ نسوا قصد السبيل فزاغوا
وقوم أولو وجد وجدٌّ ونجدة أراغهم الجدّ العَثُور فراغُ
فيا أسفي كم ذا تمنّيتُ قصدَه فأدفع عن قصدي له فأراغُ
وقصر بي جدّي إذ ٱلأمر في يدي جميع وعندي ثروة وفراغُ
فَالآن، وقد خطّ المشيب بمفرقي وكلّل رأسي من حُلاه صِباغُ
أعلّل نفسي بالمُنى وتصدُّني ذنوب لها عند الفراق مصاغُ
عسى توبة قبل الممات وزورةٌ فينضح من شين الذنوب رداغُ
وألقى شيوخاً يؤنس المرء منهم أحاديثُ صدق تجتلى وتُصاغُ

وكان أبو بكر ينتحل مذهبَ داود الظاهري على غرار الوزير ابن حزم الأندلسي. وقد نشر مذهبه هذا عنه بعض الخواص بحاضرة تونس.

وعرّف به القاضي عز الدين الشريف فقال[5]: «كان أحد حفاظ الحديث المشهورين وفضلائهم المذكورين، وبه ختم هذا الشأن بالمغرب».

قال الحافظ الذهبي[6]: «وكتب إلينا بالإجازة من تونس، ثم قال وكان شيخنا

أبو محمد بن هارون الكناني التونسي مسند المغرب لازم مجلس أبي بكر للفقه والنظر وسمع من لفظه صحيحَ البخاري وغيرَه».

ورزق أبو بكر أولاداً نجباء منهم أبو الحسن علي أقرأ الحديث والفقه بتونس بعد أبيه وأبو العباس أحمد تقلّب في الخطط المخزنية ورافق الأمير أبا فارس عبد العزيز بن أبي إسحاق مدة ولايته وقتل غدْراً سنة 678 هـ. ومحمد انتقل إلى سكنى مصر. وولد له بها الحافظ الكبير أبو الفتح محمد بن محمد بن أبي بكر محمد مؤلف السيرة النبوية المشهورة المسماة «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» وقد اشتهر بالمشرق اشتهاراً كبيراً ولا سيّما بمصر وبها مات سنة 734 هـ(*).

وتوفي أبو بكر بن سيد الناس بحاضرة تونس يوم الثلاثاء 23 جمادَى الآخيرة سنة 659 هـ[7] وقال الذهبي: «في شهر رجب من السنة المذكورة».

لــه:

1 ـ **تفسير أحاديث**[8] **من البخاري ومسلم** أملاها على بعض تلامذته بمدينة تونس.

2 ـ **بيع أمهات الأولاد**[9]، قال الذهبي: «رأيته في مجلّد يدّل على سيلان ذهنه وسعة حفظه وإمامته».

مصـــادر:

ـ عنوان الدراية ص 174.
ـ تذكرة الحفاظ ص 4 :233.
ـ الفلرسية ص 26.
ـ الزركشي 29.

(*) راجع ترجمته في فوات الوفيات 2 :169 وذيل تذكرة الحفاظ ص 16 و 350.

ابن سيد الناس
597 هـ/ 1200 م ـ 659 هـ/ 1261 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ ينظر تمام نسبه في الذيل والتكملة 5 :653.

2 ـ نقل ابن عبد الملك (الذيل والتكملة 5 :661) عن أحد بنيه أنه ولد في محرم سنة 597.

3 ـ ناقش ابن عبد الملك (الذيل والتكملة 5 :658) هذا الرأي وردّه.

4 ـ كان انتقاله إلى بجاية بعد الأربعين والستمائة. وانتقل إلى حاضرة تونس في حدود 654 هـ. الذيل والتكملة 5 :658.

5 ـ النص في الوافي 2 :221.

6 ـ هذا كلام القاضي عز الدين الشريف في وفياته. ونقله عنه الذهبي. وهو المكتوب له بالإجازة لا الذهبي.

7 ـ في نيل الابتهاج 657 وهو تحريف واضح.

8 ـ ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ. ولفظه: «وقد كان شيخنا ابن هارون مسند المغرب لازم مجلس الخطيب أبي بكر للفقه والنظر، وسمع من لفظه صحيح البخاري وتفسير أحاديث أملاها من صدره.

9 ـ ذكره الذهبي والصفدي.

II ـ مصادر :

أ ـ طبعات جديدة :

ـ تاريخ الدولتين ص 38.

ـ تذكرة الحفاظ ص 1450 - 1451.

ـ عنوان الدراية ص 246 - 249.

ـ الفارسية ص 123.

ـ نفح الطيب 4 :110.

ب ـ إضافات :

ـ البداية والنهاية 13 :241.

- تراجم المؤلفين 3 :112 - 115.
- الحلل السندسية 1 :678 - 679.
- الذيل والتكملة 5 :653 - 662.
- ذيل مرآة الزمان 2 :131 - 132.
- شجرة النور الزكية 1 :194 - 195.
- شذرات الذهب 5 :298 - 299.
- العبر للذهبي 5 :255.
- مرآة الجنان 4 :151.
- معجم المؤلفين 8 :284.
- نيل الابتهاج ص 229 - 230.
- الوافي بالوفيات 2 :121 - 122.
- وفيات ابن القنفذ ص 326 - 327.

— 59 —

ابـن البـراء الكبيـر

أبو القاسم - وكنيته اسمه - بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي، من أبناء المهدية وبها ولد في حدود سنة 580 هـ. وقرأ على جلّة مشيختها. ثم رحل إلى المشرق في طلب العلم سنة 622 هـ فسمع الحديث بالحرمين وبمصر من جماعة وأجازوه. وعاد بعلم جمّ ودرّس ببلده، واشتهر ذكره.

قال التجاني: «كان أحد العلماء الأعلام الحفّاظ المشاركين في أنواع الفنون، وكان في أول أمره زاهداً في الدنيا وأبنائها، معرضاً عن مُلوكها وأمرائها، ثم جرت محن له آلت به إلى مراجعة ما كان معرضاً عنه فحين أقبل عليها أقبلت عليه.

وانتقل إلى سكنى الحضرة التونسية فانتهت إليه رئاسة العلم والقرب من السلطان محمد المستنصر بالله واختصَّ به اختصاصاً كلّياً[1]، وتولّى قضاء الجماعة في سنة 657 هـ بعد أبي زيد عبد الرّحمن بن علي التوزري ثم تأخر عنه وقُدِّمَ عوضه أبو موسى عمران بن معمر.

ويقال: إن في مدة مباشرته لقضاء الجماعة تعرض للشيخ الصوفي الكبير أبي الحسن الشاذلي حين سكناه بتونس وسعى به لدى السلطان المستنصر بدعوى أن الشيخ أبا الحسن ممن يتألّف حوله الجماهير، ويجتمع على تعليمه ووعظه الخلائق وأنه يخشى منه التشويش على الملك، فقيل إن ابن البراء جمع العلماء والفقهاء في مجلس بالقصبة وجلس السلطان خلف حجاب، واستدعِيَ الشيخ أبو الحسن وسئل عن نسبه واتصاله بالشرف وعن مسائل من العلوم فكان يجيب عنها

بفيض علمه الباطني حتى أسكت من حضر وأقنعهم بالحجة، وأنه خرج عقب ذلك الموطن إلى المشرق بقصد الحج.

وأول من ذكر هذا الحادث هو محمد بن أبي القاسم الحميري المعروف بابن الصباغ(*) وفي روايته هذه بعض الوهن إذ إنّ ابن البراء إنما تولّى قضاء الجماعة في سنة 657 هـ فيما نقله الزركشي وسبقت الإشارة إليه. وتوفي الشيخ أبو الحسن في سنة 656 هـ فكيف يتفق ذلك مع ما رواه ابن الصباغ. ثم إنا لم نَرَ من تصدّى لهذا الخبر ـ على أهميته ـ من المؤرخين وأصحاب الرحلات مثل التجاني ـ وقد ترجم لابن البراء ـ ولا ابن خلدون ولا الشمّاع ولا الزركشي ولا غيرهم مع أن هذا الخبر متواتر بين أهل تونس يتناقلونه خلفاً عن سلف. والظن الغالب أن مقاومة ابن البراء للشيخ أبي الحسن إنما كانت قبل ولاية صاحب الترجمة لمنصب القضاء[2]، والله أعلم.

ومهما يكن فإنّ ابن البراء كان بالحظوة المكينة من السلطان كما أسلفنا ومن المنزلة العلمية العالية لا سيما في علم الحديث وروايته. وقد أخذ عنه جماعة لا يحصون من العلماء المبرّزين.

وكانت وفاته يوم الخميس العاشر من شوّال سنة 677 هـ.

وسيمرّ عليك في القريب ترجمة حفيده عبد الله.

لــه:

1 ـ **فهرس مروياته وتراجم الشيوخ الذين أخذ عنهم شرقاً وغرباً**[3] وقيل إن هذا الجزء حوى علماً كثيراً زيادة على أخبار رحلته[4].

مصــادر:

ـ التجاني ص 263.
ـ الزركشي 26، 33.
ـ درة الحجال 2: 457.
ـ الحلل السندسية ص 263.

(*) درّة الأسرار في مناقب الشاذلي ط. تونس 1304 ص 10.

أبو القاسم بن البراء

580 هـ/ 1184، 85 - 1279/677 م

استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ يبدو أنه كان ذا مكانة وحظوة عند أبيه أبي زكرياء قبله كما سنبينه بعد هذا.

2 ـ فصّل المؤلف قضية أبي الحسن الشاذلي (593 - 656 هـ) مع ابن البراء. وحاول تبرئة ساحته. لكن رواية المؤلف تجعل الواقعة تدور في مجلس المستنصر (ولايته - 647 675 هـ) بينما هي في رواية البهلي النيال تدور في مجلس أبي زكرياء الأول (ولايته 626 - 647) وهو ينقل عن مناقب الشاذلي أن أبـا الحسن الشاذلي سجن في القصبة ولم ينقذه إلاّ رجوع محمد اللحياني (أخو ابي زكرياء ووزيره) من الحج فتشفّع فيه، وأخرجه ثم كانت وجهته المشرق وذلك قبل سنة 646 هـ. الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي ص 232 - 234.

3 ـ لم يشر إلى هذا الكتاب غير التجاني في رحلته، وعنه السراج في الحلل. وليس في إشارته غير قوله: «. . . وقد سمع بالحرمين الشريفين والقاهرة ومصر والإسكندريـة من جماعة يطول تعدادهم. وقد ذكرهم في جزء خاص بهم».

4 ـ **له من الكتب أيضاً:**

2 ـ أربعون حديثاً.

3 ـ تفسير سورة الرحمن

وهما من مرويات ابن رشيد عن شيخه أبي البركات القميجي عن مؤلفهما.

II ـ مصـــادر :

أ ـ طبعات جديدة:

2 ـ تاريخ الزركشي ص 35، 43.

3 ـ الحلل السندية 1 :475.

ـ درة الحجال 3 :272.

ـ رحلة التجاني ص 367 - 368.

ب ـ إضافات:

ـ شجرة النور الزكية 1 :191.

ـ ملء العيبة (ضمن ترجمة ابن القميجي) 2:257 - 258.

— 60 —

ابـن خلفـة

عمر بن أبي الحسن علي بن خلفة بن موسى، أبو حفص[1]، من أبناء توزر وبها قرأ في صغره. ثم تحول من بلاد الجريد إلى مدينة بجاية وعكف على مزاولة العلوم بها، وأخذ خصوصاً عن الحافظ أبي محمد عبد الحق الإشبيلي المتوفّى سنة 582[*] فأتقن رواية الحديث والفقه. وعاد إلى بلده توزر ولي به خطة القضاء[2]، وكان مصاحباً ومواليـاً للشيخ أبي علي النفطي.

وتوفي أوائل القرن السابع.

لـــه:

كتاب في الحديث[3]، ينقل عنه ابن الشباط في شرحه للشقراطسية ولم يعيّنه باسمه.

مصــــادر:

ـ صلة السمط ج 1[4] و 4[5].

ابـن خلفـة
ق 7 هـ/ ق 13، 14 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ كذا في أصل المؤلف. والمصدر الوحيد عن صاحب الترجمة هو صلة السمط لابن

(*) راجع ترجمته بعنوان الدراية ص 22[6].

الشبّاط وفيها أبو علي. ولعلّ المؤلف ساير ما درج عليه من تكنية عمر بـأبي حفص هذا من جهة. ومن جهة أخرى هناك احتمال أن المؤلف حاول الجمع بين ما جاء في الجزء الأول من الصلة عن صاحب الترجمة، وما جاء في الجزء الرابع (ورقة 134 ظ) من ذكـر لأبي حفص عمر بن أحمـد بن عبد الله التـوزري. (المعجم في أصحاب القاضي الصدفي رقم 252).

2 ـ لا يوجد في نص ابن الشبّاط ما يشير إلى علاقته بأبي علي النفطي وولايته القضاء.

3 ـ عبارة ابن الشبّاط التي أشار فيها إلى هذا الكتاب نصها: «وقد رأيت كتاباً صنّفه الفقيه المحدّث أبو علي عمر بن أبي الحسن علي بن خلفة بن موسى من أهل بلدنا وذكر الفقيه أبو علي المذكور سنده في كتاب مسلم بن الحجاج عن الفقيه الحافظ أبي محمد عبد الحق المذكور».

4 ـ ج 1 ورقة 9 و، مخطوطة دار الكتب الوطنية رقم 5605.

5 ـ لا ذكر له في الجزء الرابع من صلة السمط، مخطوط دار الكتب الوطنية رقم 5606.

6 ـ عنوان الدراية (ط. بونار) ص 73 - 75.

— 61 —

المـرسـي

أبو بكر بن محمد بن قاسم المرسي، مجد الدين، وكنيته اسمه. ولد بتونس في سنـة 656 هـ[1] وتعانى القـراءات، ثم دخل مـع أبيه القـاهـرة[2]، ثم دمشق. وجلس بجـامعها لـلإقراء، ولم يبطىء أن شاع ذكره وفضله فـولي تـدريس النحـو بالناصرية وصار شيخ الإقراء والعربية بدمشق ـ سنة 681 هـ[3].

وكان مرضيَّ الطريقة يحب الانقطاع والخلوة، عرّف تلميذه الحافظ الذهبي به فقال ـ: «هو شيخ النحاة والبحاثين، تخرّج به الفضلاء. وكان أديباً صيّناً ذكّياً».

وسئل الشيخ شمس الدين الأيكي عن ابن الوكيل والزملكاني أيهما أذكى؟ فقال: «ها هنا شاب مغربي أذكى منهما» وأشار إليه.

قلت: «وممّن اختص بالأخذ عنه الحافظ الذهبي، وغيره من أعلام الشام.

وقوّى نفسه مرة على كراي[4] نائب الحكم بالشام، وأقلقه، فأهانه وضربه. وتوفي بعلّة البطن[5] في 27 ذي القعدة سنة 718[6] وشيّع جنازته خلق لا يحصون.

لــه:

1 ـ جزء في الحديث انتقاه من مروياته تلميذه الحافظ الذهبي.

مصـــادر:

ـ ابن الجزري 1 :183.

ـ بغية الوعاة 256.

ـ درة الحجال 1 :121.

ـ شذرات الذهب 6 :47 - 48.

المـرسـي
656 هـ/ 1258 م - 712 هـ/ 1319 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ في المصادر: تقريباً سنة 656.

2 ـ رواية ابن الجزري أدق: «وقدم مصر في شبيبته مع أبيه سنة بضع وسبعين».

3 ـ هذا تاريخ دخوله دمشق ولم يَلِ المشيخة الكبرى إلا سنة 693 هـ.

4 ـ بالراء حاكم الشام لسلاطين المماليـك. ينظر عنـه: أمراء الشـام للصفدي ص 71، 166، الدرر الكامنة 3 :266 - 267، السلوك للمقريزي 1 :901، 915، 930.

5 ـ هذه رواية طبقـات القراء. أمـا السيوطي فيقـول: «. . إنه مـات تحت الضرب» في محنته مع نائب الحكم بالشام.

6 ـ ذكر صاحب الشذرات: أنه توفّي في هذا التاريخ عن 82 سنـة. ولعلّه سبق قلم من المؤلف أو تصحيف. وصوابه: 72 سنة.

II ـ مصـــادر :

أ ـ طبعات جديدة:

- ـ بغية الوعاة 1 :471.
- ـ درة الحجال 1 :224.

ب ـ إضافات:

- ـ الدارس 2 :296.
- ـ الدرر الكامنة 1 :461 - 462.
- ـ دول الإسلام 2 :225.
- ـ ذيل العبر ص 99.
- ـ السلوك ج 2 ق 1 :188.
- ـ مرآة الجنان 4 :258.
- ـ معرفة القراء الكبار 741 - 742.
- ـ النجوم الزاهرة 9 :243.
- ـ الوافي بالوفيات 4 :351.

— 62 —

الفخـر التـوزري(*)

630 هـ/ 2 - 1233 م - 1313/713 م

عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر فخر الدين، من أبناء توزر. وبها ولد سنة 630 هـ. وقرأ على والده. ثم انتقل إلى مدينة تـونس ودرس على علمائهـا، وأقرأ بها. ثم رحل إلى مصر في طلب الحديث فسمع من ابن الجميـزي وغيره، وأكثر عن المنذري وابن عزون حتى بلغت مشيخته نحو الألف شيخ. وله إجازات كثيرة منهم.

وكان سماعـه للحديث مـع كبار الحفـاظ. قال الحـافظ الذهبي في معجم مروياته: «وسمعت مع الشيخ الإمام المحدث المفيد المقرىء، بقية السلف، شيخ الحرم فخر الدين عثمان بن محمد التوزري المالكي. وكان قارىء الطلبـة بمصر دهراً، أقرأ الكتب المطولة، وحصل الأصول، وتلا بالسبع على ابن وثيق والكمال ابن شجاع»..

وقال ابن الجزري: «كان ديناً خيراً، ثقة، عالماً، قرأ عليه القراءات شيخنا عبد الله بن خليل المكي».

وبعد أن بلغ الغايـة في الحديث تحـوّل إلى سكنى مكة، وتصـدّر للسماع بالحرم المكي، وانقطع للعبادة. وقد حاز من الشهرة البعيدة ما لم ينله إلّا القليل من معاصريه. وكان على جانب وافر من الفضل والفهم وحسن المحاضرة.

مات بمكة في ربيع الآخر سنة 713 هـ ودفن بالمعلا.

(*) استخرجنا هذه الترجمة من مسودة المؤلف. وقد تركناها كمـا هي. ولم نصلح منها إلا مـا رأينا تأكّده. وهو شيء قليل لا يستحق التنصيص عليه.

لــه :

1 ـ **الأربعون حديثاً**، وتعرف بالتوزرية.

رواها عنه جماعة منهم ابنته أم الرمال ظبية(*).

2 ـ **معجم شيوخه**[1]. رتبه على حروف المعجم. وهم يزيدون على ألف شيخ. ذكره التجيبي في رحلته ص 416 وذكر أنه شرع في تخريجه عند لقائه به سنة 696 ثم ساق منه قطعة صالحة.

مصــادر :

ـ تذكرة الحفاظ ص 1502 - 1503.
ـ الدرر الكامنة، 2: 449 - 450.
ـ شذرات الذهب 6: 32.
ـ غاية النهاية 1: 510.
ـ البداية والنهاية 14: 69[2].
ـ برنامج الوادي آشي ص 155.
ـ درة الحجال 3: 209.
ـ ذيل العبر ص 74.
ـ السلوك ج 2 ق 1: 133.
ـ العقد الثمين 6: 41.
ـ مرآة الجنان 4: 253.
ـ مستفاد الرحلة والاغتراب ص 415 - 432.
ـ معرفة القراء الكبار ص 731 - 732.

(*) ما أجمل الاسم والكنية. محدثة كبيرة ذات فضل وكمال. ولدت بتونس سنة 669 هـ. وانتقلت مع والدها إلى المشرق، وصاحبته في ضعْنه وترحاله، وقد اعتنى بتربيتها وتعليمها عناية لا مزيد عليها. وبعد أن أتقنت حفظ القرآن والنحو والعربية اتجهت إلى علم الحديث فبرعت فيه. وقد شهد لها معاصروها بالحذق ووفرة المروءة والأمانة والمواظبة على بث العلم والصدقة والتلاوة. وقد روى عنها الناس «الأربعين التوزرية» من تصنيف أبيها. وانتقلت بعد موت والدها إلى القاهرة وأقامت بها إلى أن توفيت أواخر جمادي الآخرة سنة 734 (الدرر الكامنة 2: 334).

(1) هذا التأليف من زيادتنا على نصّ المؤلف.

(2) هذا المصدر وما تلاه من إضافاتنا.

— 63 —

الـوادي آشـي

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي. شهر الوادي آشي أبو عبد الله[1].

أصل بيته من قـرية وادي آش (*) وانتقـل أسلافـه[2] في القرن السـابع إلى حاضرة تونس. وبها ولد محمد خـلال[3] سنة 673 هـ. ونشأ في حجر أبيـه معين الدّين جابر. وكان والـده عالمـاً أديباً من كتّـاب الدولـة. وقرأ بتـونس على أعيان شيوخها كأبي العباس بن الغمّاز وابن هارون، وتميّز من بين أقرانه.

رحـل في طلب العلم، فحج وسمـع بـالحجـاز والعـراق ومصـر من أعـلام المحدّثين كابن جماعة، وابن صدقة العوفي، وصدر النحاة أبي حيان، والقاسم بن عساكر وغيرهم. وطاف البلاد ودخل المغرب الأقصى والأندلس سنة 726 هـ وأدرك أيمة قيّد عنهم وصنّف وأفاد واستفاد.

وقد انفسحت له رواية الحديث وعلوُّ الإسناد ما لم يتأتَّ لغيره في عصـره. وفي فهرست مروياته أنه كتب عن أكثر من مائتين من فحول المشارقة والمغاربة.

أما المشاهير الذين أخذوا عنه فلا يعدّون كثرةً منهم:

لسـان الدين بن الخـطيب، ووليّ الدين ابن خلدون، والحـافظ الـذهبي، وصدورٌ من رجال أهل زمانه.

(*) وادي آش (GU ADIX) من كورة البيرة بينها وبين غرناطة أربعون فرسخاً. وقد تقع النسبة «الواد ياشي» بالياء المعجمة.

قال الذهبي[4] في طبقات القرّاء: كان من مشاهير القرّاء والمحدّثين، قرأت عليه التيسير وأفادني أشياء نفيسة. وكان تاجراً نبيلاً مقصوداً حج وجاور غيرَ مرّة.

وقال تلميذه الخطيب ابن مرزوق[5]: «عاشرته كثيراً سفَراً وحضراً. وقرأت عليه الكثير، وقيّدت من فوائده. وأنشدني الكثير، فأول ما قرأت عليه بالقاهرة وبمدينة فاس وبظاهر قسنطينة، وبمدينة بجاية، وبالمهدية، وبمنزلي من تلمسان ثم قال: وشيخنا هذا شيخ ممتع نبيل رحّال، متقنٌ، له معرفة تامة جامعة بالحديث والنحو واللّغة والشعر».

ومن شعره:

أنستُ بـوحدتي حتَّى لَـوَانِّي ... أتـاني الأنس لاستَوْحشْتُ مِنْـهُ
ولم تـدَعِ التجاربُ لي صـديقاً ... أميــلُ إليـه إلاَّ مـلتُ عَـنْـهُ

وترجمة هذا الحافظ الجليل واسعة مشهورة اقتصرنا على المهم منها.

وكانت وفاته بمدينة تونس بالطاعون الجارف في أول رجب ـ وقيل في ربيع الأول من سنة 749 هـ ودفن بمقبرة الجلّاز عن يمين المارّ إلى جهة الجبل.

لــه:

1 ـ **زاد المسافر**[6]. ذكر فيه رحلاته إلى مختلف البلاد التي دخلها، وما شاهد فيها، ومن لقي من العلماء، عجيب في بابه. وهو غير فهرس مروياته الآتي.

2 ـ **أحاديث الملاقاة**[7].

3 ـ **الأربعون حديثاً البلدانية**[8] في الحديث أيضاً. وقد أغرب فيها بما يدل على سعة اطلاعه، وتوسّع رحلته.

4 ـ **أسانيد كتب المالكية**[9] مما يرويه عن مؤلفيها.

5 ـ **الإنشادات البلدانية**[10] فيما رواه من الأبيات عن أصحابها. وهو حافل جداً.

6 ـ **الترجمة العياضية**[11] في التعريف بالقاضي عياض السبتي ترجمة مستوفاة.

7 ـ **شرح القصيدة العروضية**[12] المسمّاة بالقصد الجليل في علم الخليل لأبي عمرو بن الحاجب.

8 ـ **ديوان شعره**[13] قال الخطيب ابن مرزوق: وشعره الفائق لا يحصى. وهو عندي في مجلد كبير.

9 ـ **فهرست شيوخه ومروياته**[14] (برنامج شيوخه).

وله غير ذلك[15] مما لم نقف على تسميته وتعيينه[16].

مصـــادر:

ـ الديباج 311.
ـ ابن الجزري 2 :106.
ـ ذيل طبقات الحفاظ لابن فهد 115.
ـ فهرست الثعالبي (خط) (7).
ـ أحمد بابا: 169.
ـ نفح الطيب 3 :108.
ـ درة الحجال 1 :205.

الـوادي آشـي
673 هـ/ 4 - 1275 م ـ 749 هـ/ 1348 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ اشتهر بلقب شمس الدين.
2 ـ المنتقل إلى تونس هو أبوه: معين الدّين جابر بن محمد الوادي آشي.
3 ـ في الدرر الكامنـة: مولـده في شهر جمـادى الآخرة وفي فهـرست الثعالبي ولـد يوم الجمعة المـوفي ثلاثين.
4 ـ النص في ذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد.
5 ـ نفح الطيب 5 :200.
6 ـ سمّاه في فهرس الفهارس (ص 465): زاد المسافر وأنس المسامر.

7 ـ ذكره الثعالبي في فهرسته.

8 ـ سمّاه المؤلف «الأربعينيات» وقد صوبناه على ما في المصادر: الدرر الكامنة، ذيل طبقات الحفاظ، فهرس الفهارس.

9 ـ مذكورة في الديباج وفهرس الفهارس.

10 ـ ذكره الثعالبي في فهرسته، والكتاني في فهرس الفهارس.

11 ـ أشار إليها صاحب الترجمة في برنامجه ص 218 ونقل عنها المقري (أزهار الرياض 1 :23).

12 ـ مذكور في درة الحجال.

13 ـ نُسِب له ـ أيضاً ـ في الأعلام ومعجم المؤلفين. ويبدو أنهم استروحوا ذلك من عبارة نفح الطيب المنقولة عن ابن مرزوق.

والصواب أنه لشيخه محمد بن هارون الطائي. ينظر تعليق محمد محفوظ ص 22.

14 ـ منه مخطوطة في مكتبة الأسكوريال رقم 1726 وفي دار الكتب الوطنية بتونس رقم 21004. وأصلها من المكتبة النورية، وثالثة في المكتبة العاشورية (ق. ح) 437. طبع بتحقيق محمد محفوظ ونشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت 1980/1400. كما طبع في مكة المكرّمة ضمن منشورات جامعة أم القرى 1981/1401 تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة.

15 ـ فات المؤلف تسمية كتابين للوادي آشي:

10 ـ **تساعيات**. وهي أربعون حديثاً تساعية الإسناد. ذكرها الثعالبي في فهرسته والكتاني في فهرس الفهارس.

11 ـ **عشاريات**. وهي أربعون حديثاً عشارية الإسناد. ذكرها الثعالبي في فهرسته.

16 ـ نسب لنفسه في برنامجه ص 294.

12 ـ **مسلسلات** انتخبها من مرويات قاضي مصر تاج الدين عبد الغفار بن عبد الكافي.

17 ـ فهرست الثعالبي ورقة 6 ظ (مخطوطة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18448).

مصـــادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ درة الحجال 2 :102 - 103.

- الديباج 2 :299 - 301.
- نفح الطيب 5 :200 - 202.

ب - إضافات:

- الأعلام 6 :68.
- تراجم المؤلفين 5 :113 - 117.
- التعريف بابن خلدون ص 18 - 19.
- الدرر الكامنة 4 :33 - 34.
- شجرة النور الزكية 1 :220.
- فهرس الفهارس ص 116، 465، 882، 1117.
- ليفي بروفنسال، فهرس مخطوطات الأسكوريال 3 :238 - 239.
- معجم المؤلفين 5 :113 - 117.
- مقدمة تحقيق برنامج شيوخه. ينظر الهامش 14 أعلاه.

— 64 —

البـرشكـي (أحمـد)(*)

000 ـ 780هـ/ 8 - 1379م

أحمد بن سليمان بن محمد العدناني(1) البِرشْكي(2).

محدث، فقيه. روى عن الوادياشي. واشتغل برواية الحديث ومهر فيه. روى عنه عبد الله بن مسعود بن القرشية وغيره من أهل تونس. توفّي سنة 780 هـ.

لـه:

1 ـ **حـواشي على «رياضْ الصـالحين»** للنووي. قـال عنـه ابن حجـر: في مجلّد. ثم أضاف: وله تواليف. ولم يسمّها.

مصـادر:

ـ إنباه الغمر بأنباء العمر 1 :181 (حوادث سنة 780 هـ).

ـ تراجم المؤلفين 1 :119.

(*) لم يترجم له المؤلف واكتفى بذكره في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

(1) قال ابن حجر: هو والد صاحبنا زين الديـن عبـد الرّحمـن المحدث. وإذا كانت إشارته إلى عبد الرّحمن بن محمد البرشكي المتوفّى سنة 839 هـ الآتية ترجمته فذلك مستبعد لاختلاف شجرة نسبهما اختلافاً يصعب معه التوفيق.

(2) نسبةً إلى بِرشك ـ بكسر الباء والراء بعدهما شين معجمة ـ قرية من أعمال تلمسان. ينظر عنها الروض المعطار ص 88 والتعريف بابن خلدون ص 28. وجاء في السخاوي (الضوء 11 :189) أنها من أعمال تونس. ولا يبعد أنه تصحيف عن تنس التي بينها وبين برشك ستـة وثلاثـون ميلاً.

ـ شذرات الذهب 6 :265 (حوادث سنة 780 هـ) .
ـ معجم المؤلفين 1 :239.
ـ هدية العارفين 1 :114.

— 65 —

ابــن أســد

عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرّحمن بن يحيى بن أسد، مقرىء، صالح، ومسند ثقة، مولده بالقيروان سنة 702 هـ. وقرأ في بلده بمختلف القراءات. وخرج إلى الحج فاستوطن ثغر الإسكندرية ودرس روايات القراءة بها.

قال ابن الجزري ـ: «كان صالحاً خيّراً مِن أعيان مَن أدركناه بالإسكندرية. قرأت عليه مضمّن الإعلان للصفراوي وكذلك موطّأ مالك رواية يحيى بن يحيى» ومات في سنة 788 هـ[1] بالإسكندرية.

لــه:

1 ـ **جزء في الأحاديث** التي يرويها، خرّجهُ له الذهبي[2].

مصــــادر:

ـ طبقات القراء (482).

ابــن أســد
702 هـ/ 2 - 1303 م ـ 788 هـ/ 1386 م
استدراكـات وإضافـات

1 ـ التعاليـق:

1 ـ في الدرر الكامنة: مات آخر شوّال.

2 ـ ذكره ابن الجزري.

II ـ مصــادر:

أ ـ إضافات:

ـ الدرر الكامنة 3 :44.

— 66 —
الصفّـــار

محمد بن أحمد المعروف بالصفّار الأنصاري، أبو عبد الله. محدث بارع[1] تولى الخطابة والإمامة بالجامع الكبير من بلده صفاقس، وكانت دروسه حافلة.

حكى محمد الصنهاجي (في شرحه لنظم الخرّاز في القراءات) قال: «قدمنا إلى صفاقس لثلاث بقين من ربيع الثاني من سنة 825 هـ فلقينا بها الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد الصفّار، فكنت أحضر مجلسه مع إخوان صالحين. . ».

وكانت وفاته أواسط القرن التاسع، وقبره خارج سور بلد صفاقس مشهور يزار.

لـــه[2]:

1 ـ **اختصار إكمال المعلم في شرح فوائد مسلم للقاضي عياض**، في الحديث.

مصـــادر:

ـ مقديش 2: 146.

الصفّـــار
كان حيّاً سنة 825 هـ/ 1 - 1422 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ يستخلص مما وقفنا عليه من أراجيزه أنه كان عالماً بالنحو والعربية، متضلّعاً في علم القراءات.

2 ـ ومما وقفنا عليه من مؤلفاته :

2 ـ **نظم المقدمة الآجرّومية** في النحو ـ 80 بيتاً.

3 ـ **أرجوزة في ألفات وضادات القرآن**.

4 ـ **أرجوزة في ألفات القطع والوصل** 15 بيتاً.

والجميع موجود ضمن مجموع بدار الكتب الوطنية بتونس تحت عدد 19469 وأصلها من مكتبة الكراي بصفاقس رقم 853.

II ـ مصـــادر :

إضافات :

ـ تراجم المؤلفين 3 :236.

— 67 —
الأبّــي

محمد بن خِلفة بن عمر الوشتاتي، أبو عبد الله، شهر الأُبّي، نسبة إلى أبّهْ قرية بناحية الكاف في الشمال الغربي من القطر التونسي لها ذكر في التاريخ. والوشتاتي نسبة إلى قبيلة بربرية مخيّمة هناك.

وفد صغيراً إلى الحاضرة ونزل بمدرسة التوفيق. وقرأ على علماء تونس ولازم الإمام ابن عرفة حتى صار من أعيان أصحابه. وحاز رئاسة العلوم الشرعية بعده. وحجّ واجتمع بكثير من علماء مصر.

قال السخاوي[1]: كان سليمَ الصدر مع مزيد تقدّمٍ في العلوم. ووصفه ابن حجر في المشتبه من تأليفه بالأصولي عالم المغرب في المعقول.

وتولّى عدة وظائف شرعية منها إمامة جامع التوفيق والخطبة به. وتولّى القضاء بالوطن القبلي سنة 808 هـ ثم الفتوى بالحاضرة أيام الأمير أبي فارس عزوز، وأقام عليها إلى آخر حياته. ومِمَن أخذ عنه عمر القلشاني وابن ناجي وعبد الرّحمن الثعالبي وغيرهم. وله نظم كثير تظهر عليه كلفة المتفقهين.

ومات عن سنّ عالية في خلال سنة 827 هـ وقيل في التي بعدها.

لــه:

1 ـ **إكمال إكمال المعلم لفوائد صحيح مسلم**[2] في الحديث أكمل به «إكمال المعلم الذي وضعه القاضي عياض على «المعلم» للإمام المازري الشارح الأصلي لمسلم. وكان تحرير الأبي لشرحه هذا في سنة 823 هـ. وهو شرح كبير في 7

أجزاء جمع فيه أقوال شرّاحه الأربعة: المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات مفيدة وتنبيهات مهمة لا سيما من الناحية الفقهية. وكثيراً ما يأتي في غضون كلامه بحكايات وأخبار عن بيئة عصره لا توجد في غيره. وقد طالعته واستفدت منه كثيراً ونقلت منه.

يوجد منه نسخ خطية متعددة في كثير من المكتبات وطبع بمصر في سنتي 1327 - 28 هـ على نفقة مولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى مع اختصاره وضعه محمد السنوسي التلمساني وسماه «مكمل إكمال الإكمال».

2 ـ **تفسير القرآن** في 8 أسفار وقيل عشرة أسفار[3] رأيت عند بعض الكتبيين الجزء الأول منه ينتهي إلى آخر سورة البقرة توجد نسخة منه بالمكتبة العاشورية.

3 ـ **شرح على المدونة**[4](لا يعرف)[5].

مصـــادر:

- الزركشي 107.
- أحمد بابا 287.
- ابن القاضي 1 :294.
- كشف الظنون 1 :374.
- الحلل السندسية آخر الجزء الأول، الرائد التونسي عدد 12 سنة 1289 هـ.
- بروكلمان 1 :160.

الأبّـــي
000 - 827 هـ/ 1424 هـ
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ هذا النقل عن السخاوي بواسطة أحمد بابا في نيل الابتهاج. ويبدو أن ترجمته سقطت من مطبوعة الضوء اللامع ولم نجد فيه إلا نبذة يسيرة في باب الأنساب.

2 ـ توجد منه مخطوطات كثيرةوفيمايلي أهم ما وقفنا عليه منها:

الجزء	رقمه الجديد في دار الكتب الوطنية	رقمه القديم في مكتبتي جامع الزيتونة	ملاحظات
1 2 3 4 5	7270 5635 7271 6506 5633	512 513 514 515 516	نسخة تامة في خمسة أجزاء أصلها من المكتبة العبدلية
2 3 4	5810 5811 5812	518 519 520	نسخة في أربعة أجزاء ينقصها الأول هي والأجزاء المفردة الموالية من المكتبة العبدلية.
مفرد مفرد مفرد	5813 5834 5814	517 521 517	
1 2 3 4	10603 10604 10605 10606	1102 1103 1104 1105	نسخة تامة في أربعة أجزاء أصلها من الأحمدية
ج 1 مفرد مفرد	11308 11759 11266	1106 1107 1108	أجزاء مفردة أصلها من الأحمدية

ـ فاس، خزانة جامع القرويين، عدة نسخ وأجزاء مفردة تفصيلها كالآتي:

رقم 158 نسخة تامة في مجلدين.

رقم 159 المجلد الأول.

رقم 160 ثلاثة مجلدات ينقصها الرابع وهو الأخير.

رقم 161 السفر الثالث.

رقم 162 السفر الأول.
رقم 163 السفر الأول.
رقم 168 جزء مفرد.
ـ الرباط، الخزانة العامة رقم 205 د نسخة تامة في أربعة أجزاء، رقم 2054 د الجزء الثاني، رقم 2275 د. الجزء الرابع.
ـ الجزائر: مكتبة الجامع الأعظم رقم 55، المكتبة الوطنية رقم 490.
ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 16 م حديث نسخة تامة أربعة أجزاء.
ـ القاهرة: المكتبة الأزهرية رقم 2042 حديث.
وأشار بروكلمان وسزكين إلى أهم مخطوطاته الموجودة في مكتبات استانبول:
ـ راغب باشا: رقم 306، 307 ج 1، 2.
ـ جار الله: رقم 347، 348، 349، 350.
ـ السليمانية: رقم 368، 369، ج 2، 3.
ـ أحمد الثالث: رقم 409/4.
ـ سراي مدينة: رقم 245.
كما أشار بروكلمان وسزكين إلى مخطوطاته الأخرى الموجودة في بعض مكتبات العالم:
ـ ميونيخ: رقم 120.
ـ الهند: بنكيبورج 5 ق 1 ص 86 - 89 رقم 200 - 201.
ـ الموصل: 28، 90.

3 ـ الموجود منه أغلبه يقع في جزئين. وفيما يلي أهم ما وقفنا عليه من مخطوطاته.
ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 2860، 21269.
ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 10770 و 10771 (الأحمدية 360، 361). نسخة تامة في مجلّدين بخط الشيخ محمد بن سلامة. ورقم 10110 (الأحمدية 362) الجزء الأول فقط.
ـ تونس: المكتبة العاشورية رقم (ق. ح) 232.
ـ تونس: مكتبة محمد الصادق النيفر رقم 1119 - 1120. نسخة تامة في مجلدين عليهما طرر وتعليقات بخط الشيخ محمد قويسم.
ـ الرباط: الخزانة العامة رقم 2030 ك، 2028 ك، 2002 ك.

ـ استنابول: عمومية رقم 318 ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة 116 تفسير.

ـ استانبول: مكتبة نور عثمانية رقم 180. وهذه الأخيرة نسبها بروكلمان (2 :247) لابن عرفة وكذلك ما قبلها نسبت في فهرست معهد المخطوطات لابن عرفة وقد بين سعد غراب في بحثه عن تفسير ابن عرفة أن ما ينسب لابن عرفة لا يعدو ثلاثة روايات تناقلها عنه تلاميذه وأصحابه.

4 ـ نسبه له صاحب نيل الابتهاج.

5 ـ نسب له صاحب كشف الظنون:

4 ـ شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي.

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ الحلل السندسية 1 :669 - 671.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ تاريخ الدولتين ص 123.

ـ درة الحجال 2 :285.

ـ كشف الظنون ص 557 - 558.

ج ـ إضافات:

ـ الأعلام **115:6**.

ـ البدر الطالع 2 :169.

ـ برنامج المكتبة العبدلية 2 :33 - 37.

ـ بروكلمان (الترجمة العربية) 3 :182.

ـ تبصير المنتبه 1 :21.

ـ تراجم المؤلفين 1 :50.

ـ سزكين: تاريخ التراث العربي 1 :265 - 266.

ـ سعد غراب: (تفسير ابن عرفة ورواياته، ملتقى ابن عرفة 1976 (ص 388 - 396).

ـ شجرة النور الزكية 1 :244.

ـ الضوء اللامع 11 :113 (قسم الأنساب).

ـ عنوان الأريب 1 :114 - 115.

ـ فهرس الكتبخانة الخديوية 1 :271.
ـ فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 1 :90.
ـ فهرس المخطوطات بخزانة جامع القرويين 1 :166 - 169، 172.
ـ فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط ق 3 ج 1 ص 45.
ـ فهرس المخطوطات المصورة 1 :31.
ـ فهرس الجامع الأعظم بالجزائر 1 :38.
ـ فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية 1 :71.
ـ كشف الظنون 1256.
ـ معالم التوحيد ص 122، 287.
ـ معجم المطبوعات ص 363.
ـ معجم المؤلفين 9 :287.
ـ نزهة الأنظار 1:239 - 240.
ـ هدية العارفين 1 :184 (مع خلط بينه وبين شخص أندلسي).

— 68 —
المخزومـي القفصـي

محمد بن قاسم بن محمد بن عبد العزيز المخزومي أبو عبـد الله القفصي، وربما قيل له البسكري فكان يقول: «لا أعرف لذلك مستنداً. إنما نحن من قفصة أصولاً وفروعاً».

مـولده سنـة 776 هـ بمدينـة قفصة ونشـأ بها[1] وقـرأ بتونس ثم ارتحـل إلى الحجاز ـ في أواخر القرن الثامن ـ وجاور بمكة نحو ثلاث سنين. ثم عاد إلى بلده وأقام به خمسة عشر عاماً[2]، ثم تحوّل بأهله إلى الحجاز ومنه رجـع إلى القاهـرة وانقطع بمدرسة نظام الدين بالصحراء قريباً من قلعة الجبل.

وكان إماماً زاهداً متضلّعاً في علوم السنّة كثير الاطلاع، مديم الانقطاع إلى الله من صغره. وقد اغتبط به السلطان الظاهر جقمق وأحبّه، ولم يسمح بفراقه. ثم إنه تمكّن من السفر إلى مكة فمات بها غرة المحرم سنة 843 هـ.

لــه:

1 ـ **حواش مفيدة على كتاب التمهيد لابن عبد البرّ**[3].

مصــادر:

ـ الضوء اللامع 8 :285.

المخـزومـي

776 هـ/ 4 - 1375 م ـ 843 هـ/ 1439 م

استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ ذكر السخاوي أنه أخذ بقفصة عن أبي عبد الله الدُّكالي .

2 ـ النص في الضوء اللاّمع . ولفظه : « . . وارتحل إلى الحجاز في أواخر القرن الذي قبله (أي الثامن) فجاور بمكة نحو ثلاث سنين متجرّداً . ثم توجه منها ماشياً إلى المدينة الشريفة، فأقام بها مدة ثم رجع إلى بلاده فدام بها إلى نحو خمس عشرة (وثمانمائة) .

3 ـ ذكره في الضوء اللامع ، ووصف مؤلفه بكثرة مطالعة التمهيد.

— 69 —
البرشكـي (عبـد الرّحمـن)

عبـد الرّحمن بن محمـد بن عبد الـرّحمن بن سليمان بن علي[1]، أبـو زيد العدناني شهر البرشكي، نسبة إلى برشك بلد بناحية تلمسان ومنها وفد أسلافه على تونس، وتداولوا الوظائف الشرعيـة والمخزنيـة(*) تولّى جـدّه وسميّه عبـد الرّحمن قضاء الجماعة بتونس سنة 785(**) وتولّى بعده ابنه[2] والد صاحب الترجمة.

ولد عبد الرّحمن بالحاضرة وبها قرأ على جماعة من أعيان علمائها. ثم رحل إلى المشرق سنة 816 هـ وحج وحمل عن رواة الحديث المشهورين. ثم سافر إلى الحجاز مرة ثـانية قـاضياً على الـركب المغربي سنـة 825 هـ وصاحَبَ ابنَ حجـر العسقلاني وأخذ عنه ـ وقد عـرّف به ابن حجـر في إنباء الغمـر[3] فقال: «صـاحبنا المحدث الرحّال، الفاضل، أخذ ببلاده عن جماعة. كان حسن الأخلاق، لطيف المجالسة، كريم الطبـاع». وكان من المقـربين من السلطان الحفصي أبي فارس حتى أنه أرسله خاصة لشراء بعض الكتب[4] النـادرة من مصر(***) روى عنـه من أهـل إفريقيـة والمشرق جمـاعـة من أعيـان المحـدثين مثـل تقي الـدين بن فهـد وعفيف الدّين الناشري والسخاوي المؤرخ وغيرهم كثير.

(*) راجع درة الحجال 2 :355 عن أسلافه[5].

(**) الزركشي 97، أحمد بابا 198.

(***) الضوء اللامع 4 :214.

ومات هو وزوجه وولده منها في حادث نجهل تفصيله في خلال سنة 849 هـ.

لـه:

1 ـ **طرد المكافحة عن سند المصافحة**[6] يعني الحديث المتسلسل بالمصافحة، في جزء واحد.

مصادر:

ـ الضوء اللامع 4 :132.

ـ شذرات الذهب 7 :231.

البرشكي (الحفيد)
000 - 849 هـ/ 5 - 1446 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ لم نجد تفسيراً مقنعاً لعبارة ابن حجر في إنباء الغمر عند حديثه عن ابن العباس أحمد بن سليمان بن محمد العدناني ـ شهر البرشكي ـ: «والد صاحبنا المحدث زين الدين عبد الرّحمن» فهل يقصد به عبد الرّحمن الأول، صاحب هذه الترجمة، أم الثاني، وهو جد قاضي القضاة ـ وهو الراجح. فإن صح فيكون بين رواية ابن حجر ورواية السخاوي المثبتة أعلاه خلاف.

2 ـ ليس في المصادر ما يثبت ذلك خاصة أن الزركشي نص أن أبا مهدي عيسى الغبريني هو الذي تولّى نيابة القاضي البرشكي لما مرض. ثم أخذ مكانه في قضاء الجماعة بعد وفاته سنة 787 هـ (تاريخ الدولتين ص 112).

3 ـ هذا في الأجزاء التي لم تطبع بعد. والمؤلف ينقل من الضوء اللامع.

4 ـ يذكر في الضوء اللامع أنه حرّكَ السلطان أبا فارس عبد العزيز على استنساخ نسخة من فتح الباري.

5 ـ يحتاج هذا الاستنتاج إلى مزيد من التقصي في التسلسل النسبي.

6 ـ ينظر السخاوي (4 :133) وفيه إشارة إلى سبب تأليف هذا الكتاب.

II ـ مصــادر :

أ ـ طبعات جديدة :

ـ تاريخ الدولتين ص 112 .

والملاحظ أنه لم يترجم له غير السخاوي في الضـوء اللامـع وبقية المصـادر إنما أشارت إلى جدّه قاضي الجماعة .

— 70 —

الغريـانـي(*)

كان حيّاً في النصف الثاني من القرن 9 هـ (14 - 15 م)

عبد الواحد بن محمد الغرياني(1)، أبو محمد.

كان أبوه من أهل العلم، فتخرّج به ولـده، ونشّـأهُ تنشئة علميـة. ولازم ابن عـرفة فعُـدَّ من تلاميـذه. وأخذ عنْ عيسى الغبـريني. واختص بالمحـدّث الشهير محمد بن أحمد البطرني فأتقن عنه فنّ الرواية وعلوم الإسناد.

روى عنه الرّصاع وعبد الرّحمن الثعالبي.

اشتهر بالرواية والحرص على الاستزادة من أسانيد الشيوخ وإجازاتهم، فتوفّر له منها شيء كثير من علماء الأندلس والمشرق. وقصده طلبة هـذا الفنّ لاشتهاره وعلوّ أسانيده وتعدّد إجازاته.

حلّاه تلميذه الرصاع بـ «المحدّث، الراويـة المصنّف». ثم قال: «لـه همّة علمية في العلوم. وله قلم عجيب، مع مشاركة في المنقول والمعقول».

كان حيّاً في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع الهجري.

لــه:

1 ـ **فهرست مروياته**(2).

2 ـ **عنوان الفوز**(2).

(*) لم يترجم له المؤلف واكتفى بذكره وذكر تآليفه في فهرسي المؤلفين والمصنفات.

(1) في غنيـة الوافـد ومن نقل عنـه كالبلوي في ثبتـه والكتاني في فهـرس الفهارس سمي أبـوه «إسماعيل» وهو مخالف لما في فهرست الرصاع وتاريخ الدولتين.

(2) نسبهما له المؤلف في فهرس المصنفات ولم نقف عليهما عند غيره فيما وقفنا عليه من مصادر.

قال الرصاع: «له تواليف عديدة» ولم يسمّها.

مصــــادر:

- تاريخ الدولتين ص 74 - 75.
- ثبت البلوي ص 280.
- درة الحجال 3: 139.
- فهرس الفهارس ص 733، 882.
- فهرست الثعالبي (غنية الوافد) ورقة 6 و.
- فهرست الرصاع ص 177، 178.

— 71 —
العربـي المرداسـي

عبد اللطيف بن أبي البركات محمد بن أبي الطاهر بن أحمد المرداسي شهر العربي[1]. نشأ بمدينة تونس وقرأ بالزيتونة وأخذ عن شيوخها منهم الحافظ أبو العباس الشاطبي شهر المشاط المتوفّى سنة 914 هـ (1508 م) وغيره. وكأنه انخرط بعد تعلّمه في زمرة كتّاب الدواوين لأنه يخبرنا عن بعض معاصريه من أهل الأدب كأبي إسحاق إبراهيم الكمّاد الخزرجي كاتب الجيش المظفر، وأبي العباس أحمدالعصافري شاهد الجيش، وأبي البركات محمد بن علي الغماري شهر البوجادي (أمين سوق العطارين). وكلّهم من موظفي الحكومة الحفصية في أوائل القرن العاشر للهجرة. وإنّا لا نعلم من خبره إلّا كونه كان يعيش في الربع الأول من القرن العاشر. وقد شهد بعض الوقائع التاريخية منها مهاجمة الأسطول الإسباني لمدينة وهران وجزيرتي جربة وقرقنة ومدينة طرابلس (ما بين 913 و916 هـ) ويخبرنا أن شيخه أحمد المشاط مات في عام 914 هـ. وهذا كل ما نعرفه من أخباره.

لــه:

1 ـ **الذخيرة السنيـة. في شرح الأطعمـة السنّية** جعله كالتعليق على تأليف صغير من جمع أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال القرطبي المتوفّى سنة 578 هـ المعنون «بالآثار المروية، في الأطعمة السنية» فشرح ما به من الأحاديث النبوية الواردة في شأن الأطعمة وأنواع اللحوم والصيد والأسماك وصنوف المشروبات والتوابل والأبراز مع آراء الحكماء مثل الطبيب أحمد بن عبد السلام الصقلّي التونسي في كل صنف منها. وفي غضون ذلك حكايات أدبية وأشعار

وحكم وتراجم رجال منقولة من عدة مصنفات تونسية أهمها كـ «مراقي الافهام في حلية الأعلام» لمؤلف تونسي مجهول منا. وكـ «صلة السمط» لابن الشباط التوزري وقال في حقه «وعندنا منه بالخزانة الفارسية بالجامع الأعظم ـ جامع الزيتونة ـ نسخة مباركة»(*). كما ينقل كثيراً عن كتاب جده «المعالم السنّية في أخبار الدولة الحفصية» وغير ذلك مما يطول تعداده.

وبالجملة فإن شرحه هذا يشمل فوائد تاريخية وتراجم أشخاص من عصره يندر وجودها في غيره لقلة المؤلفات في ذلك العهد المظلم ـ منه نسخة سقيمة الخط في جزء كبير كانت في مكتبة حبيبنا المرحوم الشيخ محمد المقداد الورتتاني تاريخ نسخها في سنة 1024 هـ تخرج في نحو 400 صحيفة[2].

2 ـ **الإصابة في فضل النبيء والصحابة** لم نقف عليه. وذكره مرات في كتابه المتقدم وجلب منه فصولاً وتراجم. وهو في سيرة الرسول وأصحابه.

مصــادر:

ـ كـ «الذخيرة السنية» (خط) في عدة مواضع منه.

المـرداسـي
كان حيّاً في الربع الأول من القرن العاشر الهجري/ 16 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ كذا سلسل نسبه في طالعة كتابه «الذخيرة السنية».
2 ـ آلت الآن إلى المكتبة العاشورية بتونس تحت رقم (ق. ح) 473.

II ـ مصـادر:

ـ الذخيرة السنية ص 65، 181، 184 - 185، 300، 319.

(*) يعني خزانة الكتب التي أوقفها السلطان أبو فارس عبد العزيز الحفصي على جامع الزيتونة.

— 72 —
ابن أبي دينار (أبو القاسم)

أبو القاسم بن أبي دينار القيرواني[1]، والد المؤرخ «محمد» صاحب كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.

كان من الفقهاء بمدينة القيروان[2]. ولم نقف له على ترجمة مستوفاة[3]. وكان بقيد الحياة أواسط القرن الحادي عشر.

لـــه:

1 ـ **تأهب الرّاوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح يعني البخاري.**

ذكر فيه شيئاً من آداب المحدث، نقل عنه ابنه طرفاً في تاريخه.

مصـــادر:

ـ المؤنس ص 200.

ابن أبي دينار (الوالد)
كان حيّاً أواسط القرن 11 هـ/ 17 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ سمّى نفسه في طالعة كتابه وخاتمته: أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي دينار الرعيني القيرواني.

2 ـ يفهم مما ورد في سياق تأليفه (الورقة 63 ظ) أنه كان قاضياً. ولم يعيّن البلد الذي اشتغل فيه لا القيروان ولا غيره. وذكر في تأليفه هذا (الورقة 101 ظ) أن من شيوخه الذين أخذ عنهم «. . شيخنا العلَم المطلق، الفرد، نخبة الدهر، وخاتمة العصر، ذو التآليف العجيبة أبو الحسن بن عبد الواحد الأنصاري».

ومن شيوخه أيضاً: «. . شيخنا العلاّمة أبو عبد الله محمد بن عثمان عـرف بابن عطية».

ومما يلاحظ أن هؤلاء كلّهم من تلاميذ المؤرخ الشهير الراوية «أبو العباس أحمد ابن محمد المقري التلمساني صاحب نفح الطيب».

ومما ذكر عن نفسه في كتابـه المذكـور (الورقـة 64 و) أنه كـان ـ في أول أمره ـ مشتغـلاً بقرض الشعـر ودراسة العـروض. ومن الكتب التي أقـرأهـا «الخـزرجيـة» و «حواشي مختصر السعد» و «الرّامزة» في العروض.

ولما اكتهل انتقل اهتمامـه إلى علم الحديث وروايتـه، فاشتغـل بتدريس «ألفيـة العراقي» في الحديث وغيرها. وفي هذه الفترة من حياته كتب تأليفه المذكور.

3 ـ أورد أشياء عن حياته في مصنفه «تأهب الراوي. .» ألمعنـا بطرف منهـا في التعاليق السابقة.

4 ـ يذكر ناسخ الكتـاب (الورقـة 105 ظ) أنه نقله من خط مؤلفـه. ويفهم من كلامـه أن المؤلف كان بقيد الحياة في تاريخ نسخ الكتاب وهو «29 ذو الحجة سنـة 1055».

5 ـ منه نسخة خطية في دار الكتب الوطنية رقم 7147/7 وأصلها من مكتبة رضوان رقم 97/7 التي ألحقت سابقاً بمكتبة العبدلية. ومنها استفدنا بعض أخباره.

II ـ مصـــادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ المؤنس ص 318.

ب ـ إضافات:

ـ تأهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيـح، ورقات: 63 ظ، 64 و 101ظ، 105 ظ.

— 73 —
المحجـوز

سعيد بن إبراهيم بن علي[1] شهر المحجوز، تزايد بتونس. وبها قـرأ وبرع في علـم الحديث. وكان له سند عالٍ في كتب الصحاح الست، وأقرأ بالزيتونـة، وتولّى الخطابة بجامع القنيطرة داخل باب الجزيرة من تونس. ثم سافر إلى الحج برّاً مع الركب التونسي فتوفِّي صادراً في مرسى مطروح ـ قرب الإسكندرية ـ في 17 رمضـان 1119، ولما عاد الركب بعد الفريضـة أخرج جثته وأتى بها إلى تـونس فدفن في صحن ضريح سيدي منصور بن جردان.

لـه[2]:

1 ـ «**الجامع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض**»[3].

2 ـ «**الدعوات المستجابة**».

3 ـ **من رأى الله تعالى في النّوم**[4].

4 ـ **رؤية النبي في اليقظة**.

5 ـ **سيرة المصطفى ﷺ**.

6 ـ **رقم لا إله إلا الله** (؟)

7 ـ «**المثلث**» في اللغة.

8 ـ «**الأفعال الثلاثية**» ـ هل هي من باب نصر أو ضرب أو علم أو حسب.

9 ـ **الأضداد**[5].

10 ـ **شرح على موطأ مالك بن أنس**[6].

قال الوزير السرّاج: «هذا ما رأيت بخطه رحمه الله... ولعلّها اندرجت في كراريس خُرْمِهِ(7) قبل أن يسفرها فأهملت».

مصـــادر:

- المؤنس 299.
- البشائر 118.
- الحلل السندسية ج 3 ص 32 (خط).

المحجـوز

000 - 1119 هـ/ 1707 م

استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ لا ذكر لهذا الجدّ في مصادر ترجمته.

2 ـ نقل السرّاج قائمة كتبه ما عدا الأخير.

3 ـ عنوانه في الحلل «كتاب في الجمع بين الأحاديث».

4 ـ عنوانه كما في الحلل «كتاب فيمن رأى الله تعالى في النوم من الأولياء».

5 ـ أغفل المؤلف اسم هذا الكتاب في فهرس المصنفات. وهو مذكور في قائمة السرّاج المنقولة من خط صاحب الترجمة.

6 ـ انفرد بذكره صاحب «ذيل بشائر أهل الإيمان» وقال: لم يكمل.

7 ـ ضبطها المؤلف بضم الخاء المعجمة وسكون الراء ثم ميم مكسورة ثم هاء. وفي مطبوعة الحلل: حزمة بحاء مهملة وزاي.

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

- الحلل السندسية 3: 131 - 132.

ب ـ طبعات جديدة:

- ذيل بشائر أهل الإيمان ص 210 - 211.
- المؤنس ص 316.

ج ـ إضافات:

شجرة النور الزكية ص 322 - 323.

— 74 —
الفراتي (ابن عبد العزيز)
[1165 هـ / 1752 م]

عبد العزيز بن عبد العزيز (على اسم أبيه الآتي) بن محمد الفراتي. قرأ على والده وعلى غيره كالشيخ علي النوري. وتولّى بشركة أخيه أحمد ـ وهو البكر ـ جميع وظائف والده الشرعية كالإمامة والخطابة والتدريس. ثم استقلّ بها حين مات أخوه أحمد عام 1147 هـ. وتولّى بعدها الفتوى. وكان محدثاً عالماً بالتوقيت، فصيحاً في خطبه، متحللاً من الدنيا لم يأخذ شيئاً على فتواه مدّة حياته. ودارت عليه محنة عامل البلد محمد السيّالة الذي دبر له مكيدة راجت على الباشا علي باي ابن محمد فعزله عن وظائفه وبقي هو يتردد بتونس إلى أن توفّي بها خلال سنة 1165 هـ. ونُقِلَ إلى بلده حيث دفن بضريح آبائه.

قال مقديش: «**وألّف الشيخ الخطيب عدّةَ تآليف لم تشتهِرْ**» يعني لم تصدر للخارج. ولم يذكر مقديش أسماءها ولا مواضيعها.

وأخذ عنه جماعةٌ من طلبة صفاقس منهم أولادُه. وقد تقلّدوا الوظائف الشرعية بعد ذلك.

مصـادر:

ـ مقديش 2: 175.

ـــ 75 ـــ

الفراتي (عبد الرّحمن)

عبد الرّحمن بن عبد العزيز بن محمد الآتي ذكر أبيه وأخيه بعد.

قرأ مع أخويه (عبد العزيز وأحمد) على والده وغيره. ثم أقبل على الاحتراف، فكان يعيش من كدّ يده بنسج قماش الكتّان. ومدينة صفاقس ـ إذ ذاك ـ من أنشط المدائن التونسية في الأعمال الصناعية.

وكان فقيهاً واعظاً محدّثاً، له معرفة جيّدة بالسِّيَرِ والأخبار. لكن أكثر اشتغاله كانَ بالحديث.

وتولّى خطابة الجامع الكبير ببلده بعد أخيه عبد العزيز سنة 1179 هـ. ثم خطّة الإفتاء. وكانت وفاته آخر شعبان سنة 1181 هـ.

لــه:

1 ـ **شرح على صحيح مسلم**. قال مقديش: «ومات وهو في مسوّدته فأمر بتبييض نسخةٍ منه الأمير علي باي بن حسين.

2 ـ **شرح عقيدة والده**. وهي منظومة في التوحيد[1] يأتي ذكرها.

3 ـ **حاشية على بعضِ شروح موطّأ الإمام مالك**.

مصــادر:

ـ مقديش 2: 177.

الفراتـي (عبـد الرّحمـن)
1181 هـ/ 1768 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ منه نسخة في خزانة محمد الصادق النيفر بتونس رقم 895.

— 76 —

نقـــرة(*)

بعد سنة 1200 هـ/ 1785 م

رمضان بن محمد نقـرة البوسلامي. فقيه ومحدث، أخذ عن علمـاء بلده القيروان، وتولّى التدريس بها. وكان له فضل وزهد وتواضع.

وكانت وفاته بالقيروان بعد سنة 1200 هـ.

لــه:

1ـ شرح على الأربعين النووية[1].

2 ـ نظم أسماء الله الحسنى[2].

3 ـ رسالة قبّح فيها صنيع الشيخ داوود في تأليفه «حلبة الكميت»[3] وقبّح فيها استعمال التبغ. (مزج فيها المنظوم والمنثور)[4].

مصـــادر:

ـ تراجم المؤلفين 5 :46.

ـ تكميل الصلحاء ص 128.

ـ مورد الظمآن (نص منقول بخط مؤلفه عند المرحوم ح. ح. عبد الوهاب).

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة واكتفى بذكره في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

(1) قال عنه الكناني: هو شرح عجيب. وأضاف: وقفت على البعض منه. ولم ينسب له المؤلف في فهرس المصنّفات غيره.

(2) ذكره الكناني ووصفه بأنه «رائق».

(3) المعروف أن «حلبة الكميت» للنواجي. وهو مطبوع معروف. ينظر كشف الظنون 1 :687، معجم المطبوعات العربية ص 1872، فهل هو تأليف آخر؟!.

(4) انفرد الشيخ الجودي بذكره. ونقلناه عنه بحرفه.

— 77 —
عطيـــة

علي بن محمد بن أحمد عطية[1] من أبنـاء سوسـة وبها ولـد وتربّى. وقـرأ بالزيتونة، واستقر ببلده حيث تعاطى التعليم بجامعها الكبير[2].

وكان حيّاً أوائل القرن الثالث عشر[3].

لــه[4]:

1 ـ **اللآلىء السنية، على الأربعين الباكيرية من كلام خير البرية**[5]. وهو شرح مطول مفيد وضعه على الأربعين حديثاً التي جمعها شيخه أبو العباس حمودة باكير التونسي. وفرغ من تأليف هذا الشرح عام 1216 هـ وهو يخرج في نحو 300 ص من القالب الكبير. رأيتـه بخط مؤلفه عنـد بعض الكتبيين في الحاضـرة. ومنه نسخـة بمكتبة سوق العطارين 581[6].

علـي عطيـة
1225 هـ/ 1810 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ سمّى نفسه في أول شرحه على نظمه في التوحيد «علي بن علي عطية السوسي أصلاً ومنشأً». ويسمّيه ولده في تقديم الشرح المذكور «والدنا وشيخنا سيدي علي عطية» وجاء اسمه في صدر تأليفه «كفاية العباد»: علي بن علي بن محمد بن أحمد عـطية السوسي، أبو الحسن.

2 ـ يحلّيه ولده في أول شرحه الآنف الذكر ـ «الشيخ الإمام العلم الهمام المحدّث المفسر. . .».

3 ـ أرّخ ولده عبد الحميد وفاة والده بسنة 1225 هـ.

4 ـ ممّا وقفنا عليه من تصانيفه و فات المؤلف ذكرها:

2 ـ منظومة في التوحيد سمّاها «تذكرة الناظم» مطلعها

الحمد لله الذي تفرّدا   في ملكه فلم يزل موحّداً

ذكر في آخر شرحه عليها أنه نظمها سنة 1183 هـ. وهو في حال الطلب.

3 ـ تبصرة العازم على تذكرة النّاظم.

وهو شرح على المنظومة السالفة الذكر.

وقفنا على نسخة منه في خزانة أحد أعيان مدينة سوسة. وهي بخط ابن المؤلف واسمه عبد الحميد. فرغ من نسخها سنة 1234 هـ. ويذكر في صدر التأليف أن المؤلف فرغ من تأليفه سنة 1216 هـ.

4 ـ كفاية العباد في أهم ما وجب عليهم من الاعتقاد والتحريض على الطاعة والجهاد.

ألفه إثر ما بلغه من تغلّب الإفرنج على الإسكندرية ودخولهم مصر. وعند إتمامه الكتاب سنة 1216 ـ بلغه خبر خروجهم واندحارهم.

منه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس رقم 6527/2 (عبدلية 860/2).

5 ـ ابتهال واستغاثة منظومة (*78*بيتاً).

ضمن مجموع مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 5974/19.

5 ـ منه نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 6527/1 (عبدلية 860/1).

6 ـ يعني دار الكتب الوطنية بتونس.

II ـ مصادر:

ـ نوادر المخطوطات بدار الكتب الوطنية بتونس/مجلة معهد المخطوطات العربية 18: 11.

ـ تبصرة العازم على تذكرة الناظم (خط).

الفصل الرابع

الجدل والعقائد

— 78 —

سليمـان الفـراء

سليمان بن حفص بن أبي عصْفور شهر الفرّاء، أبو حفص[1].

من أبناء القيروان، وبها نشأ أواخر القرن الثاني.

كـان في أول أمره يقلّد آراء الكـوفيين أبي حنيفة وأصحـابـه، ثم مـال إلى الاعتزال، واعتنى بعلم الكلام وبرع فيه حتى عُدَّ من رجالـه المذكـورين. ورحل إلى العـراق وأقـام مـدة في بغـداد واختلط بمجـالس المعتـزلـة وصحب بشـراً المرّيسي(*) وأبا هذيل العلاف(**) وغيرهما من كبار المعتزلة.

ثم عاد إلى القيروان وقـد التفّ حولـه عصابـة من أحداثهـا ممن يميل إلى المنـاظرة والجـدل والقول بخلق القـرآن فلقنوا عنـه آراء المتكلمين ومهـروا فيهـا وراجت وقتئذٍ نزعـة الاعتزال أيّمـا رواج في البلاد الإفـريقية. والبـاحث في كتب تراجم الإفريقيين يجـد نماذج من المنـاظرات التي كـانت بين علماء السنّـة على اختلاف مذاهبهم وبين المنتسبين إلى الاعتزال.

حكى أبو العرب قال: «حدّث أسد بن الفرات يوماً بحـديث فيه رؤيـة الله -

(*) بشر بن غياث المريسي، أبـو عبد الـرّحمن، فقيه متكلم من أئمـة المعتزلـة، وإليه تنسب الـطائفة المريسية من المرجئة. وهو ينسب إلى درب المريس ببغداد وبها كانت وفاته سنة 218 هـ.

(**) محمد بن الهذيل بن عبد الله العبدي، أبو هذيل المعروف بالعلاّف، من أئمة المعتزلة، مولده بالبصرة سنة 131 هـ واشتهر بعلم الكلام، وله مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات في زمن الخليفة المأمون العباسي. وتوفي سنة 235 هـ في سامرّاء.

تبارك وتعالى - يوم القيامة، وسليمان بن الفرّاء في مؤخر المجلس، فتكلّم الفراء وأنكر، فسمعه أسد فقام إليه وجمع بين طوقه ولحيته واستقبله بنعله، فضربه ضرباً شديداً حتى أدماه وطرده من مجلسه».

وروى عياض[2] عَيْنَ الحكاية مع اختلاف في الرواية، قال: «إن أسداً كان يقرأ عليه في تفسير «المسيّب بن شريك» ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وسليمان الفرّاء حاضر، فقال: هذا من الانتظار، يا أبا عبد الله. . . فأخذ أسد بتلابيبه ونعلاً غليظاً بيده الأخرى وقال: يا زنديق. لتقولنّها أو لأبيضنّ بها عينك. فقال سليمان: نعم، ننظر».

قال أبو العرب إثر ذلك: «وبلغني أن الفرّاء كان يقول في أسد بن الفرات إنه ثور، لأنه يخالف رأيه».

وحكى الخشني: «أن سليمان قال مرة لمحمد بن سحنون: يا أبا عبد الله! الله سمّى نفسه. أراد بذلك أن يقول له «نعم» فيثبت عليه الإقرار بحدوث الأسماء والصفات - فقال له ابن سحنون: الله سمّى نفسه لنا ولم يزل وله الأسماء الحسنى».

وروى الخشني أيضاً: «أن الفراء قال يوماً لأبي عثمان سعيد بن الحداد: يا أبا عثمان، أين كان ربّنا إذ لا مكان؟ فقال له: السؤال محال، لأن قولك: أين كان يقتضي المكان، وقولك: إذ لا مكان ينفي المكان، فهذا نعم لا، فقال الفراء: فكيف كان ربّنا إذ لا مكان؟ فقال له ابن الحداد: السؤال صحيح، ثم أجابه بأنه الآن على ما عليه كان ولا مكان».

وفي نظر مؤرخي الخوارج الأباضية أن الفراء يميل إلى آراء الخوارج في بعض المسائل ويخالفهم في البعض، قال أبو الربيع الوسياني: أما سليمان الفراء فرجل مخالف، وإن ادّعوا أنه تاب ورجع إلى مذهب أهل الحق. «يعني الخارجية».

وقيل: إن الفراء دعا الناس مرة في القيروان إلى القول بمذهبه في خلق

القرآن وإنكار الرؤية فهمّ جماعة بقتله وتتبعوه فسلم منهم وللفرّاء أخ يسمّى عمرون كان أيضاً من طائفة المرجئة، ويذهب إلى الاعتزال إلاّ أنه لم ينل من الشهرة ما نال أخوه.

وكانت وفاة سليمان في خلال سنة 269 هـ ودفن بالقيروان.

لـه:

1 ـ **خلق القرآن**[3].

2 ـ **مشكل القرآن**[4]، قال الخشني: وسمعت من يذكر أنه سلخه من كتاب قطرب النّحوي[5].

3 ـ **أعلام النبوءة**.

4 ـ **المقالات**، قال الشماخي: رأيت له كتباً كثيرة أجلها وأحسنها هذا.

وربما كان له غير ما ذكرنا من التآليف[6]، ولم يبلغنا منها شيء.

مصـــادر:

ـ أبو العرب 82، 83، 124.
ـ الخشني 198، 219.
ـ ابن العذاري 113/1.
ـ ابن الأثير 160/7.
ـ السير للشماخي 262.

الفـــرّاء
269 هـ/ 2 - 883 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ كنيته في العيون والحدائق: أبو الربيع.
2 ـ النص في الرياض (1 :265) وعنه أصلحنا النّصّ وقوّمناه.
3 ـنسبه له الخشني، وعبارته «وله كتب في مذهبه في خلق القرآن».

4 ـ نسبه له ـ أيضاً ـ الخشني . وعبارته « . . وله كلام في مشكل القرآن وكتاب ألفه فيه» .

5 ـ محمد بن المنستنير المعروف بـ «قطرب» النحـوي (توفي سنـة 206 هـ/ 821 م) نسب له ابن النديم (الفهرس فلوغل ص 53، تجدّد ص 58) ثلاثة كتب تتصل بمترجمنا :

1 ـ **كتاب معاني القرآن** .

2 ـ **كتاب الرد على الملحدين في متشابه القرآن** .

3 ـ **كتاب إعراب القران** .

6 ـ عبارة الشماخي مضطربة ولا تقطع بنسبة كتاب المقالات لسليمان الفراء .

II ـ مصــادر :

أ ـ طبعات جديدة :

ـ البيان المغرب 1 :119 .

ـ الكامل في التاريخ 7 :398 .

ب ـ إضافات :

ـ تراجم المؤلفين 5 :246 .

ـ رياض النفوس 1 :264 - 265 .

ـ العيون والحدائق 4 :57 .

— 79 —

ابـن غـافـق

عبد الله بن غافق، أبو عبد الرحمن[1]

مولده بمـدينة تـونس سنة 204 هـ (819 م) وبهـا نشأ وتعلّم[2]، وكـان أول أمره مولعاً بالأدب وفنـونه، ورحـل إلى رجل من جـزيرة شـريك يتعلّم منـه العربيـة والأدب فبقي عنده عشر سنين. وقصد بعدها القيروان وقرأ على سحنون مدة طويلة. وكـان سحنون إذا أراد أن يحـرض ابنه محمـد على الإقبال على القـراءة يقول لـه: ادرس لا يجيئك الكبير الرأس ـ يعني ابن غافق ـ وكان رأسه كبيراً، ثم إنه سافر إلى مصر وأخذ عن محمد بن عبد الحكم، وقصد الحجاز فأدّى فريضة الحج.

حكى بعضهم أنه لما حجّ أهدى إليـه رجل هـدية في سفـره فكافـأه عليها في حينه. ثم أهدى إليـه ثانيـةً فكافـأه، فجعل الـرجل يكثـر من الهدايـا وابن غافق من المكافأة، فلما أكثر عليه لقيه يوماً فقـال له ابن غـافق: إن كان يسـرّك أن أرجع إلى بلدي وعليّ دين فتمادى في فعلك، فكفّ الرجل عنه.

وعاد ابن غافق إلى تونس، وعليه كان اعتماد أهل بلده في الفتوى حتى قيل: إن ثلاثة رجال من أهل العلم بـإفريقيـة لم يكن في عصرهم أحـد أطوع في النـاس منهم محمد بن سحنون بالقيروان، وأحمد بن يملول بقسطيلية وابن غافق بتونس.

وعرض عليه الأميـر إبراهيم الثـاني قضاء القيـروان فامتنـع وأشار بـابن طالب فأولاه بإشارته. وكان سليمان بن عمران يقول مدة قضائـه بالقيروان: «ما يحلّ لي أن أولي القضاء بتونس أحداً حتى أعرض ذلك على ابن غافق فحينئـذٍ أولي». ولذلـك كان من يتولّى قضاء تونس لا يباشر شيئاً إلّا عن رأيه ويعمل بقوله.

وعـرّف أبو العـرب التميمي بابن غـافق فيما لم يبلغنـا من طبقـاتـه ونقله عنـه عياض في المدارك فقال: كان ابن غافق فقيهاً، ذا هيبة ونسك، معدوداً في أصحاب سحنون، ثقة مأموناً، عالماً بالأدب وفنونه.

وذكـر أنه نـاظر ابن الكـوفي الفقيه الحنفي يـومـاً فلمـا ضيّق ابن غـافق عليـه بالحجّة قال له ابن الكوفي: إن مسورتك[3] كبيرة ـ يعني رأسك ـ وكان ابن غافق كبير الهامة كما تقدم فأجابه ابن غافق: ذلك أكثر لحشوها.

وتوفي بمدينة تونس في خلال سنة 277[4] (890 م).

لـــه:

1 ـ **الإيمان**[5] رسالة وضعها بعد رجوعه من المشرق. وكـانت مسألـة الإيمان هذه قد أحدثت خلافاً كبيراً دوّى رنينه في العالم الإسلامي يومئذٍ، وحصل فيهـا من الجدل والاعتراض مـا هو مبسـوط في كتب التراجم، فكتب ابن غـافق رسالتَـه هذه وأبان فيها أقوال كبار المتكلّمين وأبدَى فيها آراءه ولم ينسبها إلى نفسه فكتبهـا الناس واستحسنوها، فادعاها رجل نحوّي في القيروان. وبلغ الخبـر إلى مؤلفها ابن غـافق فقال: إنما ظننتُ أن الناس يعملون بما فيها. وهذه كـانت رغبتي، فلما نسبت لغيـر أهل هذا العلم فلا يسعني السكوت بعد، أنا وضعتها.

وقرأها على يحيـى بن عمر فاستحسنها وقال: «أنا أرويها عنك».

وكان حمديس وموسى القطان يعجبان بها.

مصـــادر:

ـ المدارك 2 ـ ورقة 23.

ابن غافق
204 هـ/ 7 - 818 م ـ 277 هـ/ 90 - 891 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ كنّاه الشيرازي : أبو محمد.

2 ـ ذكر عياض أنه روى عن زيد بن بشر وهو من علماء تونس.

3 ـ في مخطوطة المؤلف من المدارك «مشورتك» بالشين المعجمة. وأخذنا برواية مطبوعة الرباط.

4 ـ عبارة عياض : وتوفي بمدينة تونس سنة خمس. ويقال سنة سبع وسبعين ومائتين.

5 ـ انفرد عياض بذكرها.

II ـ مصادر :

أ ـ مخطوطات طبعت :

ـ المدارك 4 :397 - 400.

ب ـ إضافات :

ـ تراجم المؤلفين 4 :397 - 400.

ـ طبقات الفقهاء للشيرازي ص 157.

— 80 —

ابـن البـرذون

إبراهيم بن محمد بن حسين الضبّي، ويعرف بـابن البرذون، أبـو إسحاق، من مشاهير علماء الكلام وأهل الجدل، تخرّج على سعيد بن الحداد واقتفى أثره في النـظر، وحاز رئاسة المتكلّمين المـدنيين في عصـره، فلم يكن في نشأة القيـروان أقوى منـه على المناظرة وإقامة الحجّة على المخالفين لمذهبه.

قال معاصره الخشنـي: كان عالماً بارعاً ذا بَـأْوٍ شديـد وأبّهة نبيلة. وكـان لِي جاراً فأخبرني علي بن منصور الصفّار - وهو ابن خالته - قـال: سمعته يقـول: إني أتكلم في سبعة عشر فنّاً من العلم، وكان كثير التحكّك بالعراقيين والمجـادلة لهم. ودارت عليـه بسبب ذلك محنة أولى في آخـر دولة الأغـالبة ضـربه القـاضي محمد بن أسـود الصَّديني بالسياط، وكان الصّديني هذا ممن يصرّح بخلق القرآن. ثم دارت عليه دائرة أخرى في أول دولة الفاطميين إذ سعَى به كلّ من ابن ظفر والكلاعي المعتزليين إلى داعي الشيعة أبي عبد الله الصنعاني[1] بدعوى أنه ينكر تفضيل علي، فـأمر الـداعي بقتله مع الفقيـه أبي بكر بن هذيل فعذبهما عامل القيروان للشيعة، وضرب رقابهما وطيف بهما مسحوبين على وجهيهما من دار الإمـارة - وهي بالقـرب من الجامـع الكبير - إلى بـاب أبي الربيـع وصُلِبا نحو ثلاثة أيام. ثم أنزلا ودفنا في شهر صفر سنة 297 هـ.

وفي مكتبة جامع القيروان بعض أجزاء على الرقّ مكتوبة بخطّه.

لـه:

1 - **كتاب مناقضة[2] كلام محمد بن الكلاعي** المعتـزلي في ردّه على تـأليف سعيد بن الحداد الذي دحض بـه حجج القـائلين بخلق القرآن، وكـان وضْعُه لهـذا الكتاب

سبباً لسعاية ابن الكلاعي به لدى الفاطميين حتى قُتِل كما تقدّم.

مصـــادر:

ـ الخشني 215 و 221 وما بعدها.
ـ المالكي 64.
ـ المدارك. (خط).
ـ معالم الإيمان 177/2.

ابـن البـرذون
000 - 297 هـ/ 909 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ اختلفت المصادر فيمن أمر بقتلهما الداعي أبو عبد الله أو أخوه أبو العباس. والأقرب أنـه هذا الأخير وذلك أثناء غياب الداعي في توجهه إلى سجلماسة لإنقـاذ المهدي من سجن اليسع بن مدرار. ويؤيده إنكار أبي عبد الله على أخيه أبي العباس لما بلغه ذلك. ينظر البيـان المغرب 1 :155.

2 ـ انفرد الخشني بذكره في ترجمة محمد الكلاعي.

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:
ـ ترتيب المدارك 5 :117 - 121.
ـ رياض النفوس 2 :47 - 49.

ب ـ طبعات جديدة:
ـ معالم الإيمان 2 :261 - 266.

ج ـ إضافات:
ـ البيان المغرب 1 :154 - 155 (حوادث 297 هـ).
ـ البيان المغرب 1 :282 - 283(حوادث 444 هـ).
ـ الديباج المذهب 1 :266 - 267.
ـ طبقات الخشني ص 230.

— 81 —
يحيى الخزاعي(1)

عون بن يوسف الخزاعي، أبو محمد.

ولد بالقيروان وقرأ على عبد الله بن غانم والبهلول بن راشد وغيرهما من محدثي إفريقية. ثم قصد المشرق. حكى عن نفسه قال: «قدمت المدينة سنة 180 هـ - بعد موت مالك بعام - فأدركتُ بها أربعين رجلاً من معلّمي عبد الله بن وهب منهم عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم وغيره، وسمعتُ من ابن وهب والمفضل بن فضالة وغيرهم».

ولما رجع إلى بلده فتح دكّاناً للتجارة في الكتّان، فمما يؤثر عن نزاهته أنه كانت له حبّة شعير إذا أعطى الدراهم جعلها مع المثاقيل وإذا أخذ جعلها مع الدراهم، فكان يُعطي بزيادة حبّة ويأخذ أنقص حبة. وكان يضع لجانبه بالدكان قفّة من التين المجفّف فإذا جاءه السائل أعطاه تينتين لا يزيد عليهما ولا يردّ السائل.

على أن اشتغاله بالتجارة لم يمنعه في الإقراء وبثّ العلم من حديث وفقه، وقد روى عنه جماعة منهم ابنه يحيى الآتي، وبكر بن حمّاد، وعبد الله بن طالب، وسليمان بن سالم وسواهم كثير، وكان ما بينه وبين سحنون فاسد، فكان سحنون يقع فيه ويعيب الأخذ عنه ويقول: «لم يسمع من ابن وهب مباشرة وإنما أخذ عنه إجازة» إلى غير ذلك مما يحصل بين المتعاصرين، على أنه ثبت أن عوناً لم يكن يقع في سحنون حتى قال ابن وضّاح: «كان عون - واللهِ - خيراً منه وأتقى لله».

حدث تلميذه بكر بن حمّاد، قال: «لما فرغت من قراءتي لكتب ابن وهب على

عون قلت: «يا أبا محمد. كيف كان سماعك من ابن وهب؟ قال: ـ يا بني أقال فيها أحد شيئاً ما؟ ثم قال لي: ـ والله، ما أحبّ أن يعذب الله أحداً من أمة محمد بالنار، أبطل الله سعيَه وصلاته وصومه وسائر عمله إن كان أخذها عن ابن وهب إلا قراءة، قرأت أنا عليه وقرأ هو عليّ، ولو كانت إجازة لقلت إنها إجازة. وقد حضرتُ ابنَ وهب وأتاه رجل بكتبه في تِلِّيس، فقال له: يا أبا محمد هذه كتبك، فقال له ابن وهب: صحَّحْتَ وقابَلْتَ؟ ـ فقال له: نعم، فقال: اذهب فحدث بها فقد أجزُتها لك، فإني حضرت مالكاً فعل مثل ذلك».

قال بكر بن حمّاد «فقلت: ـ يا أبا محمد. وكتاب «الأهوال» سمعتَه مِن ابن وهب؟ ـ قال عون: ـ لا حدثني به رجلٌ يقال له موسى بن منير عن ابن وهب» وموسى ابن منير من أهل الأندلس.

وكان عون يفرق بين السماع والإجازة فيقول في السماع: حدّثنا، وفي الإجازة: أخبرنا.

قال أبو العرب: «كان عون رجلاً صالحاً ثقة مأموناً» وكان كثيرٌ من علماء الأندلس يفضّلون عوناً ويذكرون دِينَه وتقواه. قال الخشني: ـ نزلت نازلة أحضر لها الأمير محمد بن الأغلب علماء القيروان. ودخل عون فقال له الأمير: ـ تقدّم يا أبا محمد فلك السنّ ولك الجلالة، ألم يقل مالك كذا؟ ألم يقل كذا؟ وعون يقول: نعم. ثم تكلّم الناس.

وكان وَالي القيروان يكره سحنوناً ويدسّ من يرفع عليه، فقيل له: ما بينه وبين عون فاسد، وقد أضر سحنون سمعتَه. فطمع الوالي أن يجد السبيل بشهادة عون عليه، فأرسل في عون وسأله عن سحنون وأعلمه بما يرد عليه من الشكاية به، فقال عون: «سبحان الله! مثلي يكشف ـ أو يسأل ـ عن سحنون؟ والله إن سحنوناً أفضل وخير من أن يُسْأل مثلي عنه». فزاد ذلك شرفاً لعون لورعه.

ولما وَلي سحنون قضاء القيروان أتاه عون فقال له: نهنّيك أو نعزيك. ثم قال: إنه بلغني أنه من أتاها ـ أي خطة القضاء ـ من غير أن يسألها أُعِين عليها، ومن أتاها

عن مسألة لم يُعَنْ عليها» فقال له سحنون: «من وَلّته الشفاعة عزلتْه الشفاعة، ومن ولّته الشفاعة حكم بالشفاعة».

ولما حضرت عون الوفاةُ أوصى ابنَه يحيى أن يصلّي عليه. ومما قاله له: «يزعم سحنون أني كذّاب لم أسمع من عبد الله بن وهب وإنما أخذت عنه إجازة». فلما مات وحضرت الجنازة تقدّم سحنون ليصلي عليه فتقدّم ابنُه يحيى وقال له: «أوصى أبي أن لا تصلي عليه» فأزاحه سحنون وضرب رأسه بالصوت وصلى عليه[2].

ومات عون يوم الأحد 2 جمادي أولى سنة 239 هـ قبل سحنون بنحو عام على ما قاله أبو العرب، وذكر ابن الجزار أن وفاته كانت سنة 240 هـ ويظهر أن الأول أصحّ. ودفن بمقبرة باب نافع ولم نقف على ذكر مجموعته في الحديث.

المصــــادر:

- أبو العرب: 105.
- المالكي 1 :297.
- المدارك 1 :210.
- المعالم 2 :42.

أما ابنه **يحيى**، ويكنّى **بأبي زكرياء**، فإنه وُلِدَ بالقيروان سنة 206[3] وقرأ على أبيه وعلى سحنون وغيرهما. قال المالكي: كان رجلاً صالحاً من أهل العلم والفقه وكان إذا كان يوم الشك في رمضان جعل آنية الماءِ في المسجد إلى جانبه. فإذا سأله أحد عن الصوم شرب الماء يقصد بذلك المبالغة في إفطار الناس. وقيل إن فيما يرويه من الحديث شيئاً من اللّين.

وتوفي في ربيع الأول سنة 298[4] ودفن بمقبرة بلب نافع.

لــه:

1 ـ «**الحجة في الردّ على أهل البدع**»[5] ويسمّى «الحجة» اختصاراً ـ أوله: أما بعد فإن الله شرع لنبيّه محمد شرائِع الهُدَى، وأنزل عليه الكتاب ﴿لا يأتيه الباطل﴾ إلخ الآية، وموضوعه معارضة أهل الأهواء من الفِرَقِ المخالفة للسنّة مثل الجهمية

والقدرية والجبرية والشكوكية وغيرهم، والردّ عليهم بالحجة، يوجد منه في مكتبة جامع عقبة بالقيروان جزء على الرقّ(6) يرجع خطه إلى القرن الرابع هـ.

مصــادر:

ـ معالم 2 :165.
ـ البيان المغرب 1 :161.

الخزاعي (يحيى بن عون)
206 هـ/ 1 - 822 م ـ 298 هـ/ 910 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ كان العنوان بالأصل «عوْن الخزاعي» والد يحيى. ولم يعرف لهذا الوالد تصنيف لكن المؤلف أطال في ترجمته قبل ذكر ابنه عون. وقد احترمنا ذلك مكتفين بتغيير العنوان وجعله باسم الابن لأنه هو الذي يتماشى مع منهج الكتاب. وأصل تأليفه (العلماء أصحاب المصنفات).

2 ـ حول الصلاة عليه تراجع ترجمة ابنه يحيى في المدارك 4 :401 - 402. وفيها رواية تزيد الخبر تبياناً وإيضاحاً.

3 ـ هذه رواية العواني في ما نقل ابن ناجي عنه. وفي المدارك: ولد سنة 211 هـ.

4 ـ هذه رواية العواني في ما نقل ابن ناجي عنه وتدعمها رواية البيان المغرب. أما رواية الدبّاغ فهي «. . . وتوفي سنة 291 هـ وعمره 85 سنة».

5 ـ أشار إليه عياض في ترجمته بقوله: «. . . وله كتاب في الرد على أهل البدع».

6 ـ ينظر عنه مقال يوسف شاخت في أرابيكا تحت رقم 25 ففيه تفصيل لمحتويات هذا الجزء. ومنه ميكروفيلم بالمعهد القومي للآثار (أرقام اللوحات من 1693 إلى 1718).

II ـ مصــادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ البيان المغرب 1 :163.
ـ معالم الإيمان 2 :246 - 247.

ب ـ إضافات :

ـ تراجم المؤلفين 2 :200.

ـ حول بعض مخطوطات القيروان وتونس (شاخت) ص 25 - 26 رقم 25.

ـ شجرة النور الزكية 1 :74.

ـ لسان الميزان 6 :273.

ـ المدارك 4 :401 - 402.

ـ المكتبة الأثرية بالقيروان ص 39.

— 82 —

ابن الحداد(*)

سعيد بن محمد بن صبيح شهر بابن الحدّاد[1] الغسّاني، أبو عثمان. من كبار المتكلّمين الإفريقيين في عصره إن لم نقل أشهرهم وأعلمهم وأذكاهم. درس في أول أمره العلوم الدينية وأخذ عن الإمام سحنون وغيره. ثم مال بكليته إلى العلوم الفلسفية. وأتقن فنَّ الكلام والجدل إتقاناً كاملاً حتى أصبح لا ينازعه فيه منازع. وتتلمذ له جماعة كبيرة من صغار معاصريه، واقتدوا بسلوكه وآرائه، فكان هو رأس المدرسة الكلامية بالقيروان، ولم يتقيد مدة حياته بتقليد مذهب من المذاهب.

قال الخشني عند التعريف به:

«كان مذهبه النظر والقياس والاجتهاد، لا يتحلّى بتقليد أحد من العلماء ويقول: إنما أدخل كثيراً من الناس إلى التقليد نقصُ العقول ودنا الهمم[2] وكان يقول: كيف يسع مثلي مِمّن أتاه الله فهماً أن يقلّد أحداً من العلماء بلا حجة ظاهرة».

ثم زاد الخشني فقال: «كان مذهب أبي عثمان المناظرة.وفهم القرآن والمعرفة بمعانيه. وكان نافذاً في النحو، عربيَّ اللّسان، جهير الصوت، وإذا تكلّف الشعر أجاد. وكان يردّ على أهل البدع المخالفين للسنّة، وله في ذلك مقامات مشهورة، وآثار محمودة. قال له يوماً سليمان بن الفراء ـ كبير المعتزلة بالقيروان ـ يا أبا عثمان، أين كان ربّنا إذ لا مكان؟ فأجابه من فوره: السؤال محال، لأن قولك: أين كان؟ يقتضي المكان. وقولك: لا مكان ينفي المكان، فهذا: نعم، لا».

وقد اتفقت كلمة معاصريه في الزمان أنه كان «عابداً ورعاً، ذا صيانة وعفاف»

وعظمت شهرته، وانتشرت في البلاد بعدما ناظر الدعاة من شيعة الفـاطميين في رقـادة عقب استيـلائهم على إفـريقية حتى مثّله أهـلُ السنّة بـالقيروان بـأحمد بن حنبـل أيـام المحنة. وقد دارت بينه وبين الدعاة نحو الأربعين مجلساً حفظ لنا الخشني صـورة أربعة منهـا(*) وقال: «كـانت لأبي عثمان مقـامات كـريمة، ومـواقف شريفـة في الدفـاع عن الإسلام، والذب عن السنّة، ناظر فيها أبا العباس المخطوم ـ أخا أبي عبد الله الشيعي الصنعاني ـ بملء فيه، ومُنّيَ نفسه مناظرةَ القِرن المساوي، بل مناظرة المتعزز المتعالي، لم يتلعثم لجـلالة المقـام، ولا أحجم لهيبة السلطان، ولا خـاف ما خيف عليـه من سطوة الحدثان. ولقد قال لـه ابنه عبـد الله يومـاً: «اتّقِ الله في نفسك، ولا تبـالغ في منـاظرة الرجل. فأجابه: حسبي من له غضبتُ، وعن دينه ذببتُ».

ولـولا خوف الإطـالة لأثبتنـا صورة مجـالس المناظـرات المذكـورة حسبما أوردهـا الإخبـاريون المعـاصرون لـه. لكنا نقتصر هنـا على إيـراد أوّل اجتماع حصـل له مـع عبيد الله المهدي في رقادة.

حكى أبـو بكر بن اللبّـاد صاحب ابن الحـدّاد وتلميـذه قـال: «بينـما سعيـد بن الحـدّاد يومـاً جالسـاً إذ أتاه رسـول من قِبَل أبي جعفـر البغـدادي (حـاجب عبيـد الله المهدي)، فقال له: أحبّ أبو جعفـر أن يراك، قـال: فلبست ثيابي ومضيت إلى رقّـادة حتى أتيت بابه، فإذا برجـل أُجْلِسَ لي ينتظرني، فقـال: ادخل فـدخلت عليه، فقـال لـي (الحاجب): أحب الخليفة أن يجتمع بك، فقلت له: ها أنـا ذا، وجعل معي من يصحبني ومضى وهو أمامي، فمضيت مع الرجـل حتى أَتِيَ بي إلى مكان فـأجلسني فيه، فأنا جـالس حتى أتاني رسـول ثانٍ غـير الذي كنت معـه، فقال: قم يـا شيخ، فقمت فدخلت معه حتى أتيت إلى باب المجلس، فإذا بعبيد الله جالس والبغـدادي واقف على رأسـه، فتكلّمت بما حضر لي من الكـلام، فقـال لي: اجلس. فجلست فـإذا بكتـاب لطيف إلى جانبه على مخدة فرأيته وقد أومـى إلى أبي جعفـر فقال لـه: اعرض الكتـاب على الشيخ، قال: فرمقته ببصري وعـرفت الكتاب، قـال: تصفح، وجعـل يده عـلى بعض الصفحة وأنا أنـظر إلى الإسناد، فقـال لي أبو جعفـر: اقرأ، فقلت لـه: عرفت

(*) طبقات علماء إفريقية للخشني ص 199 وما بعدها.

الحديث، وهو حديث «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» وهـو حديث صحيح قد رويناه، فعطف عليّ عبيد الله وقال لي: فما للناس لا يكونون عبيدَنا؟ فقلت له: أعز الله السيد، لم يَرِدْ ولاية الرقّ، إنما أراد ولاية الدين، فقال لي: هل من شاهد من كتاب الله عزّ وجلّ؟ - فقلت: نعم، قال الله تعالى: ﴿ما كانَ لِبشرٍ أن يُؤتِيَهُ الله الكتّابَ والحكمَ والنبوَّةَ ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلمون الكتابَ وبما كنتم تدرسون، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيّين أرباباً، أيأمُركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ فما لم يجعله الله لنبيّ لم يجعله لغير النبي، وعليّ لم يكن نبيئاً إنما كان وزير النبي ﷺ، فقال لي: انصرف لا ينالك الحر. قال أبو عثمان: فخرجت فصحبني البغدادي وأومى إليّ، فوقفت، فقال لي: اكتم هذا المجلس»(*).

مولده في سنة 219 هـ (834 م) وكانت وفاته بالقيروان في ذي القعدة من سنة 302 هـ (915 م) ودفن بمقبرة باب سِلْم وقبره معروف.

وقد حرصنا على إيراد شهادة معاصريه فيه وأقوالهم في سيرته وأعماله.

وبالجملة فإن سعيد بن الحدّاد كان في وقته رأس «المدرسة الكلامية» في إفريقية التونسية. والآخذون عنه، والمقتدون بمذهبه وآرائه من أبناء البلاد لا يعدُّون كثرة.

مصـــادر:

- طبقات الخشني ص 148 و 198.
- المالكي ورقة 32 (خط).
- معالم الإيمان 2 :202.

لــه(3):

1 ـ **الاستواء** ـ 3 أجزاء(4).

2 ـ **الاستيعاب**(5).

3 ـ **الأمالي**(6).

(*) كتاب رياض النفوس ج 2 ص 32 (خط).

4 ـ **توضيح المشكل في القرآن**[7].
5 ـ **الرد على الشافعي**[8].
6 ـ **العبادة الكبرى والعبادة الصغرى**[9].
7 ـ **عصمة النبيين**[10].
8 ـ **المقالات**[11].

وقد أشار الخشني إلى غزارة تآليف ابن الحدّاد وتنوعها بقوله: «وأبو عثمان غزير التأليف، كثير الوضع[12]، له كتب مؤلفة في فن الكلام والجدل[13] وله كتب في فن الفقه، وله كتب في النظر[14].

سعيد بن الحدّاد
219 هـ/ 834 م ـ 302 هـ/ 915 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

* لم يخصه المؤلف بترجمة في هذا الكتاب فأوردنا ترجمة المؤلف التي خصه بها ضمن أعلام بيت الحكمة الورقات 1 :258 - 263، مع تصرف يسير يراعي أسلوب المؤلف الذي درج عليه في تراجم هذا الكتاب.

كما خصه المؤلف في فهرسي المؤلفين والمصنفات بضبط قائمة مؤلفاته التي أوردناها هنا.

1 ـ في المدارك: والحداد جدّه لأمه.

2 ـ كذا في النص، وطبقات الخشني. وفي المدارك: ودناءة الهمم. وفي الأعلام ووناء الهمم.

3 ـ يعتبر الزبيدي أهم من احتفظ لنا بأسماء مؤلفات ابن الحداد. وقد قال عقب ذكر أسماء أغلب مؤلفاته المذكورة هنا: إلى كتب كثيرة جملتها في الاحتجاج على الملحدين.

4 ـ انفرد المؤلف بتحديد أجزائه. ويعتبر الزبيدي أول من ذكره من مترجميه. وعنه تداوله من جاء بعده.

وقد نشر عبد المجيد بن حمدة في آخر أطروحته «المدارس الكلامية بإفريقية» ص 309 ـ 319 ورقات مبتورة الأول والآخر عنون لها بـ«قطعة من كتاب الاستواء» دون أن يذكر أيّ إيضاح عن الأصل الذي نشرها عنه، ولا محاولةً لتوثيق النص الذي نشره. علماً بأن الورقات المذكورة لا يشتم من محتواها أيّة علاقة بموضوع الاستواء.

5 ـ ذكره المؤلف في فهرسي المصنفات وحدّد موضوعه: العقائد. ويعتبر الزبيدي أول من ذكره.

6 ـ ذكره المؤلف في فهرس المصنّفات وحدّد موضوعه: الفقه. وذكره مترجموه من مؤرخي النّحاة نقلاً عن الزبيدي دون تحديد موضوعه.

7 ـ يسمّيه المؤلف في فهرس المصنفات «إيضاح ـ وتوضيح». وقد ذكره الزبيدي والناقلون عنه باسم «توضيح المشكل في القرآن» وحدّد المؤلف موضوعه: القراءات. ولعله تبع السيوطي؛ ففي البغية «توضيح المشكل في القراءات».

8 ـ ذكره المؤلف في فهرس المصنفات. وأفاد الخشني أنه لم يظهر على أيدي الناس وأراه لم يأخذ نسخته. وكان مقدار تأليفه على الشافعي شقتين كل شقة منهما تسمى ثلث قرطاس فملأها ظهراً وبطناً» ثم نقل الخشني عن أحمد التمار ـ تلميذ ابن الحدّاد ـ نبذة من مقدمته. وانظر الخلاف في قطعة مكتبة القيروان الأثرية هل هي له (المكتبة الأثرية ص 38) أم لتلميذه ابن اللباد؟ تراجع ترجمته في الكتاب.

9 ـ ذكر الزبيدي هذا الكتاب. وعنه مترجموه. ولا نعرف عنه أكثر من ذلك.

10 ـ هكذا سمّاه المؤلف في فهرس المصنفات مثلما ورد في البغية (الترجمة الثانية ص 589) وورد في الإنباه باسم «عصمة الدينيين» وفي الوافي «عصمة الأنبياء» لكن الزبيدي وهو المصدر الأساسي لأغلب مترجميه سمّاه «عصمة المسلمين».

11 ـ أوضح الزبيدي موضوعه بقوله: «رد فيه على أهل المذاهب أجمعين».

12 ـ نسب له المؤلف في فهرس المصنفات كتاب الأفعال وصنّفه في النحو.

13 ـ نسب له الزركلي كتاباً سمّاه معاني الأخبار وذكر أن منه قطعة بالمكتبة الأثرية في القيروان.

14 ـ فات المؤلف الإشارة إلى كتابين من كتب ابن الحدّاد.

9 ـ المجالس.

قال الزبيدي: «وله مع أبي عبد الله وأبي العباس (داعيتي بني عبيد) مسائل برّز فيها وظهرت حجته فيها. ثم أملاها سعيد على أصحابه وسمّاها «المجالس». وكانت مكتبة القيروان تحتفظ بهذه المجالس إلى حد أواسط القرن السابع للهجرة حسب المذكور في سجلّها القديم.

وقد احتفظ لنا الخشني بأربعة مجالس أدمجها المالكي في مجلسين: الأول مع الداعي أبي عبد الله، والثاني مع أخيه أبي العباس.

10 ـ **نقض مسائل المدوّنة.**

نقل عياض عن صاحب «المعرب عن أخبار أهل المغرب «أنّ ابن الحدّاد كان يسمّي «المدونة» «المدوّدة» ونقض بعضها (المدارك 5 :79).

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ رياض النفوس 57 - 115.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ معالم الإيمان 2 :295 - 315.

ج ـ إضافات:

ـ الأعلام 3 :100.

ـ أعلام الفكر الإسلامي ص 37 - 43.

ـ إنباه الرواة 2 :53 - 54.

ـ البلغة ص 87 - 88.

ـ بغية الوعاة 1 :579 (باسم سعد)، 589 (باسم سعيد).

ـ البيان المغرب 1 :172 (وفيات 302 هـ).

ـ تراجم المؤلفين 2 :105 - 108.

ـ ترتيب المدارك 5 :78 - 90.

ـ روضات الجنات ص 314.

ـ سجل قديم لمكتبة جامع القيروان ص 26.

ـ الصراع المذهبي بإفريقية ص 43 - 44.

ـ طبقات الخشني ص 148 - 151، 198 - 212.

ـ طبقات النّحويين واللّغويين ص 261 - 262.

ـ عبر الذهبي 2 :122.

ـ مرآة الجنان 2 :240.

ـ المدارس الكلامية بإفريقية ص 43 - 44.

ـ المكتبة الأثرية بالقيروان ص 38.

ـ الوافي بالوفيات 15 :179 - 180 (باسم سعد)، 256 (باسم سعيد).

— 83 —
ابـن شفّـون

محمد بن فتح بن شفّون الرقّادي، نسبة إلى رقّـادة. واشتهر بـابن شفّون[1] لجرح كان في شفتي جدّه، وقد سمّاه ابن فرحون في الديباج أحمد بدل محمد وهو غلط.

نشأ بالقيروان واقتفى أثر سعيد بن الحدّاد في الكلام والمناظرة والذبّ عن مذهب السنّة حين أظهر بنو عبيد الفاطميون التشيّع في إفريقية وحملوا الناس على القول به، وله مع القوم مواقف دافع فيها عن آراء جمهور الإفريقيين.

وكان ابن شفّون ذكيًّا حاذقاً، بصيراً بحدود المناظرة، حاضر الجواب، مليح المجادلة، يذهب في المسائل مذهب الجدل والنظر ولا يرى التقليد..

ركب البحر إلى مصر بقصد التجارة فمات غريقاً سنة 310 هـ وقيل 316 هـ[2].

لـه:

1 ـ **تأليف في الكلام والجدل**[3].

قال عياض «وألف كتباً كثيرة في ذلك»[4] ولم يذكر أسماءها.

مصـادر:

ـ الخشني 217.
ـ المدارك 90/2.
ـ الديباج 37.

ابن شفّون الرقّادي
316 هـ/ 928 م
استدراكات واضافات

I ـ التعاليق :

1 ـ اسمه في المدارك: محمد بن فتح الرقّادي المعروف بـ «شفّون» لجرح أثر في شفتيه. واعتمد المؤلف ما جاء في الديباج. وفي كلّ من المدارك والديباج أنه سمّي بذلك لجرح في شفتيه. ولم تذكر المصادر أن الجرح كان في شفتي جدّه.

2 ـ الصواب الثاني وهو قول الخشني في الطبقات. ولعلّ الرقم «ستة» سقط من المدارك. وهو ينقل عن الخشني كما يلاحظ من عباراته.

3 ـ نسب له المؤلف في فهرس المصنفات «كتاب في الجدل».

4 ـ الأصل في هذا عبارة الخشني. ولفظها: «وكان مليح المناظرة وألّف كتباً كثيرة في ذلك».

II ـ مصـادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 5: 126.

ب ـ طبعات جديدة:

الديباج المذهب 1: 170.

ج ـ إضافات:

ـ تراجم المؤلفين 2: 370.

— 84 —

ابـن الكـلاعـي(*)

أوائل ق 4 هـ/ 10 م

محمد بن الكلاعي من أهل القيروان، من علماء الحنفية بها. انتحل القول بخلق القرآن، وكان داعية إليه، يناظر ويجادل من يخالفه من أهل السنّة والجماعة. يستروح من ثنايـا ترجمتـه أنه تشيّـع لما استـولى الشيعة على القيـروان وصار من المقربين إليهم واستغلّ مكـانته تلك لـلإيقاع بمنـافسيه من علمـاء السنّة وخـاصة خصمه وقرنه إبراهيم بن محمد الضبّي.

وكانت وفاته في أوائل القرن الرّابع الهجري.

لــه:

1 ـ **تأليف ناقض فيه كتاب سعيد بن الحدّاد** الذي ألفه في الرد على من يقول بخلق القرآن. انفرد الخشني بذكره.

مصــادر:

ـ طبقات الخشني ص 215 (في ترجمة ابن البرذون)، 221 - 222.

(*) اكتفى المؤلف بذكره وذكر تأليفه في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

— 85 —

الممسِــي

العبّاس بن عيسى بن محمد بن عيسى بن العبّاس أبو الفضل الممسي. نسبةً إلى قرية ممس(*).

نشأ في القيروان ودرس بهـا وقيل: إنـه حفظ القرآن وهـو ابن ثماني سنين وحفظ الموطّأ وهو ابن خمس عشرة سنة، وسمع من موسى القطّان وجبلة بن حمّود وغيرهما، وأخذ عنه جماعة منهم عبد الله بن أبي زيد.

عرف به معاصره ابن حارث الخشني، وقد ذكره في جملة من انتحل النظر وتحلّى بالجدل من أهل السنّة، قال: «يتكلّم في المسائل كلاماً حسناً ويفهم علم الوثائق فهماً جيّداً ويناظر مناظرة لا بأس بها في الجدل وفي مذاهب أهل النظر. . وهو في المناظرة في الفقه أبزل منه في الجدل على مذهب المتكلّمين».

وخرج إلى الحج سنة 318 هـ والتقى بعلماء وصلحاء. ولما عاد إلى القيروان أظهر الانقباض ومال إلى الزهـد والنسك والتقشف. وكـان شديـد الورع ذا سمت حسن، ومجلس رهيب.

حدث عبد الوهاب بن معتِّب قال: «كنت بسوسـة في رمضان، وكـان معي

(*) ممس ـ وسّماها ياقوت ـ ممسي (معجم البلدان 158/8) وعرفها ابن العذاري بساقيـة ممس وهي Memsa عند الرّوم البيزنطيين، قرية كبيرة كانت واقعة على وادي الحطب بالقرب من دشرة حاجب العيون الآن ما بين سبيطلة والقيروان. ولها ذكر في تاريخ فتح إفريقية حيث التقى القائد زهير بن قيس البلوي بجيش كسيلة البربري وقتله في سنة 69 من الهجرة. راجع ابن الأثير (الكامل 55/4)[1] وورد اسمها هناك ممش وهو تحريف واضح من الناسخ.

رجل أندلسي فأرسل إليّ كعكاً معجوناً بالسكر، وكان أبو الفضل بسوسة نازلاً في غير الحيّ الذي نحن فيه، فبعثت إليه من ذلك الكعك مع الأندلسي فردّه على الأندلسي وقال: يعز عليَّ، لست آكل سكّر صقلية، فقال له الأندلسي: ولماذا أصلحك الله؟ قال: إني أُخْبِرت أن السكّر يتأخذ من ضياع اقتطعها السلطان، تورعاً منه عن الشبهات.

ومن شعر تلميذه أبي عبد الله محمد بن الحسن الداروني اللّغوي يذكر مجلس أبي الفضل:

أبو الفضل كهفٌ للعلوم بِأسْرِها ... ومعدنُها عند احتفال المحافِلِ
وقرّة عينِ الطالبين إذا غدوا ... إليه ليعروا من ثياب المجاهِلِ
لقد نال في الدّنيا ثوابَ إمامة ... مواهب حلم جاوزت كلّ نائِلِ
وإني، وإن أطنبتُ فيك، مقصّرٌ ... وما أنا وحدي، بل كذا كل قائِلِ

واشتهر أبو الفضل من بين العلماء القائلين بتكفير بني عبيد الشيعة، وخرج مع أبي يزيد مَخلد بن كيداد الخارجي لقتال بني عبيد في جماعة من جلّة فقهاء القيروان، فكانت الدائرة عليهم. ومات أبو الفضل مع خمسة وثمانين من أصحابه في وقعة وادي المالح حذو المهدية وذلك يوم الاثنين 22 رجب من سنة 333 هـ.

ورثاه جماعة من الشعراء منهم تلميذه ابنُ أبي زيد بقصيدة منها:

يا ناصراً للدّين قمتَ مُسارِعاً ... وبذلت نفسك مخلصاً ومريدَا
وذببتَ عن دين الإلهِ مجاهداً ... وابْتَعْتَ بيعاً رابحاً محمودَا
يالوعةً طرقت فؤادي إذ أتى ... ناع بفقدك، قد فقدت شهيدَا
كانت حياتك طاعةً وعبادةً ... فسعدت في المحيا ومت سعيدَا

وهي طويلة نفيسة.

وقال الشاعر الكبير أبو القاسم الفزاري:

عليك أبا الفضل استباقُ دموعِي ... وشغلي بأنواع الأسى وولوعِي
بنفسي صريعٌ حالت الخيل دونه ... بمعترك الأبطال أي صريعِ

قضى نحبَهُ بين الأسِنّة والضّبَى شهيدا مع العبَّاد غير جزوعِ
وضُمِّخ في مثل الخَلُوقِ بطعنةٍ كست صدرَه المحمودَ ثوبَ نجيعِ

ومنها:

ولستُ له أبكي، ولكن لمعشرٍ أصيبوا به من مفرد وجميعِ
وللعلمِ والإسلامِ والدّينِ والتّقى وطول احتمالِ واصطناعِ صنيعِ
مضى عالم العِلْمِ الرّفيعِ، وطالما أصابت سهامُ الموت كلَّ رفيعِ
سأبكيك حتى يقرح الدمع مقلتي ونار من الأشجان بين ظلوعِي
وأخلد ذِكْراً منك في كلِّ بلدة بشعر عجيب للرواة بديعِ

وقد ألّف تلميذه الأجدابي كتاباً في مناقبه وفضائله حسبما يأتي بعد.

له:

1 ـ **تحريم المسكر** ناقَضَ به كتاب الطحاوي[2].
2 ـ **قبول الأعمال**[3].
3 ـ **اختصار الموّازية** في الفقه من تأليف محمد بن المواز.

مصادر:

ـ الخشني 179 و218.
ـ المالكي: 85.
ـ المدارك 151/2 قفا.
ـ الديباج 217.
ـ المعالم 31/3.

الممسي
000 - 333 هـ/ 945 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ الكامل 4 :109 (ط. بيروت).
2 ـ ورد ذكر هذا الكتاب في المدارك والديباج.

3 ـ في الديباج: أصول الأعمال وهو تحريف.

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ترتيب المدارك 5 :297 - 310.

ـ رياض النفوس 2 :292 - 305.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ الديباج المذهب 2 :129 - 131.

ـ معالم الإيمان 3 :31 - 35.

ج ـ إضافات:

ـ الأعلام 3 :263 - 264.

ـ تراجم المؤلفين 4 :381 - 383.

ـ شجرة النور الزكية 1 :83.

ـ طبقات الفقهاء ص 160.

ـ اللباب 3 :257.

— 86 —

القـلانسـي

إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بـ (القلانسي)، أبو إسحاق. أخذ عن فرات وحِمَاس والمغامي. وكان صالحاً فاضلاً، عالماً بالكلام والرّدّ على المخالفين للسُنَّةِ.

صنّف كتاباً في الردّ على الشيعة، فامتُحِن على يد أبي القاسم الملقَّب بـ (القائم)، ثاني الأمراء الفاطميين. ضربه أربعمائة[1] سوط، وحبَسه أربعة أشهر في دار البحر (سجن كان بالمهدية).

وتوفّي سنة 359 هـ وقيل 361 هـ[2].

لـه:

1 ـ كتاب **الإمامة والرد على الرافضة**[3]. والمقصود بالرافضة هنا غُلاة الشيعة.

مصـادر:

ـ المدارك 2: 243.

ـ الديباج 88.

ـ الوافي بالوفيات جزء خامس (خط).

القلانسي
000 - 359 هـ/ 69 - 970 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ كذا في مطبوعة الوافي. وفي المدارك والديباج: سبعمائة.

2 ـ في الوافي توفّي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، ولم يذكر الصفدي غيره وما اعتمده المؤلف هو رواية المدارك والديباج.

3 ـ قال عياض ومن تابعه: كان رجلاً . . . عالماً بالكلام والردّ على المخالفين. وله في ذلك تواليف حسنة. وله كتاب في الإمامة.

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ ترتيب المدارك 6 :257 - 258.

ـ الوافي بالوفيات 6 :29.

ب ـ طبعات جديدة:

ـ الديباج المذهب 1 :268.

ج ـ إضافات:

ـ تراجم المؤلفين 2 :411 - 412.

ـ شجرة النّور الزكية 1 :94.

ـ معجم المؤلفين 1 :54.

— 87 —
أبـو بكـر المـرادي

محمد بن الحسن الحضرمي، ويعرف بالمرادي القيرواني، أبـو بكر، قـرأ على ابِن أبي زيد[1] وبرع في علم الكلام والأصول. ثم تحول عند الزحفة الهلالية إلى بلاد الأندلس وطاف مدنها. وعنه أخذ كثير من أهلها. واستقرّ مدة بقرطبة سنة 487 هـ. ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، وتولّى القضاء بمدينة أزكي[2] بصحـراء المغرب. وبها كانت وفاته سنة 489 هـ[3].

قال ابن بشكوال: كان رجلاً نبيهاً عالماً بالفقه إماماً في أصول الدين، وله في ذلك تآليف حسـان مفيدة، وكـان مع ذلـك ذا حظ وافر من البـلاغة والفصـاحة، ومشاركة قوية في الأدب وقرض الشعر[4].

من التـآليف التي ذكرهـا ابن بشكـوال لـم نقف إلّا على اسم رسـالـة أسماها[4].

لـه:

1 ـ **الإيماء إلى مسألة الاستواء**[6] بحث فيها عن قول الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وأورد ما قيل فيها من الآراء بنقد وتدقيق.

مصـادر:

ـ الصلة لابن بشكوال 547/2 ـ وكتاب (العلوُّ للعليِّ الغفّار) للحافظ الـذهبي، ط. مصر 1332 ص 334.

المـرادي أبـو بكـر
489 هـ/ 1096 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ اعتبار ابن أبي زيد في شيوخه بعيد. ويتنافى مع الأحداث التاريخية لأن ابن أبي زيد توفي سنة 386 هـ. وتوفي المرادي سنة 489 هـ. فضلاً على أن مترجميه لم يذكروه في شيوخه.

ولا نعرف من شيوخه في مجال الأصول والعقائد والفقه أحداً، وغاية ما نعرف عنه أنه أخذ علوم اللغة بالقيروان عن عبد الرحمن بن محمد القصديري أو القزديري - منتصف القرن الخامس ـ وروى علوم القراءات عن ابن السرّاج القرطبي لما دخل الأندلس سنة 487 هـ.

2 ـ في الأصل «أركو» واختلفت نسخ الصلة في رسمها: أركى، أزكد كما اختلف رسمها في أزهار الرياض: أركر، أزكي. وهذا الرسم الأخير هو الصحيح كما هو مثبت في نزهة المشتاق (ط. دوزي) ص 59 - 60. والروض المعطار، ص 28. وهذا المصدر الأخير يعتبر فيه ضبط لأنه ألفبائي.

3 ـ الأقرب إلى المسار التاريخي والأوفق مع المصادر أنه ورد المغرب الأقصى وأقام فيه. ثم عبر إلى الأندلس. ثم عاد إلى أقصى المغرب حيث توفي.

4 ـ إحتفظ لنا إبن بسام في الذخيرة بقطع من شعره ونثره.

5 ـ من أشهر تآليفه:

2 ـ **الإشارة إلى أدب الإمارة**. ويعرف بكتاب السياسة. نقل عنه جماعة ممّن ألفوا في سياسة الملوك كابن الأزرق في بدائع السلك وإبن رضوان في الشهب اللامعة (تراجع مقدمة سامي النشار لتحقيق كتاب الإشارة) ومن الكتاب مخطوطات كثيرة في المكتبات العامة والخاصة منها:

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 1921/2، 277 .14 (5583 أحمدية 21224/2.

ـ تونس: مكتبة المرحوم محمد التركي الخاصة.

ـ فاس: خزانة القرويين رقم 627/1.

ـ الرباط: الخزانة العامة نسخة إعتمدها المرحوم سامي النشار دون ذكر رقمها.

ـ الرباط: الخزانة الحسنية رقم 261/1، 2624، 5708.

ـ ليدن رقم 655. إعتمدها رضوان السيّد. ولم يشر إلى المكتبة الموجودة بها.

ـ بنغازي: مكتبة الجامعة الليبية (مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة 20 :185)

ـ برلين، مكتبة الدولة رقم 5583.

طبع كتاب الإشارة مرتين:

ـ بتحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء المغرب 1981/1401.

ـ بتحقيق رضوان السيّد، بيروت، دار الطليعة 1981.

3 ـ **التجريد لمعاني التمهيد والحجة لأهل السنّة والتوحيد**. نقل عنه محمد بن إبراهيم السوسي في رسالة «طاعة الإمام وما يوجب خلعه» فهرس الخزانة العامة بالرباط قسم 3 ج 1 :226.

وكتاب «التجريد» من مرويات القاضي عياض عن أشهر تلاميذ المرادي أبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير المتوفّى سنة 520 هـ. (الغنية ص 220 - 227). وتصحف اِسم الكتاب في أزهار الرياض (3 :161) إلى «التحرير».

4 ـ **البيان عن أصول الإيمان**.

نقل عنه أحد المتملكين لكتاب النكاح الأول من المدونة بهامش مخطوطة خزانة القرويين بفاس رقم 798 (فهرس خزانة القرويين 2 :471).

5 ـ **رسالة في الرد على القائلين بقدم الحروف**.

ذكرها ابن بسام في الذخيرة 4 :366.

6 ـ **نظم في الحجة على إثبات القدر**:

الغنية (ص 226 - 227) أزهار الرياض (3 :161).

6 ـ نسبها له الذهبي في كتاب «**العلو للعلّي الغفّار**».

II ـ مصـــادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ الصلة لابن بشكوال ص 572 رقم 1326 (ط. العطار).

ب ـ إضافات :

ـ أزهار الرياض 3 :161 .

ـ بروكلمان (ملحق) 2 :1033 .

ـ تراجم المؤلفين 4 :298 .

ـ التشوف إلى رجال التصوف ص 83 -84 .

ـ الذخيرة لابن بسام 4 :304 - 307 .

ـ الغنية : شيوخ القاضي عياض ص 226 - 227 (ترجمة أبي الحجاج الضرير) .

ـ فهرس الخزانة الحسنية بالرباط 4 :76 .

ـ فهرس مخطوطات خزانة القرويين بفاس 2 :194 - 195 .

ـ فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس ص 18 .

ـ فهرس مخطوطات مكتبة الدولة ببرلين 5 :97 .

ـ معجم المؤلفين 9 :188 .

ـ Bulletin de corres pondance Africaine 1884, 39 .

— 88 —

الديبـاجـي

عبد الجليل بن أبي بكر الربعي. ويعرف بالديباجي وبـابن الصابـوني، أبو القاسم. ولد بالقيروان وقرأ بها على علمـائها مثـل أبي عمران الفـاسي وأصحاب القاضي أبي بكر بن الطيب[1]. وأقرأ الناسَ بجامـع عقبة فـأخذ عنـه كثيرون علم أصول الفقه. وحدّث بكتاب «التلخيص» لأبي المعالي الجويني عن مؤلفه[2]. ثم رحل إلى قلعة بني حمّاد فأقرأ بها الأصـول وتحول إلى المغـرب الأقصى واستقر بفاس فروى عنه جماعة من أبنائها منهم محمد بن شبرين ومحمد بن الخير[3] وأبو الحجاج يوسف بن الملجوم قاضي يوسف بن تاشفين.

قال ابن الأبّار عند التعريف به: «كان عالماً بالأصول، مدرّساً لها»[4] ولم نقف على تاريخ وفاته. والظاهر أنه مات بالأندلس في منتصف القرن الخامس[5].

لـه[6]:

1 ـ **المستوعب**: في أصول الفقه، رواه عنه تلاميذه.

2 ـ **نكت الانتصار** ولا ندري في أي موضوع هو[7].

3 ـ **العقائد** رسالة[8].

مصـــادر:

ـ التكملة 2 :653.

ـ الصلة: 547.

ـ فهرس ابن خير: 441.

الديبـاجـي
ـ ق 5 هـ/ 11 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ النقل عن ابن الأبّار ولفظهُ: «روى عن أبي عمران الفاسي وأبي عبد الله الآذري (في

الأصل الأزدي) صاحب القاضي أبي بكر بن الطيب».

أما الآذري فهو أبو عبد الله الحسين بن أبي حاتم الآذري، أديب، ولغوي، ومتكلّم. وفد على القيروان وأقام بها. وهو ممن فات المؤلف التعريف به. وسوف نترجم له في الملاحق بحول الله.

2 ـ مما وقفنا عليه من أسماء شيوخه: إبراهيم بن حسن التونسي، أبو إسحاق المتوفى سنة 443 هـ. وعبد الله بن عباس الأنصاري المعروف بالخوّاص توفّي سنة 428 هـ. ينظر المدارك 7 :260، 8 :59.

3 ـ كذا في التكملة. وهو محمد بن أبي الخير الأنصاري المتوفّى سنة 518 هـ الغنية ص 89.

4 ـ جاء ذكره في بعض النصوص والفتاوى المنقولة في صلة السمط: «أبو القاسم عبد الجليل الربعي الذي له شهرة بنظره في علم أصول الدين وفي علوم المتكلّمين».

5 ـ مما يقرب هذا الاحتمال أن تلامذته تتراوح وفياتهم بين سنوات 503 - 525 هـ.

6 ـ هذه المصنّفات انفرد بذكرها صاحب تكملة الصلة. واكتفى ابن خير بالإشارة إلى جملة تآليفه وكذلك صاحب الغنية والصلة.

7 ـ هو نكت «الانتصار لنقل القرآن» رتب فيه اختصار محمد بن عبد الله الصيرفي لكتاب «الانتصار..» لأبي بكر الباقلاني.

ـ مكتبة بلدية الإسكندرية رقم 828 ب.

8 ـ من مؤلفاته أيضاً:

4 ـ التسديد في شرح «التمهيد لأبي بكر الباقلاني».

ـ استانبول: طرخان والدة السلطان رقم 20/1.

II ـ مصــادر:

أ ـ طبعات جديدة:

ـ الصلة ص 573 (بالهامش).

ب ـ إضافات:

ـ ترتيب المدارك 7 :260، 8 :59.

ـ صلة السمط لابن الشباط 1 :3 و ـ 3 ظ.

ـ سزكين: تاريخ التراث العربي ج 1 ق 4 :50.

ـ الغنية في شيوخ القاضي عياض ص 64، 75 - 76، 89.

— 89 —

ابن عبد الحق

عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق الأنصاري، من ذرية الإمام المازري[1] مهدوي المولد والنشأة. أخذ عن مشيخة بلده. ثم دخل الأندلس[*] فتولّى قضاء غرناطة مدة استيلاء الموحدين على الأندلس. ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى ونزل مراكش فولي قضاء مراكش سنة 619 هـ. وامتحن فيها بالفتنة المتفاقمة.

قال ابن الأبّار: «كان من العلماء المتفننين، فقيهاً مالكياً، حافظاً نظّاراً، بصيراً بالأحكام، صُلْباً في الحق، مهيباً معظّماً».

توفّي بمراكش في شوال 631 هـ.

لــه:

1 ـ **في الرد على أبي محمد بن حزم الظاهري**. قال ابن الأبّار: «إن هذا الكتاب دلّ على فضله وعلمه وأفاد بوضعه»[2].

مصــادر:

ـ التكملة 2 :651.

ـ الوافي 16 (خط).

ـ أحمد بابا 184.

(*) وكان أبوه عبد الله من قبله دخل الأندلس وتولّى قضاء الجماعة بإشبيلية وكان له آثار محمودة في أحكامه. وتوفي بقصر عبد الكريم بالمغرب سنة 589 هـ (راجع التكملة 2 :529).

ابـن عـبد الحـق
631 هـ/ 1234 م

I ـ التعاليـق :

1 ـ تابع المؤلف صاحب نيل الابتهاج في قراءة وفهم عبارة لابن الأبّار وردت في ترجمة أبيه (عبد الله بن عبـد الحق) ولفظهـا : «وقد بلغني أن لأبي عبـد الله المازري عليـه ولادة» ط. مجريط. وقد قرأها ناشر الطبعة المصرية «ولاية».

2 ـ التكملة ص 919 - 920 ط. مصر.

II ـ مصــادر :

أ ـ إضافات :

ـ الوافي بالوفيات : مجلد 18 (مخطوطة أحمد الثالث اسطنبول).

— 90 —

ابـن بـزيـزة

عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد بن محمد عرف بابن بزيزة التيمي القرشي أبو فارس ـ وقيل أبو محمد.

مولده بمدينة تـونس يوم الاثنين 14 المحـرم عام 606 هـ. وأخـذ على أبي محمد البرجيني تلميذ الإمام المازري. وبذلك يتّصل سند فقهاء مدينة تـونس في الفروع المالكية بمشيخة القيروان من لَدُنِ سحنون بن سعيد اتصـالاً مستمرًّا كمـا سبقت الإشارة إليه، وبرز صاحب الترجمة في علوم العربية والفقه والأدب. وفاق أقرانه وتميّز من بينهم بالتضلّع والعلم الواسع حتى عُدَّ من أئمة المذهب المالكي المعتمَد عليهم، وقد وصفه بعضهم ببلوغ درجة الاجتهاد. وقرأ بالزيتونة وتخـرّج عليه جماعة من كبار العلماء درسوا بين يديه، ونالوا المناصبَ العالية.

وتوفّي يوم 4 ربيع الأول سنة 674[1] ـ وقـال مقديش: 659 وقـال بروكلمـان 664. وكلاهما وَهْمٌ، ودفن في مقبرة المربّي محرز بن خلف داخل باب السويقة.

لــه:

1 ـ **البيان والتحصيل، المطلع على علوم التنزيل** وهو تفسيـر متسع للقـرآن جمع فيه المشكلات بين تفسيري الزمخشري وابن عطية منه نسخة بالقرويين[2].

2 ـ **منهاج المعارف إلى روح العوارف**[3] بيّن فيه تأويل أكثر المشكلات.

3 ـ **إيضاح السبيل إلى منهاج التأويل**[4] وهو مختصر الكتاب المتقدم.

4 ـ **شرح أسماء الله الحسنى**[5]. ولم نقف على تسميته.

5 ـ **الإسعاد في شرح الإرشاد**[6] لأبي المعالي الجويني إمام الحرمين المتوفّى سنة 478 هـ. منه نسخة بالقرويين أيضاً.

6 ـ **شرح التلقين** لعبد الوهاب بن نصر، القاضي.

7 ـ **شرح الأحكام الصغرى**[7] لعبد الحق الإشبيلي.

8 ـ **شرح العقيدة البرهانية**[8].

وله غير ذلك مما لم نقف على تسميته[9].

مصـــادر:

ـ الزركشي 29.
ـ أحمد بابا 178.
ـ مقديش 1 :218.
ـ الحلل السندسية آخر الجزء الأول ـ خط.
ـ ابن أبي الضياف ج 1.
ـ بروكلمان ملحق 1 :736.

ابـن بـزيـزة
606 هـ/ 1209 م ـ 674 هـ/ 1275 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ المعتمد في تاريخ وفاته ما ذكره معاصره أحمد بن محمد المعروف بالشريف الغرناطي (ت 696 هـ) في كتابه «المشرق في تحلية علماء المغرب والمشرق» حسب رواية «نيل الابتهاج» نقلاً عن تقييد البسيلي. وهذا النص نفسه نقله محمد محفوظ من ظهر نسخة من شرح الإرشاد، والزركشي في تاريخ الدولتين: «أنه توفي في الرابع لربيع الأول من السنة المذكورة (أي 662) وزاد الأول بتحديد سنّه وهو ابن سبع وأربعين سنة.

أما ما جاء في بعض المصادر التونسية من اختلاف في تاريخ وفاته: مقديش 659،

ابن أبي الضياف 660 فلا ندري مستندَهم في ذلك، وموجبَ اختلافهم.

وأما ما أخذ به المؤلف ـ وهي العبارة التي ختم بها أحمد بابا من أنه توفّي سنة 673 فتحققه ـ فإنه غير مدعوم بسندٍ ويخالف ما أثبته الغرناطي والزركشي.

2 ـ فاس، خزانة جامع القرويين رقم 28.

3 ـ نسبه له صاحب نيل الابتهاج، كما ذكره صاحب الترجمة في شرحه «**الإسعاد بمقاصد الإرشاد**» (تراجم المؤلفين 1 :128 رقم 3) واسمه فيه حسب رواية **محمد محفوظ** «**منهاج العوارف إلى روح المعارف**».

4 ـ نسب له في نيل الابتهاج كما ذكره صاحب الترجمة في كتابه «**الإسعاد**» ينظر هامشنا رقم (3).

5 ـ نُسِبَ له في نيل الابتهاج مثلما ذكر في الهامش رقم (3).

6 ـ ويسمّى «الإسعاد في تحرير مقاصد الإرشاد» أتمه سنة 644 هـ منه النسخ التالية:

ـ فاس: خزانة جامع القرويين رقم 1273.

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 604، ومنه نسخة أخرى أصلها من المكتبة النورية الملحقة بدار الكتب الوطنية تحت عدد 21615.

7 ـ كذا نسب له في نيل الابتهاج. وفي ترجمته المنقولة على ظهر النسخة النورية من شرح الإرشاد: شرح الأحكام الكبرى.

8 ـ تأليف أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى القيسي المعروف بالسلالجي في العقائد والسلوك، توفّي سنة 574 هـ. وتسمّى «قوة الإرشاد» ينظر عنه دراسة **عبد الله كنون** «**عثمان السلالجي**» ضمن سلسلة (**تراجم مشاهير المغرب**). ومن شرح ابن بزيزة نسخة بدار الكتب المصرية رقم 18 تصوف.

9 ـ فات المؤلف الإشارة إلى المصنفات التالية:

9 ـ **شرح المفصل في النحو للزمخشري.**

10 ـ **غاية الأمل في شرح الجمل للزجاجي.**

ـ استنابول: مكتبة كوبرلي رقم 1 :1484، وهي نسخة بخط المؤلف.

11 ـ **الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار.** رسالة صغيرة في 28 ورقة من مخطوطات المكتبة النورية الملحقة بدار الكتب الوطنية رقم 19160.

II ـ مصادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ إتحاف أهل الزمان 1 :162 - 163.

ـ الحلل السندسية 1 : 645 .

ب ـ طبعات جديدة :

ـ تاريخ الدولتين ص 38 .

ج ـ إضافات :

ـ تراجم المؤلفين 1 :127 - 129 .

ـ تبصير المنتبه 1 :79 .

ـ شجرة النور الزكية 1 :190 .

ـ **فهرس الكتبخانة الخديوية 30:2.**

ـ **فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 189:1.**

ـ فهرس مخطوطات خزانة القرويين 1 :72 - 73، 3 :332 - 333 .

ـ فهرس مكتبة كوبرلي 2 :161 .

ـ محمد محفوظ (مجلة الفكر م 13 ع 3 :266 - 268) .

ـ المشتبه للذهبي 1 :70 .

ـ معجم المؤلفين 5 :239 .

ـ نفائس المخطوطات بدار الكتب التونسية (م . م . م . ع 18 :26) .

ـ هدية العارفين 1 :581 .

— 91 —

ابـن الطيـر(*)
حيّ خلال النصف الأول ق 7 هـ/ 13 م

عبد الله بن أحمد بن عبد السلام، عـرف بابن الـطير[1]، أبـو محمد. ولـد بحاضرة تونس. وقرأ بها. وارتحل إلى المشـرق بقصد الحـج، ولقي في طريقـه جماعة من العلماء. ثمّ عاد إلى تونس، وانتصب للعدالة.

وكان له باع في الفقه وأصوله، وله نزاهة ورئاسة وعلو همّة. ولي قضاء بجاية مكرهاً. وكان يدرّس مدة إقامته بها الفقهَ وأصولَ الفقه على طريقة الأقدمين. ولم تطل مدته في القضاء إذ عزل عنه فسجد شكراً لله.

كان حيّاً خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري.

لـــه:

1 ـ **اختصار المستصفى للغزالي في أصول الفقه.**

وصفه أبو محمد بن عبادة، شيخ الغبريني، بأنه اختصار حسن.

مصـــادر:

ـ تراجم المؤلفين 3 :289 - 290.

ـ توشيح الديباج ص 143 - 144، 239.

ـ عنوان الدراية ص 194 - 195.

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة، وله جذاذة نقل فيها بعض خبره من نيل الابتهاج، كما نص عليه وعلى كتابه في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

(1) ترجم له أحمد بابا ـ نقلاً عن عنوان الدراية ـ وسمّاه: محمد بن أحمد بن عيسى عرف بابن الطير. وترجم له القرافي في التوشيح ترجمتين الأولى باسم «عبد الله بن أحمد بن عبد السلام» والثانية باسم «محمد بن أحمد بن عيسى».

— 92 —
السكـونـي

عمر بن محمد بن أحمد بن الخليل[1] السكوني، أبو علي والسكون بطن من كندة باليمن.

كان جدّه أبو بكر أحمد بن خليل[2] أحد العلماء الأجـلّاء وشيخ المتكلمين بالأندلس في وقته. ووفد مع جماعة إشبيلية على مدينة تونس في دولة المستنصر الأول أواسط القرن السابع. وهو الذي تصدّى لشيخ الصوفية عبد الحق بن سبعين المرسي لما قدم من الأندلس وأراد أن يظهر مذهبه الصوفي بإفريقية فتعرض له أبو بكر السكوني وقاومه بأقوال ظاهر السنّة، فاضطر ابن سبعين إلى مفارقة تونس والالتحاق بالمشرق واستقر بمكة(*).

ونبغ أبناء أبي بكر في حاضرة تونس منهم محمد وقد اشتهر كأبيه بالعلم[3] والذبّ عن السنّة. وتعرّض إلى تآليف محمود الزمخشري وعارض ما بها من الاعتزال.

ثم ظهر ابنه أبو علي هذا، ومولده بالحاضرة التونسية[4] وبها نشأته وتعليمه[5] واقتفى أثر أبيه وجدّه في الاشتغال بالعلوم الدينية والدفاع عن مذهب السنّة من شبهات الاعتزال وكذلك من غوائل التصوف لا سيما في عصر كثر فيه المتصوفون وأظهروا آراءهم في كلّ صقع من الممالك الإسلامية، وقد مال إلى نحلتهم رجال الدولة وانتشرت دعوتهم في طبقة الخاصة وصار التمسك بالآراء الصوفية ميزة للمتنورين والأدباء.

(*) راجع تاريخ ابن خلدون ط. الجزائر 416/1.

ومن دواعي الأسف أن لم نعثر على تفصيل حياة هذا المتكلّم وأعماله ووسائل مقاومته لأهل التصوف. وغاية ما نعلمه أنه توفي بتونس سنة 716 هـ وقال الحاجي خليفة 717 ويظهر أن الأول أصح.

لـــه:

1 ـ **التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز** تداول على تصنيفه الوالد والولد، قال أبو علي في مقدمته: «قد كان ابتدأه والدي ـ رحمه الله ـ ثم منّ الله سبحانه بتكميله على يدي». وهو يخرج في سفرين ـ منه نسخة بالمكتبة العاشورية بتونس ـ وبالقرويين بفاس[6].

2 ـ **المقتضب من كتاب التمييز**[7] وهو مختصر للكتاب المتقدم، منه نسختان بمكتبة الأسكوريال.

3 ـ **المنهج المشرق في الاعتراض على كثير من أهل المنطق**[8].

4 ـ **لحن العوام المطلق الممنوع مما يتعلق بعلم الكلام والمنطق**[9] وهو جزء لطيف في البدع، منه نسخة بالعبدلية ضمن مجموع رقم 2229 وبمكتبة برلين.

وربما كان له غير ذلك من التصانيف مما لم نقف على تسميته[10].

مصـــادر:

ـ أحمد بابا 195.

ـ كشف الظنون 331/1 و 315/2 و 557/2.

ـ وبروكلمان 250/2.

السكوني
717 هـ/ 7، 1318 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ إن آخر ما انتهى إليه البحث التاريخي في ما يتعلق بسلسلة نسب السكوني هو أنه:
عمر بن أبي الحسين محمد بن أبي الخطاب محمد بن أبي بكر أحمد بن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن خلف بن محمد بن عبد الله السكوني. تنظر شجرة نسبه في مقدمة عيون المناظرات.

2 ـ حسب سلسلة نسبه المتقدمة فإن أبا بكر أحمد بن خليل هو جدّ أبي علي السكوني الأعلى. وكانت وفاته سنة 581 هـ أي قبل سقوط إشبيلية بأكثر من نصف قرن. وأن جدّه الأقرب أبا الخطاب محمد ـ حسبما أثبته سعد غراب ـ ليس هو المنتقل إلى إفريقية وأنه مات بالأندلس. وأن المنتقل، من أسرة المترجم، إلى إفريقية هو أبوه أبو الحسين محمد بن أبي الخطاب.

3 ـ أبوه هو أبو الحسين محمد بن أبي الخطاب، كان عالماً مؤلفاً ستفرد له ترجمة ضمن ملحقات هذا الكتاب.

4 ـ يقدر سعد غراب أنه ولد سنة 630 هـ في إشبيلية.

5 ـ وقفنا على اسم أحد شيوخه وهو أحمد بن محمد بن الغمّاز قاضي الجماعة بتونس المتوفى سنة 639 هـ (برنامج الواد ياشي ص 194).

6 ـ فيما يلي ما وقفنا عليه من مخطوطات الكتاب:
- تونس: دار الكتب الوطنية رقم 4939 (154 عبدلية)، 5654 (288 عبدلية).
- تونس: المكتبة العاشورية رقم (88 ق. ح).
- فاس: خزانة جامع القرويين رقم 39، ورقم 921.
- القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 40 تفسير (مجموعة مصطفى فاضل).
- استانبول: خزانة فيض الله أفندي رقم 83.

7 ـ مخطوطاته:

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 7262 (335 عبدلية).

ـ مدريد: مكتبة الأسكوريال رقم 1357، 1547.

ـ استانبول: خزانة فيض الله أفندي رقم 239.

8 ـ ذكره صاحب الترجمة في كتابه «مقتضب التمييز» حسب ما نقل عنه صاحب كشف الظنون. وذكره أيضاً في التمييز كما أكده سعد غراب (مقدمة عيون المناظرات ص 37).

9 ـ نشره عبد القادر زمامة في مجلة معهد المخطوطات العربية 17 [1971]: 235 - 276 اعتماداً على مخطوطتين مغربيتين. ثم نشره سعد غراب نشرة أتقن اعتماداً على مجموعة من المخطوطات (حوليات الجامعة التونسية (1975) وفاتته الإشارة إلى مخطوطة دار الكتب المصرية رقم 2272 تصوف، ومخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس رقم 14461/1 (أحمدية 2127/1).

10 ـ فات المؤلف ذكر الكتب التالية للسكوني:

5 ـ **شرح أرجوزة أبي الحجاج يوسف بن موسى الضرير الفاسي المتوفى سنة 529 هـ** في العقائد:

ـ فاس: خزانة جامع القرويين رقم 728.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 177 مجاميع.

وما جاء في فهرسها (7 :226) من نسبته نظم الأرجوزة إلى يوسف بن عبد الرحيم الأقصري خطأ واضح لعلّ مصدره بعض النساخ وقد تحققنا ذلك بعد اكتشاف مخطوطة فاس.

6 ـ **أربعون مسألة في أصول الدين على مذهب أهل السنّة**.

ـ الرباط: مكتبة الخزانة العامة رقم 2076 د.

7 ـ **عيون المناظرات**.

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 4748، 273، 11 (أحمدية 2117).

ـ تونس: المكتبة العاشورية رقم (ق. ح. 22).

نشر بتونس سنة 1976 بتحقيق سعد غراب (منشورات الجامعة التونسية).

8 ـ **الوسيلة الحسنى بشرح أسماء الله الحسنى**، ذكره سعد غراب في تقديمه لكتاب عيون المناظرات اعتماداً على إشارة المؤلف إليه في كتابه «التمييز» (عيون المناظرات ص 37).

9 ـ **المعتمد في المعتقد**، ذكره في لحن العوام (حوليات الجامعة التونسية 12 [1975]: 203.

10 ـ **اختصار كتاب البرهان للجويني**، ذكره سعد غراب اعتماداً على إشارة المؤلف إليه في كتاب «التمييز» (عيون المناظرات ص 40).

11 ـ **قواعد العقائد**، ذكره السكوني في لحن العوام (حوليات الجامعة التونسية 12 [1975] ص 165، 172 وخاصة صفحة 173).

وذكر محمد محفوظ أن له «فهرست» اعتماداً على إشارة المقري في نفح الطيب (4: 304) والراجح أنه لجدّه محمد بن أبي الخطاب. ينظر الذيل والتكملة 5: 631.

II ـ المصـــادر:

ـ الأعلام 5: 63.
ـ إيضاح المكنون 2: 401.
ـ برنامج المكتبة العبدلية 1: 54 - 55، 125 - 126، 3: 85.
ـ برنامج الواد ياشي ص 194.
ـ بروكلمان (ملحق) 2: 509.
ـ تراجم المؤلفين التونسيين 3: 45 - 51.
ـ ح. ح. عبد الوهاب (مقدمة الجمانة) ص (ي).
ـ سعد غراب (مقدمة لحن العوام) حوليات الجامعة التونسية 12 [1975]: 111 - 113.
ـ سعد غراب (مقدمة عيون المناظرات).
ـ عبد القادر زمامة (م. م. م. ع) 17: 235 - 250.
ـ فهرس خزانة جامع القرويين 2: 351 - 355.
ـ فهرس دار الكتب المصرية 1: 310.
ـ فهرس الكتبخانة الخديوية 1: 154، 7: 266.
ـ فهرس مكتبة الأسكوريال 3: 42، 133.
ـ معجم المؤلفين 7: 309.
ـ المورد (مجلة) مجلد 7 عدد 2: 315، 320.
ـ هدية العارفين 1: 788.

— 93 —

أبـو الحسـن الهـواري

علي بن يونس بن عبد الله الهوّاري، نور الدين، أبو الحسن.

ولد بمدينة تونس في ذي الحجة سنة 668 هـ وبها قرأ وترعرع. ثم توجه إلى المغرب والأندلس ولقي أكـابر العلمـاء، ثم رجع إلى حـاضرة إفـريقية وبـرز في العلوم. وقصد آخراً البلاد المصرية واستقرّ بالإسكندرية وأقرأ الحـديث والأصول في بعض مدارسها، وهناك اجتمع بـه الرحّـال خالـد البلوي الأندلسي ـ جمـادى الثانية سنة 737 هـ ـ وقد ترجم له طويلاً في رحلتـه وأخذ عنـه وأجازه، وقـال في حقـه[1]: «شيخ من العلمـاء المتبحرين، والحفّـاظ المصنفين، حـلّ كنف العلم والعلاء، وجلّ قدره في الجلّة الفضلاء، ولم يزل على كدّ وطلب، أصبر من عود يجنيـه جلب، قطع الليـالي ساهـراً، وقطف من العلوم أزاهـراً، حتى ارتـوى من المعارف سجله، وعرف له مكانه من العلم وفضله، فأثمر وأورق، وغرّب وشرّق، وجمع وفرّق، وتوغل في فنـون العلم واستغرق. لقيتُـه بالإسكنـدرية وسمعت من لفظه فلا أزين من لقائه، ولا أحسن من إلقائه، ولا أفضل من معاملته، ولا أجمل من مجاملته، ولا أجْلَى من محادثته، ولا أحلى من مناقشته، وكثيراً ما كنت أذكر بأوصافه، وأفكر في حمدٍ يقوم بأوصافـه الخ.

ولم نقف على تاريخ وفاته، والمظنون أنها كانت في أواسط القرن الثامن.

لـــه:

1 ـ **شرح التنقيح في علم الأصول للقرافي**، قـال البلوي: «وهو يـرويه عن مؤلفه مباشرة».

2 ـ **شرح المختصر الأصولي لابن الحاجب**[2].

وله[3] غير ذلك من التآليف حسبما ذكره البلوي[4].

مصـــادر :

ـ أحمد بابا ص 204 ولم يزد على ما في البلوي.

ـ وكذا في الحلل السندسية الجزء الأول ـ خط.

ـ وذيل الرائد التونسي عدد 12 سنة 1289 هـ.

الهـواري (أبـو الحســن)
668 هـ/ 1279 م ـ أواسط ق 8 هـ/ 14 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ قارن برحلة البلوي 1 :208. ونص المؤلف منقول بواسطة أحمد بابا في نيل الابتهاج.

2 ـ في الحلل: شرح أصلي ابن الحاجب وهو تحريف.

3 ـ ذكر البلوي أنه كتب له إجازة بما ألفه ويرويه من الكتب والمصنفات.

4 ـ كذا. لم يعيّن المؤلف النسخة التي اعتمدها ولا موضع النقل.

II ـ مصـــادر :

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ تاج المفرق (رحلة البلوي) 1 :208 - 209.

ـ الحلل السندسية 1 :666.

— 94 —

المـريـض(*)
كان حيّاً أواخر ق 8 هـ 14 م

أحمد بن العبّاس المعروف بالمريّض.

فقيه مالكي. أخذ عن ابن عرفة. وعدّ من أصحابه.

يرجحّ أنه كان حيّاً في أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع الهجري.

لــه:

1 ـ **شرح رجز الضرير[1] في العقائد.**

مصـــادر:

ـ نيل الابتهاج ص 76.

ـ الحلل السندسية 1: 593.

(*) لم يترجم له المؤلف مكتفياً بذكر اسمه واسم كتابه في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

(1) هو رجز مشهور لأبي الحجاج يوسف بن موسى الضرير الفاسي المتوفى سنة 529.

— 95 —

التـرجمـان

عبد الله شهر الترجمان[1]، أبو محمد.

قسيس إسباني أصله من عمالة قطلونية (إسبانيا) ولد في جزيرة ميـورقة في حدود سنة 756 (1355 م) وكان اسمه المسيحي انسيلم ترميدا Anselm Turmuda وزاول في صغره علوم الكهنوت في ديـر بوبليت (Poblet) ثم أخـذ يطوف البـلاد فأقام مدة في المدرسة الدينية بمدينة بولونيا (إيطاليا) وقرأ على قسيس كبير يسمى نقولاوس مرتيل (Nicolaus Martel) وتلقّى منه سر الديانة. وهو الذي أشـار عليه باعتناق الإسـلام، فركب البحـر وقصد تـونس في سنة 793 (1391 م) أو في التي بعدها وذلك على عهد السلطان الحفصي أبي العبـاس أحمد بن محمـد. فأسلم على يديه وحسن إسلامه. وبعد مدة تزوج ببنت الشيخ الحاج محمد الصفـار من بيوتات الحاضرة ورزق منها أولاداً ذكوراً وإناثاً، وأجرى له السلطان جراية مناسبة وقد تعلّم اللسان العربي، وأتقنه فنصبـه السلطان بديـوان البحر، وفي أثنـاء تلك المدة كان عبد الله يترجم بين يدي السلطان من اللغات الإفـرنجية في المهمـات التي تعرض للدولة في علائقها مع سفراء الممالك الأوروبية، وبهذه الصفة صحب عبد الله السلطان أبا العباس المتقدم في أسفاره لأنحاء المملكة الحفصية.

ولما تولّى الأمير أبو فارس عبد العزيز بعـد أبيه المتقـدم سنة 796 هـ قـرّب منزلة عبد الله الترجمان، وألقى إليه مقاليد عدة مأموريات سياسية لا سيما في فداء أسـارى المسلمين المقيمين ببلاد النصـارى، فقام بمـا أنيط بعهدتـه أحسن قيـام وحضر مع السلطان أبي فارس حصار المهدية وافتكـاكها من يـد الإسبان حسبمـا

حكى ذلك مطولاً في مقدمة كتابه الآتي.

ولم يزل محلّ الرعاية والتبجيل من الخاص والعام إلى أن توفي في خلال سنة 837[2] (1433 م) على عهد السلطان المتقدم. ودفن داخل باب المنارة خارج سوق السراجين من الحاضرة[3]. وأقيم بعدُ على ضريحه قبة لطيفة إشارة إلى خلوص نيته وصالح عمله.

لـه:

1 ـ **تحفة الأريب، في الرد على أهل الصليب**. ومن عنوانه يظهر موضوعه حرره في سنة 823 هـ (1420 م) وهو يحتوي على مقدمة وثلاثة فصول، جاء في الفصل الثاني منه إفادات تاريخية مهمة جدّاً عن سيرة السلطان أبي فارس الحفصي وفتوحه وآثاره. وقد نقل عنه ابن أبي دينار القيرواني قسماً كبيراً في تاريخه[*] ويوجد منه نسخ خطية في كثير من المكتبات العمومية[4] مثل الزيتونة، ودار الكتب بمصر وباريس وغوطا والجزائر وليدن وغير ذلك، وفي المكاتب الخصوصية منها في مكتبتي[5] وترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية بقلم جان سبيرو (Jean Spiro) بعنوان Présent de l'homme lettré pour refuter les partisans de la croix وطبعت الترجمة بباريس سنة 1886 م[6]. أما أصل التأليف فقد طبع بلندرة عام 1290 هـ[7] وفي تونس عام[8]، وبمصر 1904 وفي 1905[9].

والمتبادر للذهن أن المقدمة المصدر بها كثير من النسخ الخطية هي من تحرير الولي الصالح أبي الغيث القشاش[10] التونسي[11].

مصـــادر:

- ألف المستعرب الإسباني خاكيم ميريت يى سانس / Jacquim Miret y Sans رسالة بحث فيها عن حياة عبد الله الترجمان قبل إسلامه وبعده نشرها عام 1910 م. وعنوانها:
La Tomba del eseriptor catala Fra Anselm Turmuda en la Cintat du Tuniç, Barcelona, Tipographia «L'avenç» 1910 - 29p.
- كشف الظنون 259/1.

(*) المؤنس ص 143 وما بعدها.

عبـد الله الترجمـان
1355/756 م ـ 3/837 - 1434 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ اسمه في صدر طبعة 1290 هـ من كتابه «تحفة الأريب» وعنه بروكلمان: عبد الله بن عبد الله الترجمان، وفي «المستشرقون»: عبد الله بن علي.

2 ـ ينظر في هذا المقال محمد بن الخوجة: قبرية عبد الله الترجمان في المجلة التونسية 13 [1906 م] ص 292 - 294.

3 ـ تسميه عامة تونس ـ: «سيدي تحفة» الاتحاف 1 :80 هامش 1.

4 ـ ذكر المستشرق الإسباني ميكال أوبلزا في مقدمة تحقيقه لنص التحفة: أنه اطلع على أربع وأربعين نسخة مخطوطة منه.

ـ تونس: دار الكتب الوطنيـة رقم 2947، 4347/1، 4478، 4564، 5358/9 (10244 عبدلية)، 7786 (1131 عبدلية).

ـ الرباط: الخزانة العامة رقم 2545 د بـاسـم «تحفة الأديب»، 3233 د بـاسـم «تحفة اللبيب».

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 573 ردود باسم «تحفة اللبيب».

ـ سوهاج: 285 تاريخ، منه فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقم 66 توحيد.

ـ استانبول: مكتبة خالص رقم 5275 مع ترجمة تركية.

ـ استانبول: مكتبة الفاتح رقم 2090.

ـ استانبول: مكتبة أسعد أفندي رقم 1147/8.

ـ استانبول: مكتبة بايـزيد رقم 2831 (يقـول عبد المجيـد الشرفي: إنـه عثر عليهـا صدفة).

ـ لندن: المتحف البريطاني رقم OR 5942.

ـ بريل: دحداح رقم 973 (عن بروكلمان).

ـ باريس: المكتبة الـوطنية رقم 6051/1، 6052 مـع مقدمـة قصيرة بقلم أبي الغيث القشاش (من صلحاء تونس، توفي سنة 1031 هـ) وأعطاها اسماً جديداً «تحفة الأسرار وتأليف الأخيار الأنصار في الرد على النصارى الكفّار» وقدّمه للسلطان العثماني أحمد الأول (1012 - 1026 هـ).

ـ لينينغراد: أكاديمية العلوم رقم 2542 B.

ولتحفة الأريب مختصر في برلين رقمه 2211، اختصره شخص اسمه عبد الرحيم يذكر بروكلمان أنه ابن مؤلفها (!).

5 ـ تونس: مكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18456.

6 ـ نشر ترجمة القسم العقائدي منها في مجلة تاريخ الأديان 12 [1885] ص 68 - 89، 179 - 201، 278 - 301.

ونشر ترجمة الفصلين الأولين في المجلة التونسية [1906] ص 88 - 103.

7 ـ هذا ما يقوله بروكلمان (دائرة المعارف الإسلامية ط. أولى) وفي كتابه تاريخ الأدب العربي. ويرى سركيس: أن هذه الطبعة هي طبعة تونسية. وليس في أول الكتاب وآخره ما يفيد مكان الطبع. وذكر التاريخ الهجري فقط في آخر الكتاب.

8 ـ هكذا في الأصل. وترك بعدها بياضاً. ينظر التعليق 7 أعلاه. ونشر منها جان سبيرو في المجلة التونسية 13 [1906] ص 88 - 103 الفصلين المتعلقين بحياته مترجمين إلى الفرنسية.

9 ـ لا نعرف طبعة مصر سنة 1905. ولم نرَ من أحال عليها أو أشار إليها. وقد فات المؤلف ذكر ط. مصر سنة 1895 م. وهي التي أشار إليها سركيس وبروكلمان. وقد طبعت التحفة بتحقيق المستشرق الإسباني ميكال أوبلزا في روما سنة 1971 م ضمن منشورات الأكاديمية الوطنية، السلسلة 8 المجلد 15. ونشرت في تونس بتحقيق الطاهر المعموري، منشورات دار بوسلامة سنة 1983 م. ونشرت في تونس ضمن كناش جلول الجزيري ص 267 - 293.

10 ـ ينظر ما ذكرناه عند حديثنا عن مخطوطة باريس رقم 6051/1 في تعليقنا رقم 4.

11 ـ فات المؤلف الإشارة إلى ما كتبه بغير العربية، وخاصة اللغة القطلونية وهي:

2 ـ **التعاليم الصالحة**.

3 ـ **رباعيات مملكة ميورقة**.

4 ـ **كتاب النبوات**.

5 ـ **مجادلة الحمار**، مستنداً فيه إلى رسائل إخوان الصفاء، وترجم أربع مرات إلى الفرنسية ومرة إلى الألمانية. ونشره آسين بالأثيوس في المجلة الإسبانية 1914 Revue de la Philologie, E S P. MADRID.

6 ـ **بشارات الأنبياء بالنبي محمد عليه السلام**. أشار إليه في آخر كتاب التحفة.

II ـ مصـــادر :

أ ـ طبعات جديدة :

ـ كشف الظنون ص 362.

ب ـ إضافات :

ـ إتحاف أهل الزمان 1 :180.

ـ برنامج المكتبة العبدلية 3 :15.

ـ بروكلمان 1 :250، ملحق 1 :352.

ـ بلخوجة محمد، قبرية عبد الله الترجمان، المجلة التونسية 13 [1906]: 292 - 294.

ـ تحفة الأريب، وهي أهم مصدر، ص 3 - 15.

ـ تراجم المؤلفين 1 :225 - 231.

ـ دائرة المعارف الإسلامية (ط. 1) 4 :484.

ـ الشرفي عبد المجيد: تقديم كتاب تحفة الأريب، حوليات الجامعة التونسية [1975] ص 283 - 290.

ـ فهرس دار الكتب المصرية 7 :196.

ـ فهرس المخطوطات العربية المصورة 1 :121.

ـ فهرس مخطوطات كلية العلوم بلينينغراد1 :108.

ـ فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 41.

ـ فهرس مكتبة الدولة ببرلين 2 :497.

ـ فهرس المكتبة الوطنية بباريس (بلوشي) ص 172 - 173.

ـ كشف الظنون ص 362.

ـ المستشرقون 1 :135 - 136.

ـ معجم المطبوعات العربية ص 630.

ـ معجم المؤلفين 6 :78

ـ المؤنس لابن أبي دينار 1 :143.

ـ نماذج من المخطوطات التونسية في المغرب ص 12 - 13.

ـ هدية العارفين 1 :468.

ـــ 96 ـــ

القلشـانـي(*)

1372/773 م ـ 1443/847 م

عمر بن محمد بن عبد الله القلشاني[1] أبو حفص.

أصله من باجة إفريقية. وبيته مشهور بالعلم والصلاح، نبه منه غير واحد.

ولد بباجة في 2 شوال 773 هـ. وأخذ عن والده وأبي مهدي عيسى الغبريني ومحمد بن مرزوق. وتعلم الطب عن الشريف الصقلي.

بـرع في فنون كثيـرة أهمها: الفقـه والأصلين والمنـطق والمعـاني والبيـان والعربية مع معرفة بالحديث. وأخذ عنه ابنه محمد وإبراهيم الأخضري وبشر كثير.

ولي قضاء الأنكحة بتونس بعد وفاة والده سنة 837 هـ، كما اشتغل بالتدريس والخطابة في عدد من مدارس تونس ومساجدها. ثم ارتقى إلى خطة قضاء الجماعة والإمامة والخطابة بجامع الزيتونة سنة 846 هـ. ولم يدم في خطته طويلاً حتى أتى عليه مرض الطاعون في 24 رمضان سنة 847 هـ. ودفن بالزلاج.

لـه[2]:

1 ـ **شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي**.

قال عنه صاحب نيل الابتهـاج: «شرح عـظيم على ابن الحاجب في غـاية

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة واكتفى بذكر اسمه وكتبه في فهرسي المؤلفين والمصنفات وينظر ضبطنا لهذه النسبة في ترجمة أخيه أحمد.

(1) ينظر تمام نسبه في ترجمة أخيه أحمد.

(2) ـ نسب له المؤلف في فهرس المصنّفات «**شرح الموطأ**» إلا أننا لم نرَ من نسب إليه ذلك عند =

الحسن والاستيفاء والجمع مع تحقيق بالغ». وقال أحمد بابا: «وقفت على أوائله».

2 ـ **شرح طوالع الأنوار ومطالع الأنظار للبيضاوي.**

قال عنه السخاوي: «وشرح الطوالع شرحاً حسناً لم يكمل، انتهى منه إلى الإلهيات في أكثر من مجلد».

3 ـ **تحفة الأخيار في خلود الكافر في النار.**

ـ تونس، دار الكتب الوطنية رقم 9520 (10255 عبدلية).

مصـــادر:

ـ إتحاف أهل الزمان 7 :82 - 83 (برنامج الأيمة المقدمين للإمامة والخطابة بجامع الزيتونة).

ـ إيضاح المكنون 1 :475.

ـ تاريخ الدولتين ص 130، 135، 139، 141.

ـ تراجم المؤلفين 4 :104 - 105.

ـ توشيح الديباج ص 128.

ـ الحلل السندسية 1 :596، 606، 651 - 653.

ـ درة الحجال 3 :203.

ـ شجرة النور الزكية 1 :245 - 246.

ـ الضوء اللامع 9 :137، 12 :221.

= من ترجموا له أو تحدثوا عن مصنفاته. وربما كان منشأ ذلك ما جاء في الضوء اللامع ومن نقل عنه مثل توشيح الديباج عند ضبط نسبته أن أصله من باجة إفريقية لا باجة الأندلس التي منها «شارح الموطأ» والعبارة الأخيرة تعني أبا الوليد الباجي الأندلسي ولا صلة لها بالقلشاني.

ونسب له في ذيل كشف الظنون (475:1) كتاباً بعنوان: **«دقائق الفهم في مباحث العلم»** وتبعه في ذلك مؤلف فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 153 تاركاً ما جاء في صفحة العنوان جانباً «.. هذه الرسالة الموسومة «دقائق الفهم..» للعلّامة قاسم القلشاني دون الانتباه لما جاء في مقدمة الرسالة حيث جاء إسناده عن عمر القلشاني كالآتي «... قال جدي أبو حفص عمر القلشاني» وفي ترجمة قاسم القلشاني الآتية تفصيل أكثر».

- الفكرالسامي 4 :91 - 92.
- فهرست الرصاع ص 186 - 191 .
- لقط الفرائد (ألف سنة من الوفيات ص 249) .
- مسامرات الظريف ص 102، 193 .
- معجم المؤلفين 7 :312.
- النيفر (محمد البشير): القضاء الشرعي في القديم: أبو حفص عمر القلشاني المجلة الزيتونية م 5 (1942/1361) :166 - 168، م 6 (1945/1364) 621 - 623 .
- نيل الابتهاج ص 196 - 197 .
- هدية العارفين 1 :793.
- وفيات الونشريسي (ألف سنة من الوفيات ص 143) .

ـ 97 ـ
التُّـرَيْكِـي

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد البيدموري[1] التركي، ويقال له التريكي ـ بالتصغير ـ أبو عبد الله[2].

كان عليّ جد أبيه من مدينة آمد. ونشأ ابنه إبـراهيم بدمشق وكـانت له بهـا رئاسة لاتصاله بأحد الوزراء، وانتقل ابنه أحمد إلى المغرب فارّاً من الملك المؤيد فسكن تونس وتزوج بها. وولد له صاحب الترجمة سنة 820 هـ[3] وشب على طلب العلم، فقرأ على البرزلي والقمّاح والقاضي البحيـري. ورحل إلى المشـرق سنة 849 هـ فحـج وأقام بـالقاهـرة مدة ولازم ابن حجـر العسقلاني واغتبط كـلّ منهما بالآخر. قـال السخاوي: «واجتمعت به في مجلسه وسمعت من نظمه ومباحثه». وكذا لازم التردد للكمال بن البارزي ونـوّه به حتى ولّاه قضـاء المالكيـة بـدمشـق ـ جمادى الأولى 852 هـ ـ ثم تأخر عنه. وانتمى إلى أبي الخير النحاس بحيث كاد أن يلي قضاء مصر. وتولّى النظر على الخزانة المحمودية بعد ابن حجر، وبعد حين رجـع إلى تونس وتعيّن لخـطة قضاء المحلّة الـذي هو قضـاء العسكر وكـذا نـظر الجيش[4] وكان له اختصاص أكيد بالأمير محمـد المسعود ابن السلطان الحفصي وولي عهده.

قـال السخاوي لمـا عرّف بـه: «له ضخـامة ووجـاهة مـع رسوخ في الفقـه واستحضار كثير له ولغيره من العلوم وحافظة جيدة، وأدبه كثير ومحاضرته حسنة، وكذا لطافته وكلامه».

وتوفّي بالحاضرة التونسية أواخر سنة 894 هـ.

لــه :

1 ـ **كمال الأمل**، في شرح الجمل. يعني جمل الخونجي في المنطق، وقد جمع فيه بين كلام ابن واصل والشريف التلمساني وسعيد العقباني وابن مرزوق مع زيادات من شرح الشمسية وشرّاح ابن الحاجب وابن رشد لكلام المعلّم الأول أرسطو، وغير ذلك من غير تكرير في سفر واحد[5].

المصـــادر :

ـ الضوء اللامع 6 :286.
ـ أحمد بابا 323.
ـ درة الحجال 1 :221.

التـريـكـي
820 هـ/ 17، 1418 م ـ 894 هـ/ 1489 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ اسمه عند الزركشي أبو عبد الله محمد البيدموري.
2 ـ لقبه السخاوي بـ «شمس الدين».
3 ـ أتبعها السخاوي بعبارة: «أو قبلها تقريباً».
4 ـ يبدو أنه تولّى هذه الخطة في أواخر عهد السلطان أبي عمرو عثمان لأن الزركشي لم يذكر له ذلك إلى آخر ما وجد من كتابه مؤرخاً بسنة 882 هـ. وكان قبل تولّيه خطة قضاء المحلّة تولّى خططاً هامة ذكرها الزركشي بتفصيل.
5 ـ هذا كله لفظ السخاوي. وهو معتمد جميع من ذكره بعده. وفي بعض كلام الناقلين تحريف يصل إلى حد نسبة أسماء كتب له خطأ. (ينظر درة الحجال، وتراجم المؤلفين).

II ـ مصـــادر :

أ ـ طبعات جديدة :
ـ درة الحجال 2 :140 - 141.

ب ـ إضافات:

ـ تاريخ الدولتين ص 150، 152، 158.

ـ تراجم المؤلفين 1 :232 - 233.

ـ توشيح الديباج ص 187 - 188.

ـ الحلل السندسية 1 :669.

ـ شجرة النور الزكية 1 :260.

ـ الضوء اللامع 11 :194.

ـ لقط الفرائد (ألف سنة من الوفيات ص 271).

ـ 98 ـ

الجبــي

علي بن علي بن محمد الجبي.

من أبناء الأندلس المهاجرين. ويظهر أن والده وسميّه عليّاً هو الوافد على تونس في الربع الأول من القرن الحادي عشر، ونشأ علي بالحاضرة وقرأ على علماء زمانه كالشيخ أحمد بن عبد العزيز الحنفي الأندلسي (وكان من أوثق أهل زمانه علماً وديانةً) كما عرّف به تلميذه الجبي، والشيخ علي العامري إمام جامع الزيتونة[1].

وسافر إلى المشرق بنية الحج فأقام بمصر مدة أخذ فيها عن جماعة منهم الشيخ عبد السلام اللّقاني وعلي الأجهوري وغيرهما. ثم عاد إلى تونس وأقام بها إلى آخر العمر، وهذا ما نعلمه من حياته.

وقد استفدنا ما تقدم من أخباره من ضمن تآليفه الآتية، ومنها يستفاد أيضاً أنه كان من العلماء العاملين المقاومين لأهل البدع والمخارق ولا سيما من ينتسب إلى الطرق القائلين بإباحة الرقص واستعمال آلات الطرب بدعوى التواجد لتغرير العامة واستدرار أموالهم، فقد شدد النكير عليهم في ما كتبه بل ربما حصر موضوع تآليفه في ذلك، ويظهر أنه لحقته بسبب ذلك إذايات ونكايات حسبما أشار إليه في غضون ما صنّفه.

وبالجملة فالرجل من أهل التحقيق والجدّ العاملين الذابّين على سماحة الدين من غوائل البدع والزيغ.

ومن الغريب أن مؤرخي عصره ـ كابن أبي دينار وحسين خوجة ـ لم يتعرض

أحد منهم إلى التعريف به، وعلى كلٍّ فإنه كان بقيد الحياة في الربع الأخير من القرن الحادي عشر.

لــه:

1 ـ **الفوائد المرونقة، في الفرق بين أهل السنّة والزندقة.**

في الرد على أهل البدع ودعاويهم، احتج فيه بكلام الأئمة المقتدى بهم كالقاضي عياض والغزالي وغيرهما. أتمه في رجب سنة 1068 هـ، منه نسخة بمكتبتي الخصوصية[2] تخرج في 150 ورقة تقريباً.

2 ـ **نيل المرام، في تمييز الحلال من المكاسب والحرام.**

قال في مقدمته: «لما كثر الجهل بالتمييز في المأكل والمشرب بما يحلّ وعمّت البلوى بمعاملة أهل التخليط في المكاسب كالأمراء والعمّال والخلفاء والجهال بأحكام البيع والشراء. وكبر التشنيع على من قَبِل عطاياهم وصدقاتهم وعلى من يأخذ رواتبهم كالأجناد ممن يدّعي العلم أو ينتسب إلى الصلاح من غير علم من أهل زماننا التمس منّي غير واحد من الإخوان أن أجمع لهم من أقاويل العلماء ما يحصل به المرام.. الخ».

فرغ من جمعه في المحرّم 1073، وهو يخرج في 50 ص، منه نسخة بمكتبتي الخصوصية[3].

3 ـ **كشف التلبيس، عن أحوال الدجاجلة أتباع إبليس** رسالة في موضوع التأليف المتقدم، أتمها في رمضان 1076، تخرج في 50 ص تقريباً، منها نسخة بمكتبتي الخصوصية[4].

ويلوح أن للجبي هذا كتابات أخرى في المعنى المشار إليه يحيل عليها في تآليفه.

والمظنون أن الجبي هذا اختصر كتاب «المدارك» للقاضي عياض، وكان من هذا الاختصار نسخة بخطه عند صديقنا المرحوم الشيخ محمد بن أبي الشنب الجزائري جاء في آخرها: «تمّ على يد كاتبه وجامعه علي بن علي بن محمد الجبي

الأندلسي الأصل التونسي المنشأ والمسكن بتاريخ يوم الأحد 27 شعبان سنة 1072 (17 إبريل سنـة 1662)، وهذا المختصـر يخرج في 291 ورقـة من القطع العـادي (راجع تذكار ميكالي أماري ط بليرمو 1910 ج 1 ص 251) .

الجبـي
كان حيّاً سنة 1076/5 - 1666 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ غير مذكور في قائمة الخطباء والأيمة بجامع الزيتونة (الإتحاف 7 :61 - 62) فلعلّه كان إماماً نائباً أو إمام خمس .

2 ـ مخطوط مكتبة ح . ح . عبد الوهاب بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 18575 .

3 ـ منه نسختان في مكتبة ح . ح . عبد الوهاب : الأولى مفردة رقم 18504 والثانية ضمن المجموع رقم 17966/1 وكلتاهما في دار الكتب الوطنية بتونس .

4 ـ مخطوط مكتبة ح . ح . عبد الوهاب رقم 17966/2 .

II ـ مصـــادر :

ـ فهرس مكتبة ح . ح . عبد الوهاب ص 49 - 50، 116 .

— 99 —

الشـريـف(*)

000 - 1113 هـ/ 1702 م

سعيد بن أبي الظفر سعيد الشـريف، أبو عثمـان. ولد بـطرابلس. وأصله منها. وانتقل صغيراً إلى تونس فسكن في إحدى مدارسها. ولزم دروس جماعة من أعيان علماء عصره كالشيخ محمد فتاتة وعاشور القسنطيني.

كانت له معـرفة بـالفقه المـالكي مع مشـاركة صـالحة في النحـو والعقائـد والأصول. توفي بتونس سنة 1113 هـ/ 1702 م[1].

لــه:

1 ـ **حاشية على تحريـر القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية** لقطب الدين الرازي.

2 ـ **حاشية على شرح الجلال المحَلّي** على جمع الجوامع للسبكي.

3 ـ **تعاليق على المغني لابن هشام في النحو.**

4 ـ **تعاليق على المختصر الخليلي في الفقه المالكي.**

مصـــادر:

ـ الحلل السندسية 2: 650 - 660.

ـ ذيل البشائر أهل الإيمان ص 196 - 198.

ـ شجرة النور الزكية 1: 319.

(*) هذه الترجمة من ملحقاتنا. واكتفى المؤلف بذكر اسمه في فهرس الأعلام ونسبة الكتابيْن له في فهرس المصنفات.

(1) في ذيل البشائر وشجرة النور الزكية أن وفاته كانت سنة 1112 هـ.

ـ100ـ

العجمـــي

أحمد بن محمد بن حَمَد (بفتح الحاء والميم) بن إبراهيم العجمي المكني، نسبةً إلى المكنين من بلدان الساحل من عمل المنستير. وهو من أحفاد الولي الشيخ سالم الغلام صاحب زاوية قرية بني حسان بالساحل أيضاً. قرأ بصفاقس على الشيخ علي النوري ولازمه مدة. ثم سافر إلى مصر واجتمع بالعلماء وأخذ عنهم مثل الشبرخيتي والخرشي، ثم عاد إلى بلده المكنين وأسس بها مدرسة وتصدّى للإقراء بها إلى أن توفي منتصف رمضان سنة 1122 هـ ودفن بمدرسته.

لـه:

1 ـ **عقيدة التوحيد**[1]، **وهي منظومة أولها**:

يقول راجي الله جلّت قدرتُهْ   أحمد المكنيّ تلك شهرتُه[2]

وقد شرحها الشيخ عبد العزيز الصفاقسي[3].

وقيل: «إن له مصنفات أخرى لم نقف على ذكرها».

أحمد العجمي
000 ـ 1122 هـ/ 1710 م
استدراكات وإضافات

I ـ التعاليق:

1 ـ منها نسخة في دار الكتب المصرية رقم 41 مجاميع، جاءت تالية لشرحها «الفتوحات الإلهية».

2 ـ هكذا جاءت رواية هذا الشطر في شجرة النور أيضاً. وفي فهرست الكتبخانة الخديوية (79: 7).

أحمد من بالمكنيِّ شهرته.

3 ـ اسمها «الفتوحات الإلهية على الأرجوزة المكنية» منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم 41/9 مجاميع.

ونسبت في فهرس الكتبخانة الخديوية لمحمد بن عبد العزيز الفراتي. وفي الفهرس المذكور: فرغ من تبييضها يوم الجمعة أواسط شعبان 1169 هـ. والمعروف أن عبد العزيز الفراتي الذي نسب له الشرح هنا وفي شجرة النور الزكية أنه توفي سنة 1131 هـ. والأمر في حاجة إلى مزيد البحث.

II ـ المصـــادر:

ـ فهرس الكتبخانة **الخديوية** 7 :79.

ـ شجرة النور الزكية 1 :322.

ـ تراجم المؤلفين 4 :367.

ـ فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية.1 :200.

ـ101ـ

الفـراتـي

عبد العزيز بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد شُهِر الفراتي، من بيت علم مشهور بمدينة صفاقس من قديم الزمان. ونسبتُه إلى الفرات بالعراق دليل على قدمه.

صاحب الترجمة هو العاشر مِمّن انتصب منهم للوظائف الشرعية، وُلِدَ سنة 1051 هـ وقرأ أوّلاً ببلده. ثم قدم الحاضرة وأخذ عن شيوخ الزيتونة. ثم سافر إلى مصـر وزاول العلوم بالأزهـر مدَّةَ خمس سنين فـأخذ عن القـاضي المـالكي عمـر الفكروني والشيخ يحيـى الشَّاوي، وكان من أخص تلاميذه وصَاحَبَهُ إلى اسطنبول حين استـدعاه السلطان العثمـاني. ثم قصد الحجـاز فأدَّى الفـريضة وجـاور مدَّةً بالمدينة المنوّرة. وعاد أخيراً إلى مسقط رأسه صفاقس فوجد الشيخ علي النّوري، قد سبقه بزمان إلى بَثّ العلم فكان له أكبر عَضُدٍ في تنظيم التعليم وترتيب الدروس التي بلغت ثماني عشرة دولة في اليوم الواحد. وتولّى إمامة جامع صفاقس والخطابة به سنة 1116 هـ بإشارة من شيخـه علي النوري. ثم قُـدِّم للإفتـاء. ولم يزل يبثّ العلم ويتخرّج على يديه طبقات من الطلبة إلى أن توفِّي يوم الأربعاء 21 ذي الحجّة عام 1131 هـ. وقال بعضهـم 1134 وهو وَهْمٌ. وضريحه معروف ببلده، وترك ثلاثةَ أبناء ترأّسـوا بعده «أحمـد، وعبد العـزيز أيضـاً، وعبد الـرّحمن. وعقبهم مشهور بصفاقس».

لــه:

1 ـ **نور الإنسان في سيرة ولد عدنان** وهي سيرة نبوية مستوفـاة اعتمد فيهـا

علي سيرة ابن هشام، وابن سيّد الناس، وبالخصوص السيرة الحلبية بحذف الأسانيد[1] وتخرّجَ في نحو 300 ورقة، منها نسخة بالعبدلّية[2]. وفي بعض الخزائن الخصوصية بصفاقس كمكتبة حفيد حافِدِه محمد وهي بخطّ المؤلف.

2 ـ **عقيدة منظومة**[3] شرحها ابنه عبد الرّحمن المترجَمُ له في هذا الكتاب.

3 ـ **مناسك الحج**، منظومة[4] أخرى أيضاً، موجودة، ورأيت الحُجّاج الصفاقسيين يحفظونها قبلَ طلوعهم للحجاز.

4 ـ **الفتوحات الإلهية، على الأرجوزة المكنية**[5] وهو شرح على منظومة الشيخ أحمد المكني في التوحيد، منه نسخة بدار الكتب المصرية.

5 ـ **شرح على «الشمعة المضيئة في علم العربية»**[6] وهي ألفية في النحو لجلال السيوطي، موجود بصفاقس.

6 ـ **خطب منبرية**[7] مدوّنة على حسب جُمَعِ السَّنَة.

7 ـ **نظم في مسائل الفقه**[8].

قال حسين خوجة: وله أيضاً تقاييد في الفتاوى[9].

مصـادر:

- البشائر 36.
- الحلل السندسية 3 :75 ـ خط.
- مقديش 2 :172.

الفـراتـي (عبد العزيز)
1718/1131 - 1642 - 1/1051
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ في برنامج المكتبة العبدلية 2 :362 «أنه اختصره من سيرة بعض شيوخ مشائخه. وذكر مترجموه: حسين خوجة، مقديش، مخلوف أنه اختصر السيرة الحلبية. وألحقه الأول

والأخير بعبارة: محذوفة الأسانيد. وهي عبارة لا معنى لها، لأن سيرة الحلبي نفسها خالية من الأسانيد».

2 ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم: 5991 (1288 عبدلية) 8654 (292 عبدلية).

3 ـ ذكرها مترجموه. وزاد مقديش: على مذهب أهل السنّة.

4 ـ ذكرها في البشائر والحلل وشجرة النور.

5 ـ رقمها 41/8 مجاميع.

6 ـ كذا أسماه صاحب الحلل. وفي البشائر: كتاب في النحو، وفي شجرة النور: تأليف في النحو.

7 ـ في البشائر ومقديش وشجرة النور: ديوان خطب.

8 ـ كذا ورد اسمه في البشائر. وفي مقديش وشجرة النور: مقدمة في الفقه.

9 ـ قال السراج في الحلل: وله قصائد ومراسلات.

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

- الحلل السندسية 3 :303 - 305.

ب ـ طبعات جديدة:

- بشائر أهل الإيمان ص 129 - 130.

ج ـ إضافات:

- برنامج المكتبة العبدلية 2 :312 - 313.
- بروكلمان، ملحق 1 :692.
- تراجم المؤلفين 4 :25 - 26.
- شجرة النور الزكية 1 :323 - 324.
- فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 1 :200.
- فهرس الكتبخانة الخديوية 7 :79.

— 102 —

علـي المـؤخـر

علي بن محمـد بن محمد التميمي شهـر المؤخر الصفـاقسي، من تلاميـذ الشيخ علي النوري وعبد العزيز الفراتي، وباشر التدريس بمقام الإمـام اللخمي، وقرأ عليه خلق كثير.

وتوفّي ببلده في أواسط القرن الثاني عشر[1] ودفن حذو قبر شيخه النوري.

لــه:

1 ـ **مبلغ الطالب إلى معرفة المطالب**، وهـو شرح على عقيـدة شيخه علي النوري منه نسخة بالزيتونة في مجموع رقم 1436[2] وفي غيرها من الخزائن.

2 ـ **تقريب البعيد إلى جوهرة التوحيد**، شرح على الجوهرة لإبراهيم اللقاني أوله: «الحمد لله الذي اختص بصفات الألوهيّة، يخرج في 100 ورقة تقريباً رأيته عند بعض الكتبيين[3].

3 ـ **شرح على ألفية السيوطي في النحو**[4].

وله غير ذلك مما لم نقف عليه[5].

مصـــادر:

ـ مقديش 2 :168.

علـي المـؤخـر
كان حيّاً أواسط القرن 12 هـ/ 18 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ في تراجم المؤلفين: كان حيّاً سنة 1118 هـ.

2 ـ يعني المكتبة العبدلية والرقم المذكور هو الرقم الترتيبي في الفهرس المطبوع. أما رقمها في الخزائن فهو 2173/3. وهي الآن في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 7893/3. ومنها نسخ أخرى تحت الأرقام 12988/1 (5927/1 أحمدية) 19494، 20144، 20162، 20165، 20166، 20338. (وأصل هذه النسخ من مكتبة دار الجلولي بصفاقس) وبعضها قطع غير تامة.

3 ـ منه بدار الكتب الوطنية بتونس نسخ أرقامها: 1648/1، 2820، 20347 (مكتبة دار الجلولي).

4 ـ يقول صاحب تراجم المؤلفين: «توجد منها قطعة مسودة بخطه» ولم يعين مكانها.

5 ـ ممّا وقفنا عليه من مؤلفاته:

4 ـ فرائد القلائد في صحة الإيمان والعقائد.

منظومة أتمها سنة 1111 هـ. وهي بخطه في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 19958/2 (من دار الجلولي).

5 ـ منظومة لامية في حروف المعاني.

منها نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 19958/1 (من دار الجلولي).

6 ـ شرح على لاميته في حروف المعاني.

توجد بدار الكتب الوطنية بتونس قطعة منه، هي مسودة المؤلف تحت رقم 19339 (من دار الجلولي).

7 ـ تقييد في بعض قواعد أصول القراءات.

توجد قطعة منه بدار الكتب الوطنية بتونس رقمها 19128 (من دار الجلولي).

8 ـ رسالة في العمل بالربع المجيّب.

توجد منها بدار الكتب الوطنية بتونس نسختان رقم 19789، 19432/1 (أصلهما من دار الجلولي).

II ـ مصادر:

أ ـ إضافات:

ـ برنامج المكتبة العبدلية 3 :80.

ـ تراجم المؤلفين 4 :417 - 419.

ـ شجرة النور الزكية 1 :345.

— 103 —

السـرقسطـي(*)

حيّ 1091 هـ/ 1680 م

إبراهيم بن الحاج أبـي الحسن علي الأندلسي ثم السرقسطي، عرف البنّا[1] فقيه ونحوي له اشتغال بعلم العقائد والتوحيد. أصله من الأنـدلسيين المهاجـرين إلى تونس. وبها مولده ونشـأته ودراستـه. كان كثيـر الانزواء والخمـول مكبّاً على تعليم مبادىء العلوم الفقهية والعقائديـة والنحويـة للطلبة من الصبـاح إلى الليل، وذلك في سقيفة داره لا يخرج منها إلاّ إلى الجمعة.

لم يتولّ وظيفة مّا عدا إمامة مسجد قريب من داره. وكان مرتـزقه من كتـابة الحروز والتمائم. وكان مقصوداً في كتابتها.

قال عنه حسن خوجة: ألّف كتباً عديدة مشهورة عند الطلبة. توفي بعد سنة 1091 هـ ودفن بالزلاج. وله من العمر نحو سبعين سنة.

لــه:

1 ـ **الهبة والعطا في شرح العقيدة الوسطى**. فرغ من تحريره يوم الرابع من رمضان سنة 1088.

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة واكتفى بذكره في فهرس المؤلفين فقط مع تاريخ وفاته سنة 1090 هـ.

(1) ورد لقبه في بعض المخطوطات «البنّاي» كما هو في نسختي التعريف بذكر الفرق (الكتاب رقم 3) وقرأها مصنفو برنامج المكتبة العبدلية «البنّاني» وبهذه النسبة لقّب في مطبوعتي المواهب الربّانية (الكتاب رقم 3) وكذا في المخطوطة التونسية رقم 9231/1. ونسبة الرجل الأندلسية السرقسطيـة واضحة.

نشرتـه المكتبة العلمية في تونس وطبع بالمطبعة التونسية سنة 1345 هـ.

2 ـ **المواهب الربّانية في شرح المقدمات السنوسية**. أتم المؤلف تحريره يوم السادس عشر من المحرم 1091 هـ.

ـ تـونس: دار الكتب الوطنية رقم 9231/2 (4646/2 عبدلية)، 9687/2 (2088/2 عبدلية).

طبع على هامش شرح السنوسي على مقدماته في التوحيد بالمطبعة الخيرية في مصر سنة 1304 هـ. وطبع ـ أيضاً ـ على هامش الكتاب المذكور كذلك بمطبعة التقدم العلمية في مصر سنة 1323 هـ.

3 ـ **التعريف بذكر الفرق بالتعيين الواردة في حديث سيّد المـرسلين**[2] أتم المؤلف تحريره يوم الجمعة 25 رجب سنة 1085 هـ.

ـ تـونس: دار الكتب الوطنية رقم 4155/1، 9231/1 (4646/1 عبدلية).

4 ـ **شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي**. انتهى من تأليفه في الـرابع عشر من ربيع الأول سنة 1089 هـ.

ـ تـونس: دار الكتب الوطنية رقم 3672، 15048 (3414 أحمدية).

5 ـ **مسـالك النّجح إلى قطر النّـدَى والشواهـد والشرح**. أتم تـأليفـه يـوم الخميس السادس والعشرين ذي القعدة سنة 1088 هـ[3].

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 257، 521، 1558، 9217 (2533 عبدلية).

مصـــادر:

ـ **الأعلام** 1:53.

ـ برنامج المكتبة العبدلية 3: 74.

---

(2) أخذنا العنوان مما ورد في مقدمة المؤلف.

(3) في مخطوطة دار الكتب الوطنية رقم 521 أنه أتمه في السادس والعشرين من محرم سنة 1091 وهو خلاف ما في بقية المخطوطات.

- بروكلمان (ملحق) 2:700.
- تراجم المؤلفين 3 :77.
- ذيل بشائر أهل الإيمان ص 187 - 188.
- فهرس الخزانة التيمورية 4 :141.
- معجم المطبوعات العربية ص 1058.
- معجم المؤلفين 1 :65.
- نـاجي (هلال): المخـطوطات العـربية في دار الكتب الـوطنيـة بتـونس/ مجلة معهـد المخطوطات العربية 18 :38.

— 104 —

التــارزي(*)

000 - حيّ سنة 1134 هـ

حمزة بن محمد الحنفي الشهير بالتارزي.

من علماء تونس. وبرع في العلوم الدينية وخاصة التوحيد والعقائد. أخذ عن علمـاء عصره منهم الشيـخ زيتونـة المترجم لـه في هذا الكتـاب. كان حيّـاً سنـة 1134 هـ.

لــه:

1 ـ **حاشية على شرح السنوسي** لمقدماته في التوحيد والعقائد. منه نسختان في مكتبة ح. ح. عبد الوهاب رقم 18320 و 18745. الأولى بخط المؤلف أتمها يوم الثلاثاء 22 رمضان سنة 1134.

مصــادر:

- استفدنا بعض أخباره مما ورد على ظهر الورقة الأولى من النسخة الأولى من كتابه رقم 320، 18 وهو بخط الشيخ بيرم الرابع.
- فهرس مكتبة ح. ح. عبد الوهاب ص 43.

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة واكتفى بالتنصيص على اسمه واسم كتابه في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

ـــ 105 ـــ
ابـن خُليفـة

علي بن محمد بن خُلَيفة ـ بصيغة التصغير ـ الشريف المساكني، نسبة إلى مساكن بلد بالساحل التونسي من عمل سوسة، وبها ولد سنة 1080 هـ. أخذ عن الشيخ علي النوري بصفاقس. ثم ارتحل إلى المشرق على رأس القرن الثاني عشر، فحج واجتمع في مصر بمشائخ الأزهر كالشيخ محمد الخرشي وإبراهيم الشبرخيتي وعبد الباقي الزرقاني وغيرهم. ثم عاد إلى بلده مساكن وأنشأ[1] بها مدرسة أقرأ فيها العلوم وانتفع به جماعة. وعُمِّر طويلاً حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وتوفي سنة 1172 هـ. ودفن بمدرسته.

لـه[2]:

1 ـ **منظومة نونية في التوحيد**[3]، متداولة، وقد شرحها الشيخ أحمد الدمنهوري المصري[4].

2 ـ **فهرست مروياته**[5].

مصـادر:

ـ البشائر 46.

ـ مقديش 2.

علـي بـن خليفـة

1080 هـ/ 69 - 1670 م ـ 1172 هـ/ 58 - 1759 م

استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق :

1 ـ في ذيل البشائر: «وتصدّر للتدريش بمدرسة أبيه وعمّرها أحسن تعمير».
2 ـ له أيضاً:

3 ـ **منظومة في آداب قضاء الحاجة.**

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 3855.

3 ـ اسمها **«الرياض الخُلَيفية»** فرغ من نظمها سنة 1031 هـ.

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 2996/1، 4706.

4 ـ وسمّى شرحه هذا: **«المنح الوفيّة بشرح الرياض الخُلَيفيّة»**.

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 4713، 7896 (عبدلية 2199).

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 159، 229 توحيد.

5 ـ يبدو أن الشيخ مخلوف اطلع عليها واستفاد منها في تحرير ترجمته في شجرة النور الزكية.

II ـ مصـــادر :

أ ـ طبعات جديدة:

ـ ذيل بشائر أهل الإيمان (ط. 2) ص 140 - 141.

ب ـ إضافات:

ـ برنامج المكتبة العبدلية 3: 98.
ـ بروكلمان 2: 331، ملحق 2: 458.
ـ تراجم المؤلفين 2: 233 - 235.
ـ شجرة النور الزكية 1: 347.
ـ فهرس دار الكتب المصرية 1: 209.
ـ فهرس الكتبخانة الخديوية 2: 56 - 57.
ـ فهرس المكتبة الأزهرية 3: 222.
ـ معجم المؤلفين 7: 87.
ـ نزهة الأنظار 2: 170.
ـ هدية العارفين 1: 765.

— 106 —

ابـن سعيـد

الحاج حمودة بن الحاج محمد بن سعيد، كان إمـاماً بجـامع قـوس الحدّادين[1] من ربض باب السويقة بمدينة تونس، وكان يعيش في أواخر القرن الثاني عشر.

لـــه:

1 ـ **شرح على القصيدة اللامية في التوحيد من نظم محمد الصالح الأوجلي**، منه نسخة بالمكتبة العبدلية[2] بخط المؤلف اتمها في 29 ربيع الثاني سنة 1182[3].

ابـن سعيـد
كان حيّاً سنة 1188 هـ/ 4 - 1775 م
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ ذكر محمد بن الخوجة هذا المسجد ضمن كتابه «تاريخ معالم التوحيد» ص 257 وذكر أنه يقع في نهج الحدادين. ولم يزد على ذلك.

2 ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 8706 (2744 عبدلية).

3 ـ كذا في المخطوطة (اثنين وثمانين ومائة وألف) والملاحظ أنه ورد عقب الشرح المذكور منظومة كتبها مؤلف الشرح وأتم نسخها «يوم الجمعة 29 ربيع الثاني سنة 1188 هـ».

— 107 —

البنّـانـي(*)

000 - 1198 هـ/ 1783 م

عبد الرّحمن بن جادَ الله البناني فقيه أصولي، أصله من بنّان[1] قرية قرب المنستير. انتقل إلى مصر وجاور بالأزهر. وتخرّج به، واستقرّ به شيخاً لرواق المغاربة، وحُمِدَت سِيرته في مشيخته للرّواق المذكور. تولّى التدريس بالأزهر، وانتفع به الطلبة. ولم يزل مواظباً على ذلك إلى أن توفّي ليلة الثلاثاء آخر صفر سنة 1783/1198 م.

لــه:

1 ـ **حاشية على شرح المحلّي على جمع الجوامع** في أصول الفقه. وهي من أشهر ما كُتِبَ على هذا الكتاب. تشهد كثرة نسخها في مكتبة الأزهر وتعدّد طبعاتها بتداولها بين طلاّب المعاهد الدينية في مصر والعالم الإسلامي.

مخطوطـاتهـا:

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 7904 (2292 عبدلية)، 7905 (2293 عبدلية).

ـ القاهرة: مكتبة الجامع الأزهر رقم 1515، 1980، 5310، 15925، 15926، 15927، 20008، 21513، 21514، 37858، ومنهـا مخـطوطـات أخـرى محفوظة بالمكتبات الفرعية بالمكتبة المذكورة.

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة وذكره وذكر كتابه في فهرسي المؤلفين والمصنّفات.

(1) فـي عجـائب الآثار، وتابعه من جاء بعده مثل اليواقيت الثمينة: بنانة، وهو تصحيف.

ينظر فهرس الأزهرية 2 :28 - 32.

طبعـاتهـا:

طبعت الحاشية المذكورة في مجلّدين. وكانت أُولى طبعاتها في مطبعة بولاق سنوات 1285 هـ، 1297، 1298. ثم تتالت طباعتها المصرية فطبعت في المطبعة الأزهرية سنوات 1309، 1330، 1331، 1331، 1333. وفي المطبعة الخيرية سنتي 1308، 1309، وفي المطبعة الميمنية سنة 1318، وفي المطبعة الشرفية سنة 1318، وفي مطبعة دار الكتب العربية الكبرى سنة 1332. وفي طبعة غير مذكور مكان طبعها سنة 1349[2].

مصـــادر:

- الأعلام 3 :302.
- اكتفاء القنوع ص 140، 494.
- برنامج المكتبة العبدلية 4 :16.
- تراجم المؤلفين 1 :170.
- شجرة النور الزكية 1 :342.
- عجائب الآثار 3 :282 - 283، 307.
- فهرس الأزهرية 2 :28 - 32.
- فهرس الخديوية 2 :244.
- معجم المطبوعات ص 591.
- معجم المؤلفين 5 :132.
- هدية العارفين 1 :555.
- اليواقيت الثمينة 1 :197 - 198.

(2) نسب له المؤلف في فهرس المصنّفات: المقامة التصحيفية، وفي شجرة النور: كتابة على المقامة التصحيفية. وفي تراجم المؤلفين: حاشية على المقامة التصحيفية. وهذا كله تنقصه الدقة. ذلك أن الكتابة على المقامة التصحيفية لا تزيد على تقريض بسيط للمقامة التصحيفية التي كتبها الشيخ عبد الله الأدكاوي أحد أدباء مصر توفي سنة 1184 هـ/ 1770 م. ينظر عجائب الآثار 2 :7 - 27.

— 108 —

الهِـدّة (محمـد)

محمد بن حسن بن عبد الرزاق ويعرف بالهِدّة[1]. من بيت علم مشهور بمدينة سوسة، وبها نشأ وقرأ على والده وغيره. ثم ارتحل إلى مصر فأخذ بالأزهر عن البليدي التونسي والشيخ الدمنهوري. ثم رجع إلى تونس وقرأ بالزيتونة فأفاد. وفي آخر أمره رجع إلى مسقط رأسه سوسة. وبها كانت وفاته بالطاعون سنة 1199 هـ[2].

لـه[3]:

1 ـ **شرح على متن السلّم**، في المنطق.

2 ـ **حاشية على كتاب «قرة العين»** الذي وضعه محمد الحطاب المالكي شرحاً على ورقات إمام الحرمين الجويني، ألّفها سنة 1167 هـ. وطبعت الحاشية مع الأصل في تونس عام 1322[4].

3 ـ **حاشية على مختصر السعد.**

4 ـ **حاشية على الفاكهي.**

5 ـ **رسالة في ذمّ الدنيا.**

6 ـ **رسالة الرّجاء والخوف.**

7 ـ **رسـالـة في الـرّبـا.**

وله[5] غير ذلك من التحريرات في مواضيع شتى[6].

مصـادر:

ـ ابن أبي الضياف ج 4 (خط).

الهِـدّة (محمـد)

000 ـ 1199 هـ/ 4 - 1785 م

استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ سلسل ابن أبي الضياف نسَبَه هكذا: أبو عبد الله محمد بن حسن بن عبد الرزاق، ويعرف بالهدّة بن محمد بن محمد بن أحمد السوسي.

2 ـ كذا في شجرة النورالزكية أيضاً. وفي الإتحاف أنه توفّي سنة 1197 هـ. ولم ترد وفاته في المصادر بالطاعون.

3 ـ له ثبت في مروّياته وأسانيده نَسَبَهُ له الكتّاني في فهرس الفهارس.

4 ـ طبع قبل ذلك في تونس سنة 1299 هـ، وطبع ثانية سنة 1310 هـ.

5 ـ جميـع الكتب المذكورة هنا ورد ذكرها في الإتحاف، وبعضها في شجرة النّور الزكية.

6 ـ أشار ابن أبي الضياف إلى سيرورة فتاويه في الحاضرة والبادية.

II ـ مصـــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

ـ إتحاف أهل الزمان 7 :14 - 15.

ب ـ إضافات:

ـ تراجم المؤلفين 5 :100 - 101.

ـ شجرة النور الزكية 1 :351.

ـ صفحات من تاريخ تونس ص 174.

ـ مطبوعات المطبعة الرسمية /ابلا [1962] ص 169 - 170.

ـ معجم المطبوعات العربية ص 1630.

ـ فهرس الفهارس ص 1103 - 1104.

— 109 —
المحجـوب

عمر بن قاسم المحجوب[1].

من بيت علم وشرف أصله من بلد مساكن من جهات سوسة. أخذ عن والده وعن حمودة بن عبد العزيز وغيرهما. وتصدّر للتدريس. وكانت له اليد الطولى في الإنشاء الأدبي. وربما كان يحرر المكاتيب المهمة الصادرة عن حضرة الباي حمودة باشا[2]، وتقلّد خطة القضاء المالكي بالحاضرة[3]. وكان من خواص الوزير المصلح يوسف صاحب الطابع بينهما مودة وثيقة، وتوالت عليه في آخر العمر أمراض أوجبت تخليه[4] عن القضاء فاختار له تلميذه[5] الشيخ إبراهيم الرياحي، وتوفي بعد ذلك بقليل موفى محرم سنة 1222 هـ (1807 م) ودفن بالزلاج.

لـــه:

1 ـ **الرد[6] علي محمد بن عبد الوهاب النجدي** وعلى مذهبه الظاهر يومئذٍ بجزيرة العرب[7] رسالة منها نسخ عديدة بالمكتبـة الزيتـونية وفي كثيـر من الخزائن[8]، وطبعت بتونس مرتين آخرها في عام 1327 هـ[9].

2 ـ **كناش مفيد في تقييد عدة حوادث تاريخية وأدبية**، ينقل عنه صديقنا محمد بن الخوجة(*)[10].

3 ـ **استفراغ الخلط بين الشك في المانع والشك في الشرط**[11]. . . رسالة في الفقه. موجودة ـ خط[12] ـ.

(*) معالم التوحيد ص 104.

مصــادر:

- ابن أبي الضياف ج 4: 55.
- بروكلمان (ملحق) 2: 697.

عمـر المحجـوب
000 ـ 1222/1807
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ ورد اسمه في فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية 1: 123 «عمر بن محمد المحجوب البهلول المغربي قاضي الجماعة بتونس».
2 ـ أورد صاحب الإتحاف نموذجاً منها في ترجمته.
3 ـ أرخ محمد بن الخوجة ولايته القضاء سنة 1217 هـ.
4 ـ تخلّى عن القضاء في صفر سنة 1221 هـ كما جاء في الإتحاف.
5 ـ كذا وردت العبارة في ترجمته عند صاحب الإتحاف. ويوضحها ما جاء في ترجمة الشيخ إبراهيم الرياحي «ولما انفصل الشيخ عمر المحجوب من خطة القضاء بعث الباي إلى الشيخ [إبراهيم الرياحي] ليوليه خطة القضاء! فامتنع وتعلّل بأنه لا يسوغ له أن يتقـدم على شيخيه أبي الفـداء إسمـاعيـل التميمي وأبي العبـاس أحمـد بوخريص. . .» ثم أورد ابن أبي الضياف حكاية طويلة خلاصتها أن الشيخ الرياحي هرب إلى زغوان فولى الباي خطة القضاء الشيخ إسماعيل التميمي.
6 ـ ورد اسمها في نسخة دار الكتب المصرية «التأييدات القدسية في رد أباطيل الضالّة الوهابية» وهي تسمية خلت منها النسخ الأخرى.
7 ـ ألفها بطلب من حمودة باشا كما يفهم من نص الإتحاف 3: 63. وذلك رداً على رسالة بعث بها الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى الأمير المذكور يدعوهُ فيها إلى عقيدة التوحيد التي دعا إليها. تراجع رسالة ابن عبد الوهاب إلى باي تونس في الإتحاف 3: 60 - 63.
8 ـ فيما يلي ما وقفنا عليه من مخطوطاتها:

- تونس: دار الكتب الوطنية رقم 613/3، 2513، 7805/4، (1673/4 عبدلية)،

8178/10 (10867/10 عبدلية)، 9706/3 (2801/3 عبدلية)، 9834 (10082 عبدلية)، 9964 (10100 عبدلية)، 12529/3 (3751/3 أحمدية)، 14461/3 (2123/3 أحمدية)، 16583/3 (2779/3 خلدونية)، 16504 (2846 خلدونية).

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 21202/1 ب. وينظر تعليقنا رقم 1 ورقم 7.

9 ـ ونشرت في إتحاف أهل الزمان (3 :64 - 75) سنة 1963.

10 ـ معالم التوحيد ص 175 (ط. دار الغرب الإسلامي). وفي رصيد دار الكتب الوطنية بتونس مخطوط تحت رقم 2052 تذكر جذاذات المكتبة أنه لعمر بن قاسم المحجوب به 76 ورقة.

11 ـ هذه الرسالة لأخيه محمد بن قاسم المحجوب المتوفّى سة 1828/1243. ولم يترجمه المؤلف وسوف نخصص له ترجمة في المستدركات نستعرض فيها مخطوطات هذه الرسالة وغيرها.

12 ـ كان الشيخ عمر المحجوب شاعراً خصه الشيخ محمد السنوسي بفصل في كتابه «مجمع الدواوين التونسية» (مخطوط المرحوم محمد التركي).

II ـ مصــادر:

أ ـ مخطوطات طبعت:

- إتحاف أهل الزمان 7 :52 - 55.

ب ـ إضافات:

- إتحاف أهل الزمان 3 :63 - 75.
- برنامج المكتبة العبدلية 3 :77 - 78.
- تاريخ معالم التوحيد ص 55، 304.
- تراجم المؤلفين التونسيين 4 :250 - 251.
- شجرة النور الزكية 1 :366.
- صفحات من تاريخ تونس ص 193.
- عنوان الأريب 2 :67 - 69.
- فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية 1 :123.
- مجمع الدواوين التونسية (مخطوط محمد التركي) ورقة 86 ظ ـ 95 و.
- معجم المؤلفين 7 :304.

— 110 —

قاسم بن كرم(*)

1818/1234 ـ 000

أبو الفضل قاسم بن كرم.

فاضل، نشأ في تونس، وأخذ عن علمائها فحصلت له ملكة أدبية ومشاركة حسنة في العلوم الشرعية.

توفي بتونس في صفر سنة 1234 / ديسمبر 1818[1].

لـه:

1 ـ **زبدة التوحيد،** حاشية على شرح كبرى السنوسي.

ذكرها صاحب كتاب عنوان الأريب وصغّر من شأنها بقوله: «حاشية لفّقها».

2 ـ **ديوان شعر.**

أشار ابن أبي الضياف لهذا بقوله: «وشعره معروف بين أدباء الحاضرة».

مصـادر:

ـ إتحاف أهل الزمان 7 :111.
ـ تراجم المؤلفين 4 :160.
ـ عنوان الأريب 2 :71 (ضمن ترجمة صالح الكواش).
ـ مسامرات الظريف ص 140 - 141.

(*) لم يخصه المؤلف بترجمة وذكره في فهرسي المؤلفين والمصنفات دون أن يشير أن له شعراً.

(1) كذا أرّخ وفاته في الإتحاف وأرخ المؤلف وفاته في فهرس المؤلفين بسنة 1785/1200.

— 111 —

الجمّالي(*)

1833 - 2/1248 ـ 000

علي بن محمد الميلي الجمّالي:

أصل عائلته من «ميلة» وانتقلت إلى جمّال من قرى الساحل التونسي حيث ما تزال عائلة «الميلي» موجودة بها إلى الآن.

لا نعرف شيئاً عن نشأته الأولى ودراسته. سكن مصر. وكان له مع علمائها خصومات ومجادلات في مسائل من الفروع الفقهية، ذكر الجبرتي واحدة منها. ونقل عن الشيخ محمد العروسي أنه قال عنه: «رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا.. لا ينكر علمه وفضله، وهو منعزل عن خلطة الناس، إلا أنه حادّ المزاج..».

توفي بمصر سنة 1248 هـ.

لــه:

1 ـ **تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾.**

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 29 تفسير.

2 ـ **السيوف المشرفية لقطع أعناق القائلين بالجهة والجسمية.**

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 41/1 مجاميع.

(*) لم يترجم له المؤلف وذكره في فهرسي المؤلفين والمصنفات ناسباً له 12 رسالة.

3 ـ **الحسام السمهري لقطع جيد الكاذب المفتري فيما ينسبه للإمام الأشعري** اقتبسها من الرسالة السابقة.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 41/2 مجاميع.

4 ـ **العجالة**، وهي متممة للسيوف المشرفية.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 41/3 مجاميع.

5 ـ **مناسك الحج**، على مذهب الإمام مالك.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 150/2 مجاميع.

6 ـ **الشمس والقمر والنجوم الدراري في إثبات القدر والكسب والاستطاعة** والجزاء الاختياري.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 150/3 مجاميع.

7 ـ **المقصد المنيف في الجمع بين عبادتي التكليف والتشريف**.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 255/2 مجاميع.

8 ـ **الكواكب الدرية والأنوار الشمسية في إثبات الصفات السنية القائمة** بالذات الأزلية.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 237 عقائد.

9 ـ **جواب سؤال الشيخ أحمد مقيبل عن الأبيات الأربعة المنسوبة** (؟).

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية رقم 471.

10 ـ **الرد على البولاقي**.

ـ جامعة برنستون، مجموعة جاريت رقم 575 (عن بروكلمان).

11 ـ **ورد الكميت والعرف الندي في مدح أهل البيت والكشف عن المهدي**.

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 2645.

12 ـ **رسالة في بعض علامات تقع في آخر الزمان،** مستخرجة من الرسالة السابقة «ورد الكميت».

ـ تونس: المكتبة العاشورية رقم (ف. أ) 431.

13 ـ **القول المبسوط في اجتماع البيع والشروط.**

ـ تونس: دار الكتب الوطنية رقم 15091/2 (أحمدية 3222).

14 ـ **الصوارم والأسنّة في الاعتراض على أحمد التجاني.**

لم نقف عليه إلا من خلال رد الشيخ إبراهيم الرياحي عليه المسمّى «مبرد الصوارم والأسنّة. .» تراجع ترجمة إبراهيم الرياحي.

15 ـ **الصمصام الفاتك بالقادح في مذهب الإمام مالك.**

نسبه له البغدادي في الهداية وذيل الكشف.

16 ـ **حكم ذبيحة أهل الكتاب.**

رسالة ذكر الجبرتي أنها في نحو الثلاثة عشر كراسة ألفها لتلميذه إبراهيم باشا المالكي الإسكندري. وقد اعتمد فيها قول الطرطُوشي في المنع وعدم الحل. وكان موضوع الرسالة موضع إنكار شديد من طرف علماء عصره بمصر.

مصـــادر:

ـ الأعلام 5 :17.

ـ إيضاح المكنون 1 :237، 402، 2 :37، 56، 71، 251، 391.

ـ بروكلمان 2 :655، ملحق 2 :880، 3 :1393.

ـ تراجم المؤلفين 4 :428 - 429.

ـ عجائب الآثار 7 :479 - 480.

ـ فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 1 :36، 177، 188، 194، 195، 204، 206.

ـ فهرس الكتبخانة الخديوية 1 :137، 2 :39، 4 :109، 7 :77 - 78، 202 - 203.

ـ فهرس المكتبة الأزهرية 6 :201.

ـ معجم المؤلفين 7 :235.

ـ هدية العارفين 1 :773 - 774.

— 112 —

التميمـــي

محمد بن علي شهر التميمي.

من بيت قيرواني قديم جاء أوائله إلى الحاضرة واستقرّوا بها.

زاول محمد دراسة العلوم بالزيتونة. ثم سافر إلى مصر وتعرّف برجالها. وبعد مدة سمّي ناظراً لمسجد أبي الذهب وأوقافه، واتصل بإبراهيم باشا فضمّه إلى تعليم أولاده العربية، وحسنت حاله، وتولّى التدريس بالأزهر. وكان عالماً ذكياً وفي طبعه بعض حدة.

ولما مات إبراهيم باشا نفاه الخديوي عباس الأول إلى الحجاز فأقام مدة بالمدينة. ثم، انتقل إلى اسطنبول فمات بها سنة 1286[1] (1869 م).

لـــه:

1 ـ **تعديل المرقاة، وجلاء المرآة**[2] وهي حاشية على مرآة الأصول لمنلا خسرو المتوفى سنة 885 هـ منه نسخة في دار الكتب المصرية.

مصـــادر:

ـ الأعلام للزركلي 954/3 [3]، نقلاً عن مذكرات تيمور باشا ـ خط.

التميمـي (التونسـي)
000 ـ 1286 هـ/ 1869 هـ
استدراكـات وإضافـات

I ـ التعاليـق:

1 ـ هذا ما ذكره الزركلي في الطبعات الأولى من الأعلام. أما في طبعة «الأعلام» الجديدة (ط. 5) فأرخ وفاته بـ 1287 هـ. دون ذكر مستنده في هذا التغيير.
2 ـ رقم 11 علم الأصول بمكتبة مصطفى فاضل باشا الملحقة بدار الكتب المصرية.
3 ـ هذه الإشارة إلى طبعة «الأعلام» الأولى.

II ـ مصـــادر:

أ ـ طبعات جديدة:
- الأعلام (ط. 5) 6 :299 - 300.

ذكر الزركلي في مصادره «الروض النضير» ولم يذكره في قائمة مصادره العامة، ولم نتمكن من التعرف على هذا المصدر.

ب ـ إضافات:
- إيضاح المكنون 1 :295.
- تراجم المؤلفين 5 :203.
- فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 1:380.
- فهرس الكتبخانة الخديوية 2 :240.
- معجم المؤلفين 1 :312.

OPVS MAGNVM

Somme Historique et Bio-Bibliographique sur la Pensée et la Culture, les Belles-Lettres et les Sciences, dans la Tunisie Médiévale et Moderne

Ouvrage posthume de
HASSAN HOSNI ABDUL WAHAB

Livre Premier

*

mis au point et complété par
Mohamed Laroussi MÉTOUI et Béchir BACCOUCHE



Dar al-Gharb al-Islami



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها: الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) ـ الحمراء ـ بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 ـ ص . ب . 5787 - 113 بيروت ـ لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI – B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 1990/5/2000/178

التنضيد : كومبيوناتب / بيروت

الطباعة : دار الشروق / بيروت

OPVS MAGNVM



OPVS MAGNVM

Somme Historique et Bio-Bibliographique sur la Pensée et la Culture, les Belles-Lettres et les Sciences, dans la Tunisie Médiévale et Moderne

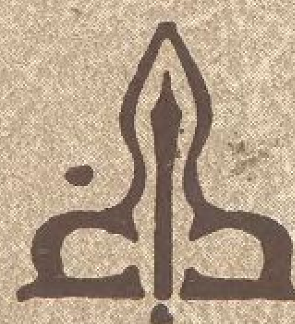
Ouvrage posthume de
HASSAN HOSNI ABDUL WAHAB

Livre Premier



mis au point et complété par
Mohamed Laroussi MÉTOUI et Béchir BACCOUCHE





Dar al-Gharb al-Islami